مِن تُرَاث الشَّيخ سَيِّد المُختَار الكنتي

العَذْبُ المَوْرُود

في اختِصَارِ فَتْحِ الوَدُود

شَرْحِ المَقْصُورِ وَالمَمْدُودِ

للشيخ / د. أبَاي محمَّد محمُود

تَقْدِيم

د. أدي ولد آدب

دار ابن حزم

العذب المورود في اختصار فتح الودود شرح المقصور والممدود

للشيخ د.أبابي محمد محمود امبّد الكنتي

تقديم: د. أدي ولد آدب

المقصور والممدود: استبطانا، واستنباطا

حينما أنْوي مُقارَبَة أي موضوع إبداعي، أو أكاديمي، "أطوفُ" حوْله- ربما أكثر من "سبعة أشواط"- سعْيا لاستلام "رُكْنِه الأسْعد"، من زاوية، لم يُسْتَلَمْ- قبْلي- من خلالها، لأنَّ ما سِوى ذلك، يبْقى -في نظري- مُجَرَّدَ ترْجيعٍ لأصداء أصوات سابقة، وتقفيا لخُطى دارجة على هذا الطريق المُعَبَّد، وتحْصيلا لحاصل....

وهكذا، عندما شرَّفَني الشيخ الدكتور: أبَايَ محمد محمود، بقراءة " العَذْبِ المَوْرُودِ"- عمَله هذا- حوْل شرْح الشيخ سيدي المختار الكنتي "فتْح الودود"، لمنظومة "المقْصور والممْدود"، لابن مالك، انخرطُتُ- بعْد قراءته- في عملية البحْث عن المدخل الجديد، للمقاربة الجديدة، حتَّى اهتديْتُ- بعْد استبْطانِ بنْيةِ العنوان- إلى اسْتنباطِ دلالةٍ له مُفارِقَةٍ، جديرةٍ بالتناوُل، لأنَّها تقترحُ تأويلا أعْمَقَ لمفهوميْ "القصْر"، و "المَدِّ"، بعيدا عن حَدِّيةِ المُصْطَلَحَيْنِ اللغوييْن.

فـ "المقصور والممدود" مَبْحَثٌ لغوي عريق، حوَّلَه ابنُ مالك- في منظومته- إلى وسيلةٍ مُزْدَوِجَةٍ، لتعليم المَبْنَى اللغوي، ممزوجا بالمَعْنَى التربوي، إذ لا قيمة للثراء المُعْجَمِي وحْده، ما لمْ يُوَظَّفْ هذا الرصيد في إنتاج المَعْنى، ويَستهْدفُ هذا المَنْحَى -عند ابن مالك- أنْ لا يَنْفَصلَ جَسَدُ لُغَةِ العَرَبِ، عنْ رُوحها الخُلُقي، الذي ربَطها به الدينُ الإسلامي، حينَ اصْطَفاها اللهُ وعاءً لمَضْمُونِ رسالته الكونية الخالدة... علما بأنَّ أبا القاسم القشيري كان سباقا، إلى توظيف اللغة في سياقها الروحي التربوي هذا، حيث كان يعتبر إعْرابَ الأفْعال، أوْلى من إعْراب الأقوال.

وقد اتَّبَعَ الشيخُ سيدي المختار الكنتي – هو الآخرُ- ذلك المَنْزَعَ اللغوي، التربوي، نفْسَه، فهو يتجاوزُ شرْحَ الألفاظ مُعْجَميا، إلى تفْكيك الحُمُولةِ التربوية، الكامِنَةِ خلْفَ البِناء اللغوي المُخْتَزَل، مُسْتَطْرِدًا إلى كلِّ ما يُعَزِّزُ هذه الرسالة الوعْظِيةَ الدَّعوِية، من نُصوص مُوازية، تسْتَوْحيها – ولو من بعيد- بنْيَةُ كلِّ بيْت من مقصور ابن مالك وممدوده، سواء كانت أبياتا شعرية شاهدةً، أو أمثالا عربية خالدة، أو حكايات وروايات ذات فائدة، أو"آيات" و"أحاديث" رافدة، مُرَتِّبًا مُدَرَّجَ الاستدعاء و"التَّناصّ" عنْده عبْرَ فُنُونِ "الاستعارة"، و"التلويح"، و"الاستطراد"، و" التلميح"، و"الكناية"، و"الاقتباس"، و"التمثيل"....دامجا- بذلك- فنونَ البلاغة، في إطار المنظومة المعرفية العربية المتكاملة، التي لا يكاد فنٌّ منها يستقلُّ بنفْسه عن الآخر؛ لأنها كلها تتآزَرُ في بنْيةٍ عضْوية وجودية؛ من أجْل النَّصِّ القُرآني الأقدس، الذي تأسَّستْ -أصْلا- لخِدْمَة جنابه.

ومن المُلاحَظِ هنا أنَّ الرسالةَ التوْجيهية "التربوية"، التي يَسْتَبْطِنُها نَصُّ "المَقصور والممْدود" لابن مالك، ليستْ من مَعْدِنِ الوَصايا العُمومية الواضحة، المُوَجَّهة للناس كافة، بلغةٍ وأسلوبٍ يفهمُهما الجميع.. بلْ هي رسالةٌ شِبْهُ "مُشَفَّرَةٍ" بمُعْجَمِها اللغوي العَصِيّ، ذِي المَعْنَى "المُقْصور" على الخوَاصِّ، و "الممْدود" إلى العموم، إنْ وُجِدَ مَنْ يسْتنْبِطُ ما اسْتَبْطَنَه منْ مَعَانٍ، وهذا ما قامَ به الشيْخ الشارح.

وهكذا يتجلَّى هنا أنَّ ابن مالك ناظم " المقصور والممدود" التزمَ بتراتبية بنْية العنوان، فكان يقدم "المقصور" على "الممدود"، وكأن" القصْرَ" هو الأصل عنده، و"المَدّ" لاحق عليه؟ مع أن البناء اللغوي، والأصل الاشتقاقي للكلمتين قابل لتعاقب القصْر والمَدّ، بحيث يجوز-عقلا ونقلا- قصْرُ الممدود، ومدُّ المقصور" ولو تَجَوُّزًا". إلا أنَّ التزامَ الناظم بتلك التراتبية الثابتة، التي تجعل

"المقصور" قبْل "الممدود"، ضرْبَة لازِبٍ، يُوحِي بأنَّها داخلةٌ في اللعبة الرمْزية التربوية التي بُنِي عليْها النصُّ عُموما، بحيْث يُصْبِحُ " المقصورُ- في نظري- رمْزًا عنده لـ "الدُّنْيا"، و"الممدود"- عنده- رمْزًا لـ "الأخرى"؛ لأنَّ لفْظ الأوَّلِ يُوحِي بأنَّه نِسْبِي، ولفْظ الثاني يُوحِي بأنَّه مُطْلَق.

وهكذا يُمْكِنُ أنْ نسْتخلصَ أيضا، في نِهاية اسْتنطاق بنْية العنوان المُكْتَنِزَةِ الدلالات-عبْر جدَلية الاسْتبطان والاسْتنباط- أنَّ "المقصور"=عمَلُ الناظم ، و"الممدود"= عمَلُ الشارح؛ حيْث يقتصرُ الأولُ على الاخْتصار، ويَمُدُّ الثاني ما قصرَه الناظمُ، واختزلَه، وكأنَّ "المَقصور- من ناحية أخْرى- " هو التفسيرُ اللغوي، و"الممدود" هو التفسير الإشاري، وإذا تمَاديْنا في هذا المَنْحَى، يمكن اعتبار اختصار الشيخ الدكتور أباي قصْرًا نِسْبِيا لما مَدَّهُ الشارحُ، ممَّا قصرَه النَّاظِمُ، وليس تقديمي المتواضع هذا إلا محاولة تأمل في البنية العميقة لكل ذلك.

د. أدي ولد آدب

تراجم مختصرة

ترجمة ابن مالك صاحب "تحفة المودود في المقصور والممدود"

هو محمد بن عبد الله بن مالك، جمال الدين، أبو عبد الله، الطائي، ولد في مدينة جَيّان سنة: (600هـ)، يعد من أبراز أعلام اللغة العربية، وقد قال عن نفسه في رسالة له إلى الظاهر بيبرس: "الفقير إلى رحمة ربّه محمد بن مالك يُقبل الأرض ويُنْهي إلى السلطان ـ أيّد اللهُ جنوده وأَبَّدَ سعوده ـ أنّه أعرف هل زمانه بعلوم القراءات والنحو واللغة وفنون الأدب، وأملُهُ أن يُعينَهُ نفوذٌ من سيد السلاطين... بصدقةٍ تكفيه همّ عياله وتُغْنِيهِ عن التسبُّب في صلاح حاله" كان من تلامذته الشيخ النَّوَوي، والزَّين المزّي، وغيرهم، وكان للنظم نصيب وافر من مؤلفاته، قصيده ورجزه، وكان نظمه من قبيل شعر العلماء، حشَدَ فيه كثيراً من العلوم والمعارف المتعلقة بالعربية ومن أشهر منظوماته ألفيته في النحو "الخلاصة" وقد توفي سنة: (672هـ) بدمشق رحمه الله.

ترجمة مؤلف فتح الودود في شرح تحفة المودود في المقصور والممدود.

هو الشيخ سيد المختار بن أحمد بن أبي بكر الكُنتي شيخ الشيوخ ولد ب"كثيب أوجال" بأزواد شمال غرب مالي سنة 1142هـ -1729م، وقد عاش حياة كلها علم، وعمل، وإصلاح وإرشاد، حتى صار لقب الشيخ بالإطلاق علما عليه كما قال النابغة الغلاوي:

"الشيخ بالإطلاق للمختار... وغيره لابد أن يقيدا *باسم به سمي حين ولدا"

وقد ألف ما يربو على ثلاثمائة كتاب في جميع العلوم المتداولة في زمنه منها كتابه فتح الوهاب في هداية الطلاب وشرحه، وألفية في النحو وشرحها، وفتح الودود في شرح المقصور والممدود وغيرها. توفي يوم الأربعاء الخامس من جمادى الأولى سنة 1226هـ-1811م ودفن في مكان يسمى "بو لنوار" بأزواد. تغمده الله بواسع رحماته، وأفاض عليه شآبيب رضوانه. آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد ولد عدنان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، ما تعاقب الملوان، ثم أما بعد، فاللسان العربي "قَدْ وَقَفَ عَلَى ثَنْيَةِ الْوَدَاعِ، وَهَمَّ قِبْلِيُّ مُزْنِهِ بِالْإِقْلَاعِ فما أجدره –وَهُوَ حَبِيبُ النَّفْسِ، وَعَشِيقُ الطَّبْعِ، وَسَمِيرُ ضَمِيرِ الْجَمْعِ –بِأَنْ يُعْتَنَقَ ضَمًّا وَالْتِزَامًا، كَالْأَحِبَّةِ لَدَى التَّوْدِيعِ، وَيُكْرَمَ بِنَقْلِ الْخُطُوَاتِ عَلَى آثَارِهِ حَالَةَ التَّشْيِيعِ".

هذا اللسان –الذي أنزل الله به كتابه، وأرسل به خاتم رسله، فأبان به المحجة وأقام به الحجة– مِنْ أجَلِّ ما ينبغي لطالب العلم صرف الأوقات في تعلمه وتحصيله؛ فاللغة العربية هي مفتاح العلوم الإسلامية كلها، وهي خير مُعينٍ على فهم معاني القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهي الوسيلةُ إلى الوصول إلى أسرارهما، وفهم دقائقهما، وقد قال عمر رضي الله عنه" تفقهوا في السنةِ، وتفقهوا في العربية، وأَعْرِبُوا القرآنَ فإنه عربي"[1] قال شيخ الإسلام: "لأنَّ الدِّينَ فيه فقهُ أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريقُ إلى فقه الأقوال، وفقه الشريعة هو الطريقُ إلى فقه الأعمال".[2]

وقال أيضا: "إنَّ الله لما أنزل كتابَه باللسان العربي، وجعل رسولَه مبلغًا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السَّابقين إلى هذا الدين متكلِّمين به، ولم يكن سبيل إلى ضبط الدِّينِ ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، صارت معرفته من الدِّين، وأقرب إلى إقامةِ شعائر الدين..."[3].

ولا يَشْنَأُ هذه اللغة إلا من اهتاف به ريح الشقاء كما قال الفيروز أبادي، ومن طريف ما يذكر في هذا المقام قول أبي الريحان البيروني: "لأنْ أُشتم بالعربيةِ أحب إلي من أُن أمدحَ بالفارسية".

---

[1] – أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ح: 9963.

[2] – اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية. 425/1.

[3] – مجموع الفتاوى .343/8.

وأهل العلم يذكرون أن تعلم اللغة العربية من فروض الكفايات من حيث الجملة، وأما من حيث التفصيل فبعضها واجب عيني قال شيخ الإسلام:" فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهمِ اللغة العربية، وما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب، ثم منها ما هو واجبٌ على الأعيان، ومنها ما هو واجبٌ على الكفاية"[1].

ومن أجل كتب اللغة العربية، كتاب تحفة المودود في المقصور والممدود لابن مالك. "فقد أجاد فيه وأفاد إذ أتى به على أسلوب لم يسبق إلى مثاله، ولم ينسج أحد بعده على منواله، فأتقن العبارة ودقق الإشارة، ومن الدليل على وسع باعه أن جاء بمنظومته هذه، فألف فيها بين ما ينبغي تأليفه من نوعي المقصور والممدود، ولما تصعب مسلكه وعز مطلبه ومدركه، قلت شروحه إذ توعر عليهم وضوحه"[2]. وقد شرحه الشيخ سيد المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي. شرحا بديعا تناول لغته وبلاغته وإعرابه، وأفاض في شرح معانيه وسبر أغوار مراميه، وحلَّاه بما فتح الله به عليه من اللطائف والمعارف. حتى صار كتاب لغة وأدب وأخلاق وتأريخ ومعارف شتى. فقد قال هو في مقدمته:" فحبرت كتابه بآي التنزيل تحبيرا، وطرزته بغرائب اللغات تنويرا، فجئت فيه بالمواعظ الهائلة، والغرر السائلة، والمذاهب المائلة عن الطريق الباطلة، وبحكايات الأمجاد، وروايات الأجواد، وبنفائس الأعراب ، وغرائب الإعراب، ونُبَذ من الآداب والأدباء، وقصص الأنبياء والأولياء، وكيفية بدء الخلق والانتهاء، والزجر عن الظلم والاعتداء، وما يجران إليه من البلاء والجلاء، ونكت من الترغيب والترهيب، مما يذيب أو يكاد ذهن اللبيب، ومن غرائب المسائل الفقهية، وبُصوص نصوص الدلائل العقلية مما يفوق ويروق، ويوجب على من سمعه ألا يقابله بالعقوق، ومن الحكم الطبية والنفحات الغيبية ما يشوق كل مشوق وإليه النفوس الزكية تتوق...إلخ.

وهمم أهل العصر تتقاصر عن تتبع ما طال كما قال الشيخ نفسه عن أهل عصره، فكيف بهمم أهل هذا العصر. والمطالع للشرح قد يطلب معنى مفردة، أو شرح جملة من النص فيقرأ صفحات وصفحات، ويطوف في رياض الآداب، وجنان القصص، ولطائف البيان، قبل أن يصل إلى مبتغاه، ولذا رغبت في اختصاره اختصارا غير مخل، يأتي منه بالمقصود، وأبقيت كلام

[1] – اقتضاء الصراط المستقيم ص 207.

[2] – هذه جمل من مقدمة الشيخ سيد المختار الكنتي.

الشيخ بحُلاه، وما حذفت منه إلا ما يمكن حذفه ولا يخل بمعناه، وسبكت الكلام ووصلته وصلا، حتى إن القارئ ليخال أنه لم يحذف منه حرف أصلا، وتركت من اللطائف ماله صلة مباشرة، أو غير مباشرة باللغة أو معنى النص المشروح. وخلاصة عملي فيه يمكن إجمالها في النقاط التالية:

1- اختصار الشرح بحذف ما لا صلة له بالمادة اللغوية من القصص والآثار والأشعار وغيرها، وقد أبقيت فوائد جمة لصلتها بمعنى الأبيات وإشاراتها.
2- تصحيح الأخطاء الواردة في النص، وقد اعتمدت النسخة المطبوعة المحققة للشيخ المأمون في عملي فجعلتها أصلا. وأشرت إلى عمله في الهامش، من شرح مفردة أو تخريج حديث أو غير ذلك بحرف.م. هكذا.
3- تخريج الآثار التي فات الشيخ المأمون رحمه الله تخريجها، وإعادة تخريج بعض ما كان قد خرجه، فقد تيسر من المراجع، وسهل من أمر البحث مالم يكن متاحا له رحمه الله.
4- نسبة الأبيات إلى قائليها. وتوجيه بعض معانيها كالبيت رقم:(13).
5- تشكيل الأبيات، والمفردات الغريبة، وبعض الجمل التي تحتاج إلى ذلك.
6- تمييز كلمات الأبيات المشروحة عن النص، وتمييز الآيات والآثار والأبيات أيضا.
7- إثبات الرواية التي اعتمدها الشيخ سيد المختار الكنتي رحمه الله للمقصور والممدود في شرحه، والإشارة لغيرها في الهامش عكس ما فعل الشيخ المأمون رحمه الله.
8- توجيه بعض المعاني، وذكر بعض اللطائف في الهامش.
9- شرح الأبيات التي وردت في بعض نسخ المقصور والممدود، ولم يتعرض لها الشيخ في شرحه وهي ثلاثة أبيات فقط: (البيت 59-60-93).

وقد أسميته: "العذب المورود في اختصار فتح الودود". وهذا أوان الشروع في المقصود.

قال ابن مالك رحمه الله:

باب: ما يفتح أوله فيقصر ويمد باختلاف المعنى[1]

المقصور عبارة عما حبس آخره عن ظهور حركات الإعراب فيه من غير بناء، فيتسبب عَن ذلك ختمه بألف[2] لفظا، قبلها فتحة لازمة، وإنما قلت لفظا لأنه ليس بألف حقيقية، وإنما هو صفة لما يشاكل الفتحة عند الإشباع، وهو الألف، كما تشاكل النون التنوين لقصد التمكين، ولذلك يرسم تارة بألف، وتارة بياء، مراعاة لأصله، وهو فعله أو تثنيته أو جمعه أو مفرد مؤنثه، فإن ظهرت الواو في هذه المواضيع، رسم ألف المقصور ألفا، وإن ثني أو جمع بواو أو ياء معا، حمل على الأغلب منهما، فإن لم يكن له شيء من ذلك اختبر بالإمالة والتفخيم، فالممال يرسم بالياء، وغيره بالألف، ويرسم من ذوات الياء بالألف ما أضيف، كهدى الله، ويرسم بالألف باجتماع ياءين ما كان كالحيا والزكا، ويرسم ألفُ ما كان كهوى ياءً لظهور الياء في فعله، وهو هوِيت بكسر الواو، ولأن ذلك يدل على أن الألف في الرسم ياء.

وهذا التفصيل إنما يعتبر في المقصور الثلاثي، وهو الغالب، وأما الزائد على الثلاث منه، فيرسم بالياء وإن انقلبت ألفه عن واو؛ لأن أقوى دليل على أن أصله من الواو هو: ظهورها

---

[1] – بدأ الشيخ رحمه الله هنا في أول باب من المنظومة وترك مقدمتها وهي:

بدأنا بحمد الله فهو سنـــــاء وللنطقِ منه بهـــــجةٌ وبهاءُ
وأهديتُ مختارَ السلامِ مصـليا على المصطفى الموحى إليه شفاءُ
وبالآل والأصحاب ثنيتُ مثنيا بخير الثَّنا إذ هـــم به جُدراء
وبعد فإن القصر والمدَّ من يُحط بلفظيـــهما تستَسْنِهِ النبـــهاء
وقد يسّر الله انتهاجَ ســـبيله بنظم يرى تفضـــيلَه البصراءُ
له تحفةُ المودودِ تسميةٌ فـــقد تأتَّى بهذا للمـــــراد جلاءُ
حلا كلُّ بيتٍ منه لفظين وُجِّها بوجهين في الحكمينِ فهو ضياءُ
دَعا فأجابتْهُ المعاني مُطِيـــعةً وقد كان منه مِنْـــــعةٌ وإباءُ
وها أنا بالمنْويّ وافٍ وإنـــما علامةُ صِدقِ العازميـــنَ وفاءُ
ويا ربِّ عوناً فالمعانُ مُؤيَّـــدٌ وما لامرئٍ إن لم تُعِنـه كِفاءُ.م. بتصرف.

[2]– هذه الألف تكون لازمة، ويفتح ما قبلها، وهي إما منقلبة عن واو أَصلية أَو ياءٍ أصلية، كالفتى أصلها الياءُ، ولذا تثنيتها فَتَيَان، والعصا أصلها الواو ولذا تثنيتها عصوان، وإما أن تكون ألف المقصور مزيدة للتأنيث، نحو: كبرى وغضبى وحبلى، أو مزيدة للإلحاق وهو مصطلح جعله النحاة للأَلف التي لم تنقلب عن أصل ولا هي للتأْنيث، نحو: ذِكرى، وذفرى. والمقصور يعرب بحركات مقدرة على الألف: رفعا ونصبا وجرا؛ لتعذر نطق الحركة.

في الفعل الثلاثي، وذلك مفقود فيما زاد على ثلاثة أحرف من الأفعال، نحو أغزيت، واستغزيت وغازيت؛ لأن الياء في هذه الأفعال أصلها واو، بدليل الغزو، وعلة انقلاب الواو ياء في هذه الأفعال وقوع الواو في مضارعها إثر كسرة، وهو عند العرب مستقبح، ووقوع الواو إثر كسرة كوقوع الضمة بعد كسرة، إذ الواو متولدة من الضمة، والخروج من كسرة إلى ضمة ثقيل، وكذلك الخروج من الكسرة إلى ما يتولد من ضمة وهو الواو، فترك من أجل فتحه، وهو الموجب لقلب الواو ياء.

فإن قلت: إنما وجد ذلك في المضارع فقط، فلم حمل عليه الأمر والماضي؟.

قلت: لقربه من المصدر الذي هو أصل الجميع، ولمضارعة الاسم واعتباره في البِنْية، وكثرة دورانه على المعتبرات من قواعد الأصول، فتقول: غزا يغزو غزوا، فاتفق المضارع مع المصدر في رد اللفظ إلى أصله وبقي الماضي ملازما لما دعا إليه التخفيف ونفي الاستثقال، ولو خالف أصل البِنْية، فإذا وصلته بضمير رفع بارز متحرك، قلت: غزوت، وكسوت، وقسوت، وصبوت، ودنوت، وغدوت، وحبوت، بخلاف نوى ولوى وعتى،[1] فإنك تقول في ذلك نويت وعتيت، وبغيت، وعسيت، فإذا جمعت في الأول، قلبت الواو ألفا، كما في مواضعها، فتقول: غزاة في جمع غاز، وغدوات في جمع غداة، فلم يعتبر الماضي في حالتيه، بل اعتبر الجمع والمضارع، وكذلك كساة وصباة، ولذلك حمل الماضي والأمر عليه، فيرسم آخر المقصور المبني منها بالياء من أجل التلفظ بها في فعله، وما ليس له فعل يحمل على ما له فعل في الرسم، كالهنا، فإنه يحمل على ما له فعل كالخبا، إذ هو مشتق من الخباء أو الخبو، وهو الإخفاء والسكوت، قال الأعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم: خبأت لك خبيئا. قال له النبي صلى الله عليه وسلم: **إني لست بكاهن**، فقال له الأعرابي: بم أعرف أنك رسول الله ؟ قال: **أرأيت إن دعوتُ تلك**

[1] –عتا ـ استكبر وجاوز الحد فهو عات، ويجمع على عتاة وهو واوي ويائي ـ والمصدر عتوا وعتيا ـ واوي، ولا يكتب إلا بالألف، ولعل الشيخ يقصد عنى –عنيت– بالنون التي تكتب بالياء لا عتا بالتاء، انتهى تعليق الشيخ المأمون رحمه الله وقد قال ابن منظور في لسان العرب 28/15 فصل العين المهملة: "عَتَوْتُ، قَالَ: وَلَا تَقُل عَتَيْتُ. وَقَالَ ابْنُ سِيدَهْ: عَتِيتُ لُغَةٌ فِي عَتَوْتُ".

الشجرة فأقبلت تسعى، أتعرف أني رسول الله؟ قال: نعم، قال: اذهب إليها، وقل لها إن رسول الله يأمرك أن تُقبلي إليه، فأقبلت ... الحديث[1].

أو هو من خبا يخبو: إذا خمد فنام، لأن الإنسان إذا نام فقد خبا، أي خمد، كما أن النار إذا خمد لهبها يقال لها: خبت.

وما تمحضت فيه الياء من نوع المعتل يقال له: منقوص، قيل: لنقص حرف الياء المعوض منها التنوين في غير النصب، وقيل لقصره عن رتبة صاحبيه كقاض، ورام، وداع، وناع وغواش[2]، وباغ، وطاغ.

وأما المد فهو ختم الكلمة بهمزة قبلها ألف لازمة،[3] في حال كون ذلك على أسلوب يختلف فيه المعنى المدلول عليه بالمقصور والممدود المتفقين في المادة وترتيب الحروف. فأخرج بقوله: ما يفتح: ما يكسر وما يضم، وأدخل بقوله: ما يمد: اشتراك المقصور والممدود في فتح الأول، فالذي لا يشارك فيه المقصورُ الممدودَ هو: أن يكون المقصور مفتوحا، والممدود مكسورا، أو العكس، أو يكون المقصور مضموما، أو مكسورا، أو العكس، أو مع فتح المقصور. وأخرج بقوله: باختلاف المعنى، ما اتفقا في معناه، وذلك أن المقصور والممدود المتفقين في اللفظ قسمان، قسم مختلف في المعنى، وقسم متفق فيه.

---

[1] –حديث قال أعرابي إلخ رواه الحاكم في المستدرك بلفظ قال جاء أعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: بم أعرف أنك رسول الله قال أرأيت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله قال نعم إلخ (620/2) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ...المأمون.

[2] – أتى بالجمع هنا بين المفردات، ولم يقل غاش اسم الفاعل من غشي وقد ذكر في معجم اللغة العربية المعاصرة مادة 3571 – غ ش ي (غشِيَ يغشَى، اغْشَ، غِشيانًا، فهو غاشٍ، والمفعول مَغْشيّ) ومفرد غواش غاشية كما في المعجم أيضا. وقال محمود عبد الرحيم صافي في كتابه الجدول في إعراب القرآن 410/8، (غواش)، جمع غاشية، مؤنث غاش، اسم فاعل من غشي الناقص وزنه فاع ووزن غواش فواع، فيه إعلال بالحذف، والتنوين فيه تنوين عوض أي عوض من الياء المحذوفة.

[3] – هذه الألف التي قبل الهمزة ألف زائدة، وقد تكون الهمزة أصلية، نحو: قَرَّاء؛ لأن أصلها (قرأ) وقد تكون زائدة للتأنيث، نحو: صحراء وخضراء مؤنث أخضر وعفراء أصلها (عفر) وقد تكون منقلبة عن: واو أو ياء، نحو: عَدّاء، وبَنّاء، لأن أصلهما: عَدَوَ– وبَني وقد تكون الهمزة فيه مزيدة للإلحاق مثل: عِلْباء فليست منقلبة عن أصل ولا هي من بنية الكلمة ولا هي للتأْنيث، وإنما زادتها العرب لتلحق بوزن ما، والممدود يعرب بحركات ظاهرة: رفعا ونصبا وجرا.

وبدأ الناظم بالكلام على المختلف المعنى؛ لكثرة أنواعه، وتنوع جزئياته بالنسبة إلى المتفق في المعنى، وكل من القسمين قد يتفق في الحركة، وقد يختلف فيها. فالمتفق في الحركة ثلاثة. والممدود أنواع، في كل منها أقسام، وهي: فتح المقصور وفتح الممدود، وعكسه، وفتح المقصور وضم الممدود، وعكسه، وضم المقصور، وفتح الممدود، وعكسه.

فمجموع الأنواع تسعة، فكلها استوفاها المختلف المعنى، وجاء المتفق المعنى منها بنوعين: فتح المقصور مع ضم الممدود، وضم المقصور مع ضم الممدود، وضم المقصور مع كسر الممدود، فصار مجموع ذلك ستة عشر بابا.

قال رحمه الله:

11-[أطعْتَ الهوَى فَالقَلْبُ منكَ هَوَاءُ قَسَا كَصَفاً مُذْ بَانَ عنه صَفَاء].

قوله: (**أطعتَ الهوى**)، فيه نوع من البديع[1] يقال له: التجريد وهو: أن يجرد الإنسان من نفسه شخصا يخاطبه، والطواعية الانقياد والإذعان معنى.

والهوى "في الأصل ميل النفس إلى ما تهواه، من خير أو شر"[2] وهو بمنزلة الملك، والنفس زوجته، والشيطان وزيره، والشهوات حبائله وأسلحته، وأعمال السوء جنده، والدنيا محل سره ومكره. **قال الشاعر**[3]:

إنّي بُلِيتُ بـأَرْبَع يَرمُـــــونَـني بـالنّبْل عنْ قَـوسٍ لهَـا تَـوتِيــرُ

---

[1] – قسم من أقسام البلاغة يقصد منه: تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنويّ، فهو مختص بأوجه تحسين الكلام لفظا أو معنى فهناك محسنات لفظية كالجناس والسجع والاقتباس، وهناك محسنات معنوية كالتورية والطباق والمقابلة وغيرها.

[2] – هذا التعريف أضفته للحاجة إليه هنا، وينبه أيضا إلى أن الهوى عند الإطلاق، أو ذكر ذمه إنما يراد به الهوى المذموم؛ لأنه الغالب قال ابن الجوزي في كتابه ذم الهوى ص12. "ولما كان الغالب من موافق الهوى أنه لا يقف منه على حد المنتفع أطلق ذم الهوى والشهوات لعموم غلبة الضرر». وقال أعرابيّ: «الهوى هوان ولكن غلط باسمه، فأخذه الشّاعر وقال: إنّ الهوان هو الهوى قلب اسمه ... فإذا هويت فقد لقيت هوانا".

[3]– هو الشافعي رحمه الله كما في مناقبه للبيهقي 89/2 لكن بلفظ:" إني بليت بأربع يرميني..." وأكثر من أورد الأبيات أتى بها بيرميني.

إبـليسُ والدّنيـا ونفْسيَ والهوَى يـا ربّ أنتَ على الخَـلاصِ قَديرُ

والهوى معنى، والمعاني تتشكل وتخاطب وتعقل، وتعرف الله وصالح عباده، كخطاب النبي صلى الله عليه وسلم أم ملدم[1]، وأمره إياها أن تذهب إلى الجحفة، ورؤية بعض الصحابة لها، وكانوا سيارة فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**هل رأيتم في مقدمكم هذا أحدا**»؟ قالوا: لا، إلا أننا رأينا امرأة سوداء ثائرة الرأس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**تلكم الحمى أمرتها أن تذهب إلى مهيعة**» وهي الجحفة كما في حديث: «**اللهم انقل حمى المدينة واجعلها بالجحفة**».[2]

وفي هذا الباب مجال رحب، والحاصل أن قدرة الله صالحة لكل شيء فلا فرق بين ما تقدم وبين سماع العظم وإنطاق اللحم وإبصار الشحم.

والحاصل أن الهوى من حيث هو هوى، عبارة عن جماع الشر حتى يدخل في ذلك الكفر، وسمي الهوى بذلك، لأنه يهوي بصاحبه في النار أو المهالك التي تؤدي إلى العطب[3].

قوله: (**فالقلب**)، الفاء استئنافية، وسمي قلبا لكثرة تقلبه، مبتدأ، خبره **هواء**. قال الله تعالى: {**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ**}[**الأنعام: 110**] فلما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: أنخشى سلب الإيمان بعد ما خالطت بشاشته قلوبنا واطمأنت إليه أنفسنا؟ قال: «**نعم، إن قلوبَ العبادِ بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها ظهرا لبطن**»[4] فلما سمعوا ذلك تَغَشَّوا إحراماتهم، وجعلوا يبكون، فأنزل الله: {**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**} [**إبراهيم: 27**].

---

[1] – أم ملدم هي الحمى.

[2] – قصة دعائه صلى الله عليه وسلم بنقل حمى المدينة إلى الجحفة، ورؤيتها على شكل امرأة ثائرة الرأس ثابتة كما في صحيح البخاري ح 1889، وح: 7038. والجحفة موضع قريب من المدينة. كانت قرية جامعة على اثنين وثمانين ميلا من مكة. وكانت تسمى مهيعة. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي:111/2.

[3] – سُئِلَ ابنُ المقفع عن الهوى، فَقَالَ: " هَوَانٌ سُرِقَتْ نُونُهُ " ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن 168/16.

[4] – صحيح مسلم، باب تصريف الله تعالى القلوب 8ص51.م.

فالقلب بيت الله، إذا صار قلبا بأن انسدت ثُقب الرياح الأربع ببلاط التفويض ولَبِن التسليم، وأسكُفّ التقوى، ومنازل اليقين، فإذا لم تجد رياح الأهواء منفذا إلى سويداء القلب، اشتغل[1] مصباح البصيرة.

فانظر بقَلْبِك إن العينَ كاذِبَةٌ... واسْمعْ بقلبكَ إن السمعَ خَوَّانُ[2]

قوله: (**هواء**)، أي فارغ خال من كل خير، لأن الهوى إذا تسلط على القلب لا يُبقي ولا يذر. فالهوى خلو القلب من كل خير، والهواء الفراغ، والهواء ما بين السماء والأرض، والهواء الرياح، وهو من باب تسمية الشيء باسم ملازمه؛ لأن حقيقة الريح تحرك الهواء، فلما كانت كلما تحركت تحرك الهواء، سميت هواءً.

وفيه من البديع نوع واحد، وهو الجناس التام على رأي ابن الحاجب، خلافا للسفوجي القائل بأن المقصور والممدود متغايران، فيكون على رأيه الجناس الناقص بوصف حرف.

وقال شيخنا المغيلي: المد والقصر لا يُعد نقصا ولا مغايرة، إذ يجوز في صنعة الشعر قصر الممدود ومد المقصور[3]، ولم أعثر على كتاب وقع كله في الجناس إلا في هذا الكتاب.

وفيه من المنطق الاشتراك، وهو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، عكس الترادف[4].

قوله: (**قَسا كَصَفاً**) أي القلب، وذلك كناية عن عدم قبوله المواعظ والنصح، وعدم رحمته للصغير والبهيمة والضعيف، وعدم شفقته على الكبير والفقير، وكفرانه العشير، وعدم تحننه على

---

[1] – هكذا في النسخة المحققة وقد تكون اشتعل بالعين لمناسبة ذلك للمعنى ولفظ المصباح.

[2] – هذا البيت ينسب لأبي جعفر الأعمى التطيلي وهو من قصيدة له يمدح بها علي بن يوسف بن تاشفين انظر خريدة القصر 942/2.

[3] – انظر كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين لعبد الرحمن بن محمد الأنباري. 614/2.

[4] – قال السيوطي في كتابه المزهر في علوم اللغة وأنواعها ص292 :" الألفاظ المختلفة الموضوعة لمعان مختلفة وحينئذ إما أن يمتنع اجتماعهما كالسواد والبياض وتسمى المتباينة المتفاضلة، أو لا يمتنع كالاسم والصفة نحو السيف والصارم أو الصفة وصفة الصفة كالناطق والفصيح وتسمى المتباينة المتواصلة أو يتعدد اللفظ والمعنى واحد فهو الألفاظ المترادفة أو يتحد اللفظ ويتعدد المعنى فإن كان قد وضع للكل فهو المشترك... وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو عين الماء وعين المال وعين السحاب... وقد حده–أي المشترك–أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء". وينبه هنا على أنه تم تقديم بعض الجمل وهي" فالهوى خلو القلب..."إلخ. وذلك مراعاة للمعنى.

المعاهد، قال تعالى: {**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**}[**البقرة: 74**] ثم بين كونها أشد قسوة بقوله: {**وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** } [**القرة: 74**].

وعلامة قسوة القلب، عدم الضراعة، ولا سيما عند مخايل العذاب، قال تعالى: {**فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ**} [**الأنعام: 42**].

والقسوة أمر محسوس، يمنع حلاوة الدين، ويصدُّ عن الإقبال، ويحرم التوفيق، قال الله تعالى: {**وَمَنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**} [**الأنعام: 125**]. قال الشاعر[1]: (**من بحر البسيط**)

إِذَا قَسَا القَلْبُ لَمْ تَنْفَعْهُ مَوْعِظَةٌ ... كَالأَرْضِ إِنْ سَبِخَتْ لَمْ يَنْفَعِ المَطَرُ

وذلك قول الناظم: (**مذْ بانَ عنه صَفاء**) فـ«**مُذ**» من أدوات الجر، كمنذ، **بان** بمعنى انفصل، تقول: أبنت الرأس، أي قطعته وفصلته عن بدنه، ويأتي بمعنى بعُد. ويقال: بان إذا ظهر، وأبان: إذا أفصح، وأبان المرأة: إذا طلقها، قال الحجاج لهند: كنت فبنت[2]. فيقال طلاق بائن، والبينونة: المفازة.

و«**عنه**» متعلق بـ«**بان**» والضمير عائد على القلب ونكر **الصفا** للشمول والاستغراق، كقوله صلى الله عليه وسلم: «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**»[3].

والصفاء إنما يوصف به أربعة أشياء:

---

[1] – القائل هو: ابن عائشة كما ذكر ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله 700/1، وبعد هذا البيت بيت آخر هو: (والقطر تحيا به الأرض التي قحطت ... والقلب فيه إذا ما لان مزدجر).

[2] – ينقل أن الحجّاج سمع هندا تقول: وما هند إلّا مهرة عربية ... سليلة أفراس تحلّلها بغل

فإن ولدت فحلا فلله درّها ... وإن ولدت بغلا فوالده البغل

فأمر ابن القرّيّة أن يذهب إليها ويطلقها بكلمتين، ويمتّعها بعشرة آلاف درهم؛ فأتاها فقال لها: إنّ الحجّاج يقول لك: كنت فبنت، وهذه عشرة آلاف درهم متعة لك: فقالت: «يا بن القرية ما سررت به إذ كان، ولا جزعت عليه إذ بان، وهذا المال بشارة لك لما جئتنا به»، فكان القول أشد على الحجاج من فراقها». عيون الأخبار لابن قتيبة 228/2.

[3] البخاري ح:71، ومسلم ح: 1037.

1- القلب، قال الشاعر[1]: **(من بحر البسيط)**

وقـالوا قـدْ صَـفَتْ مِنّـا قُـلُوبٌ نعَمْ صَـدَقوُا ولكِنْ مِنْ وِدَادِ

2- والزجاجة: قال الشاعر[2]:

إنّ الزَّجـاجَ وإن صَـفَتْ جَوَاهِرُه ... يشينـُه اثنَـانِ كشفُ السّـر والخبر

3- والماء، قال الشاعر[3]: **(من بحر الوافر)**

ولي طبعٌ كَسـلْسـالٍ معـينٍ زُلالٍ مِن عَـلى الأحجـارِ جـارِ

يقال: صفا مشربه، وصفا مورده، كناية عن الماء، وعن الطمأنينة بعد التشريد، والتمكين بعد المصاولة والتنكيد.

4- والحدقة إذا لم يكن بها ظفر ولا رواق ولا قذى.

وفيه من أنواع البديع التلميح وحقيقته: الإشارة الخفية إلى مناسبة بين لفظين متغايرين في الظاهر متوافقين في الحقيقة، كاشتقاق **الصفا** من الصفو وفِطرة القلب على الصفاء. وأشار إلى ذلك بقوله: "**مذ بان عنه صفاء** ..." إذ لا يبين عن الشيء إلا ما كان ملازما له، وبالله التوفيق.

---

[1] – هو ابن الرومي كما في تحرير التحبير لابن أبي الأصبع العدواني ص331. وتنسب إلى غيره.

[2] – لم أقف على قائله. وهنا أقول كما قال التبريزي في مقدمة المشكاة" وَقَلِيلًا مَا تَجِدُ أَقُولُ: مَا وَجَدْتُ هَذِهِ الرِّوَايَةَ فِي كتب وَجَدْتُ خِلَافَهَا فِيهَا. فَإِذَا وَقَفْتَ عَلَيْهِ فَانْسِبِ الْقُصُورَ إِلَيَّ لِقِلَّةِ الدِّرَايَةِ، لَا إِلَى جَنَابِ الشَّيْخِ رَفَعَ اللَّهُ قَدْرَهُ فِي الدَّارَيْنِ، حَاشَا لِلَّهِ مِنْ ذَلِكَ".

[3] – هو أبو الفتح البستي ومع البيت بيتان آخران، وفيها من البديع ما يسمى بالمزدوج وهو: أن تأتي في أواخر الأسجاع في الكلام المنثور، أو القوافي من المنظوم، بلفظتين متجانستين، إحداهما ضميمة، إلى الأخرى على جهة التتمة والتكملة لمعناها. والأبيات بتمامها هي: أبا العباس لا تحسب بأني ... لشيبي من حلى الأشعار عار

فلي طبع كسلسال معين ... زلال من ذرى الأحجار جار

إذا ما أكبت الأدوار زندي ... فلي زند على الأدوار وار.

انظر الطراز لأسرار البلاغة للمؤيد بالله يحي بن حمزة 189/2 ونصرة الثائر على المثل السائر للصفدي ص33.

قوله رحمه الله:

12-[وَرُمْتَ جَدىً مَا إِنْ يَدُومُ جَدَاؤُهُ وَسِيَّانِ فَقْرٌ فِي الثَّرى وثَرَاءُ].

(ورمت)، أي: طلبت، أو حاولت، يقال: لا يرام، لا يحاول، قيل: سبْحان من لا يرام ولا يضام، والرَّومُ والرِّئامةُ: عطف الناقة على فصيل غيرها.

قال الشاعر[1]: **(من بحر البسيط)**

وليس ينفع ما تأتي العَلُوقُ به رِئْمان أنفٍ إذا ما ضُنّ باللبن

و**الجدى**، بالفتح والقصر: هو المطر، ويطلق ويراد به العطاء. قال الشاعر[2]. **(من بحر البسيط)**:

يُجديكَ معنٌ إذا ما رُمتَ نَائِلَه قبلَ السّؤَالِ فَلا تَلْوي عَلَى أَحَد

ويطلق ويراد به الرجاء، قال الشاعر[3] **(من بحر البسيط)**:

وصلتُ الجدَى بالله في كُلّ أزمَة فألفَيْتُه يُعْطِي المُنَى ويزيدُ

و**الجداء بالمد** والفتح: العطاء[4]. قال الشاعر: **(من بحر البسيط)**

---

[1]- البيت لأفنون التغلبي واسمه ظالم بن معشر وهو «كما في الخزانة».

أم كيف ينفع ما تعطي العلوق به رِئْمان أنف إذا ما ضن باللبن

وهو من الشواهد المعروفة. قيل: إن الكسائي أنشده في مجلس الرشيد بحضرة الأصمعي فرفع رئمان فرده الأصمعي وقال إنه بالنصب، فقال الكسائي: اسكت ما أنت وهذا؟ يجوز الرفع والنصب والجر فسكت. ووجهه أن الرفع بدل من (ما) والنصب بتعطي، والخفض بدل من الهاء. والعلوق: الناقة التي علق قلبها بولدها – فإذا مات حشوا جلده فتحكك أنفها به دون أن تدر لبنا والله أعلم. م.

[2] – البيت لم أجده منسوبا، وفي المعجم الوسيط باب الجيم ص112:" (الجدا) العطاء والمطر العام وفي الحديث (اللهم اسقنا غيثا غدقا وجدا طبقا) ويقال خير فلان جدا عام واسع".

[3] – لم أجده منسوبا وكلمة أزمة فيه ليست بمحدثة قال الجوهري في الصحاح (أزم) 1861/5:" الأَزْمَة: الشدَّةُ والقحط. يقال: أصابتهُمْ سَنَةٌ أَزَمَتْهُمْ أَزْماً، أي استأصلتهم. وأ زم علينا الدهر يأزم أَزْماً، أي اشتدَّ وقل خَيره. ويقال أيضاً: أَزَمَ الرجل بصاحبه، إذا لزمه".

[4] – قال ابن فارس في مقاييس اللغة، باب جدب، 435/1:(وَالْجَدَاءُ مَمْدُودٌ: الْغَنَاءُ، .... قَالَ:

إنّ الجداءَ حَليفٌ لَـو طلبت يدا هـ شحّاً لما شَحتْ أناملُه

يمطرنَ بالتبر إن سَحّ الغمَـــامُ بما فذا بماءٍ وذا بالتّبرِ نـائِلُـه

وقوله:(**سيان**) تثنية سواء، وسوغ الابتداء بالنكرة حصرها بالمجرور، فهو في قوة الفقر و**الثراء** في حالة الدفن في **الثرى سيان**.

و(**سيان**) لفظ مستعمل في أشعار العرب وخطبها ونثرها، وكثيرا ما يستعمل في أغياء[1] المدح، قال الفرزدق. (**من بحر الطويل**):

لا ينقُصُ العُدْمُ بسْطاً من أكُفِّهُـم سِيـانِ في ذاكَ إن أثْرَوا وإنْ عَدِمُـوا

و**الثرى** بالفتح والقصر: الأرض الندية، وهي هنا كناية عن القبر، وهذا من باب تسمية الشيء باسم ملازمه، و**الثراء** بالفتح والمد: كثرة المال. يقال: مال ثرى: إذا نمى وكثر. قال الشاعر[2]: (**من بحر الطويل**)

لعَمـرُكَ ما يُغْنِي الثَّرَاءُ عنِ الْفَتَى ... إذا حَشْرَجَتْ يوْماً وضَاقَ بها الصَّدْرُ

ومعناه: أنك قد اشتغلت بباطل حيث طلبت من سراب الدنيا شرابا؛ لأنها سراب في طي شراب، فالمطمئن إليها مغرور، والمحب لها مبتور، وهي كما وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: "**نِعْمَ الْمُرْضِعَةُ، وبِئْسَت الفاطمة**"[3]، ما مُلِئَ بيت فرحا إلا وملئ حزنا، وما ملئ حُبُورا إلا استَحَالَ غُرورا.

لَقَلَّ جَدَاءً عَلَى مَالِكٍ ... إِذَا الْحَرْبُ شَبَّتْ بِأَجْذَالِهَا).

[1]– لعلّ الكلمة أغيا بالقصر أي: أعظم المدح ومنتهاه. جاء في المعجم الوسيط "(أغيا) الرجل بلغ الغاية في الشرف ويقال أغيا الأمر وأغيا الفرس في سباقه بلغ الغاية أيضا".

[2] – هو: حاتم الطائي كما في التذكرة الحمدونية ،265/2. ويروى بلفظ:"أماوي" بدل لعمرك.

[3] – أخرج البخاري في صحيحه ح: 7148. من حديث أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة وبئست الفاطمة». وفي المطالب العالية، 447/13، قال الداودي: "نعم المرضعة أي في الدنيا، وبئست الفاطمة أي بعد الموت؛ لأنه يصير إلى المحاسبة على ذلك، فهو كالذي يَفطم قبل أن يَستغني، فيكون في ذلك هلاكه".

وإنما عابها المصنف بعيبين، وكفى بهما، وهما: الأول: عدم الدوام، بقوله: **(ما إن يَدُومُ جَدَاؤُه)** والثاني: استواء الغني والفقير في طعم الموت أيضا بقوله: **(وسيان فقرٌ في الثرى وثَرَاء)**؛ لأن خزفا يبقى خير من ذهب يفنى، فكيف إذا كان الذهب يبقى والخزف يفنى؟.

وفي البيت نوع من الاقتباس، وهو: الإتيان بالبيت مضمنا معنى آية من كتاب الله أو حديثا، إذ ضرب للدنيا مثلا بالمطر بقوله: **(ورمت جدى)** مطرا من الدنيا "**ما** " نافية و"**إن** " نافية أيضا، أي: **لا يدوم جداؤه**، أي عطاؤه، لأن الدنيا تعطي –فيما يرى الجاهل– الرزق والأموال والآمال وشرخ الشباب، كما أن المطر يعطي–فيما يرى الجاهل–الخصب والنبات والزرع والغُدُر[1]، وكل من النوعين لا بقاء له، ولا ثبات عليه، بل إنما جعلا للتزود والاعتبار فمن طلب منها غير هذ فقد أخطأ وخاب.

قوله رحمه الله:

13–[ولو في المَلاَ رُمتَ المَلاء حَلَلْتَ في رجاهُ إذا ما صَحّ منك رَجَاء]

قوله: **(ولو في الملا)** بالفتح والقصر: الغنى.[2] و**الملاء** بالفتح والمد: الأشراف والأعيان من بني آدم والملائكة: قال الله تعالى حكاية عن بلقيس: {**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي**} [**النمل:**

---

[1] – الغدر جمع غدير– قطعة من الماء يتركها السيل. م.

[2] – ما ذهب إليه الشيخ هنا من تفسير الملا بالقصر بالغنى دعاه إليه ما ذكره فيما بعد من أن تفسير الملا بالأرض الواسعة لم يقف عليه قولا قويا ولكن ذكر ابن ولاد التميمي ت222هـ في كتابه المقصور والممدود باب الميم قال في ص115 :(والملا. مفتوح الأول المتّسع من الأرض مقصور يكتب بالألف. قال بشر بن أبي خازم:

عطفنا لهم عطف الضروس من الملا ... بشهباء لا يمشي الضراء رقيبُها

أي لا يختل ولكن يجاهر. وقال آخر: ألا غنّياني وارفعا الصّوت بالملا ... فإنّ الملا عندي يزيد المدى بُعدَا

والملاء مصدر الملي ممدود ويقال إنّه لمليء بين الملاء فأمّا الملأ الجماعة من الرجال مهموز غير ممدود قال الله عزّ وجلّ {قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ}. والملأ أيضاً الخلق مقصور غير ممدود) وكذا اقال أبو علي القالي في المقصور والممدود ص11 (والملا ما اتسع من الأرض واستوى، مقصور يكتب بالألف، قال تأبط شرا:

ولكنني أروي من الخمر هامتي ... وأمضي الملا بالصاحب المتبذل

وقال حميد بن ثور: يبادرن أطفالا مساكين دونها ... ملا لا تخطاه العيون رغيب). وعلى تفسير **الملا** بالقصر، بالأرض الواسعة، و**الملاء** بالمد بالغنى فيكون معنى البيت أنك لو طلبت الغنى في الأرض الواسعة والفيافي القاحلة لوجدته إن صح منك رجاء وتوكل على الله، وهذا المعنى يناسب المقام ومقصد الناظم في الحث على التوكل على الله وصحة الرجاء فيه.

23] و**الملا** بالقصر، مشتق من المال، وقيل: من الملء. يقال: تمالأ القوم: إذا كثرت أموالهم، ويقال تمول. وفيه نوع من القلب الطبيعي معناه: لو أنك طلبت اتخاذ الملأ أي الأشراف أعوانا وأخلاء لوجدته زمن كونك ذا ملأ، أي غنى، إذا الأشراف والكبراء لا يعبؤون بمن لا مال له. قال الشاعر[1]. **(من بحر البسيط)**:

وَالنَّاسُ أَعْوانُ مَنْ وَالَتْه دَوْلَتُهُ ... وهَمُ عَلَيْهِ إِذَا عَادَتْهُ أَعْوَانُ

وأما قول بعض شروحه إن **الملا** هي: الأرض الواسعة[2]، فلم أطلع عليه فيما طالعت من كتب اللغة، إلا أني رأيت في شارح الهمزية عند قول البوصيري[3] :" وكان الملا..." قال: وجه الأرض، فإن كان له اشتقاق، فهو: من الميل وهو: سير الراكب حتى يميل من التعب، أو هو ما يملأ عين الناظر من البيداء حتى تحار دونه. ويكون معنى البيت على رأيه: الحث على العزلة طلبا للسلامة، ولم آخذ به ولم أدر ما هو، لكن معنى البيت: لو طلبت الوصلة بالملإ أي الأشراف زمن **الملاء** لحللت في أكنافهم وأرجائهم، ولشرفت بشرفهم.

و**الرجاء** مفرد الأرجاء، قال تعالى: {**وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا**} [**الحاقة: 17**]. **(إن صح منك رجاء)**، حقيقة الرجاء: تعلق القلب بمطموع فيه مع العمل في تحصيله، قال صاحب "الحكم"[4]: الرجاء ما قارنه عمل وإلا فأمنية. وفي معنى حصول الشرف بمجاورة الأشراف والتصدير بملازمة أرباب الصدور يقول الشاعر[5]: **(من بحر الطويل)**

---

[1] – هو أبو الفتح البستي والبيت من قصيدة طويلة مطلعها: زيادة المرء في دنياه نقصان... وبعد البيت المذكور:

"سَحْبان من غير مال باقِلٌ حصر ... وباقِل في ثراء المال سَحْبان"

انظر روض الأخيار لمحمد بن قاسم ص 125، ومجاني الأدب 96/4.

[2] – سبق بيان شواهد هذا القول، وذكره ابن سيده في المخصص في باب الفلوات والفيافي 71/3، وقال الزبيدي في تاج العروس باب ملو 454/39 (والمَلا، غَيْرُ مَهْمُوزٍ يُكْتَبُ بالألفِ عنْدَ البَصْرِيّين وغيرُهم يَكْتبُه بالياءِ، (الصَّحراءُ)، وَهُوَ المُتَّسَعُ مِن الأَرْضِ. وَقَالَ الراغِبُ: هِيَ المفازَةُ المُمْتَدَّةُ؛ قَالَ الشاعرُ:

أَلا غَنّياني وارْفَعا الصَّوْت بالمَلا * فإنَّ المَلا عِنْدِي يَزيدُ المَدَى بُعْدا).

[3] البوصيري: هو محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي المصري، شاعر مليح المعاني، ينسب إلى بوصيرى من أعمال بني سويف بمصر، وأصله من المغرب، له ديوان شعر، وأشهر شعره البردة. انظر الأعلام للزركلي، 139/6.

[4] – يقصد الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري ت: 709 هـ.

[5] – هو الأمين المحلي كما في خزانة الأدب للبغدادي، 104/5.

عَلَيْك بأربابِ الصُّدورِ فَمن غَدا ... مُضَافا لأربابِ الصُّدور تصدّراً

وإياكَ أن تَرضَى بصُحْبَةِ ساقِطٍ ... فيَنـــحَطّ قَدرٌ مِنْ عُلاكَ وتُحقَرا

والرجاء أساس الأعمال الصالحات وزمامها، قال الله تعالى: {**فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**} [**الصافات: 87**] وقال في الحديث القدسي: " **أنا عند ظَنِّ عبدي بي، ومعه ما تحركت شَفتَاهُ بذكري** " [1].

ويطلق **الرجا** بالقصر، ويراد به التأخير، قال الله تعالى: {**أَرْجِهْ وَأَخَاهُ**} [**الأعراف: 111**]، ويطلق ويراد به الانتظار. تقول للرجل: أرجني حتى آتيك.

ويطلق **الرجاء** ويراد به الخوف، وهو من باب تسمية الشيء باسم نقيضه، قال الله تعالى: {**إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا**} [**النبأ: 27**] أي لا يخافون.

قال رحمه الله:

14-[كَفَى بالفَنَا قُوتاً لِنفْسٍ فَناؤُها قَرِيبٌ ويَكْفِيها صَراً وصَرَاءُ]

(**كفى**): فعل ماض بمعنى الانتهاء، كما تقول: كفى بالله وكيلا، وكفى بالله شهيدا، فالأول الانتهاء في الضعة، والثاني الانتهاء في الرفعة، (**بالفنا**) جار ومجرور متعلق **بكفى**، والباء زائدة بمعنى التأكيد (**قوتا**) منصوب على التمييز.

[1] -حديث " أنا عند ظن عبدي " .... الخ متفق عليه من حديث أبي هريرة، وهو أول حديث طويل رواه البخاري في باب التوحيد، ح:7405، ومسلم في باب الذكر، ح:2675، وعند الحاكم في المستدرك، ح:1824 " أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه". م. بتصرف.

فالفنا، بالقصر: ما تساقط على الأرض من الطعام، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: **(أكلُ الفَنَا ولعْقُ الإناء وتَركُ الزنى يورثُ الغنى)**[1]. ويطلق ويراد به التافه من الرثة[2] قال الشاعر[3] **(من بحر الطويل)**:

تركتُ الفَنا للقومِ ينْتَهِبُـــــــونَهُ ... وصَمّمْتُ أبغِي الوتْرَ والسّلْبَ عن قَسْري

و**الفنا**: مؤخر خف البعير، وهو عين عكس الكوع، و**الفناء** بالمد: ضد البقاء.

قوله: **(لنفس فناؤها قريب)** فإن قلت: لم أضاف المصنف الفناء للنفس دون الجسم والفاني الجسم والباقي الروح تنعم أو تعذب، فيعتذر عن المصنف أنه إنما أراد بفناء النفس انقطاع نعيم الدنيا عنها، فصارت بذلك كأنها قد فنيت، وبأن طعم الموت إنما تذوقه النفس؛ لأنها حساسة، بخلاف الجسم، إذ إنما هو جماد كالخشبة، وإنما يتألم بواسطة النفس. قال تعالى: {**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**} (**آل عمران: 185**).

قوله: **(قريب)**؛ لأنها هُيِّئت له؛ لأن الفناء عرَض والعرَض لا ينسب إلى قرب ولا بعد، وهو هيئة تنشأ عن مباشرة العدم بنفس الوجود، تضمحل لكنها لا تزال تتكرر حتى ترجع الموجود للعدم المحض على ما اصطلحت عليه طائفة المتكلمين، أو لأن كل ما هو آت قريب، فالجديدان لا يزالان يتراكضان، حتى يُبليا كل جديد، ويقربا كل بعيد.

قوله: **(ويكفيها)**: ينفعها عن التغالي في تناول الملذات من المطاعم والمشارب أدنى موجود تحصل به البُلغة، ويسد به الرمق، **كالصرى** وهو: الماء المتغير من طول المكث، وقيل: ما يبقى في الحوض من الحصاة والهشيم الممزوجين بالماء المتغير بما تلقيه الرياح من فتيت الأرواث ومن مطعوم الدنيا.

---

[1] – أورده العجلوني في كشف الخفاء ح: 1805، بلفظ "غسل الإناء وطهارة الفناء يورثان الغناء" وقال: "أورده الديلمي ثم ابنه بلا إسناد عن أنس مرفوعًا: كذا في الأصل، والتمييز، وأخرجه الخطيب وابن النجار في تاريخهما، وهو ضعيف، والمشهور على الألسنة: "لعق الإناء ولقط الفناء يورثان الغناء"، واشتهر أيضًا: "لعق الإناء ولقط الفناء وترك الزناء يورث الغناء".

[2] – الرثة جمعه رث ورثاث: السقط من متاع البيت. م.

[3] – لم أقف عليه.

(**الصراء**) بالمد: وهو عجم الحنظل العامِي[1]؛ لأن العرب كانت تَتَقَوّت به في المجاعة. قال الشاعر[2]. (**من بحر الطويل**):

ولا شَيءَ مما يأكُلُ الناسُ عندنَا ... سِوى الحنْظَلِ العامِي أو العَلْهَزِ الفَسْل

قوله: (**كفى**)، يأتي متعديا، كقول الشاعر: "...**كَفَى المرءَ نُبْلا أن تُعَدّ معايبه**"[3]

ولازما، كقوله: (**كفى بالفنى قوتا**)، إذ من نوع اللازم ما لا يتعدى إلا بحرف الجر، كمَرَّ، ومنه ما لا يتعدى إلا بدخول همزة التعدية، كقام، فتقول: أقامه.

و**الفنى**، أصله فاعل، إذ اللفظة في قوة كفانا الفنى من جنس القوت، كما أن كفى بالله وكيلا في قوة كفانا الله من جنس الوكلاء وكيلا، و**فناؤها** مبتدأ، خبره قريب، وضمير المضاف عائد على النفس.

وقصارى المصنف في هذا البيت التزهيد في المشروب والمأكول. وقد قالت عائشة رضي الله عنها: "أولُ بدعة ظهرت في الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم: الشبعُ، ولقد كان يأتي علينا الهلالُ ثم الهلالُ وما أُوقِدتْ في بُيُوت آلِ محمدٍ نارٌ، إن هو إلا التمرُ والماءُ، إلا أن

---

[1] –الحنظل ـ نبات يمتد على الأرض ثمره ـ يشبه ثمر البطيخ لكنه أصغر منه، وهو سام ويضرب المثل بمرارته ـ ويعرف بالشري ـ وعجمه: حبه ـ العامي: القديم الذي له سنة ـ والمراد أن العرب كانوا يأكلون حب الحنظل القديم في المجاعة. والعلهز في البيت عبارة عن طعام من دم وشعر مخلوطين يشوى في النار ويدق وغالبا ما يؤكل في المجاعة الشديدة. م باختصار.

[2] – هو: لبيد بن ربيعة كما في ديوانه ص 79. وقيل لأعرابي أتى النبي صلى الله عليه وسلم يشكوا المجاعة ولم يسم ومع البيت أبيات يستعطفه بها وهي:" أتَيْناكَ يا خَيرَ البرِيّةِ كُلِّهَا ... لتَرْحَمَنا مِمّا لَقِينا منَ الأزْلِ

أتَيْنَاكَ والعَذْراءُ يَدْمَى لَبَانُها ... وَقَد ذَهِلتْ أُمُّ الصَّبِيّ عنِ الطِّفْلِ

وألقَى تَكَنّيهِ الشّجاعُ استِكانَةً ... منَ الجُوعِ صُمْتاً لا يُمِرُّ وَلا يُحلي"

[3] – الشاعر: علي بن الجهم وتمام البيت: وَمَن ذا الَّذي تُرضى سَجاياهُ كُلُّها *كَفى المَرءَ نُبلاً أَن تُعَدَّ معايبه. نهاية الأرب في فنون الأدب. 3/ 67.

لنا جيرانا من الأنصار ربما أتونا بمَذْقٍ[1] من لبن، ولقد فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا وما شبِع آلُ محمد من خُبْزِ الشعير"[2].

وقد قال صلى الله عليه وسلم: "**ما ملأ ابنُ آدم وعاءً شرا من بطنه، فإن كان لا بد، فثلثٌ للطعام، وثلثٌ للشراب، وثلثٌ للنّفَسِ**" وفي رواية: "**بحسْب ابنِ آدم لقيمات يُقِمْن صُلْبَه، فإن كان لابد، فثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث لنفسه**"[3]. قال ابن الخطيب[4] في المواهب: "لو سمع بقراط[5] بهذه القسمة لعجب من هذه الحكمة"، وهذا من جوامع الكلام التي لم يسبق إليها ولم يأت أحد قبله ولا بعده بمثلها.

قال الناظم برد الله ضريحه:

15-[رُزِقتَ الحيَا كنْ لِلحَياءِ مُلازما فبعدَ الجَلاَ يُخْشَى عليكَ جَلاءُ]

قوله: "**رُزقتَ**" مبني للمفعول، وهو: للدعاء، و**الحيا** بالقصر والفتح: الغيث، وسمي بذلك؛ لأن به حياة الأرض، قال الله تعالى: {**وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**} [**النحل: 65**] وقال: {**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**} [**الأنبياء: 30**].

---

[1] – المَذْقُ: اللبن الممزوج بالماء. م.

[2] – هذا الأثر ذكره أبو طالب المكي في " قوت القلوب " 283/2، وأبو حامد العزالي في " إحياء علوم الدين " 86/3، والصنعاني في " سبل السلام 652/2 منسوباً إلى عائشة رضي الله عنها دون سند لكن بعض جمله عند مسلم ح: 2972 وبعضه عند ابن حبان وبعضه عند ابن ماجه ح: 4144. وهناك رواية للأثر بلفظ آخر عند ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع ص43 لكن سنده ضعيف بل قال الألباني عنه منكر موقوف في كتابه ضعيف الترغيب"ح: (1239).

[3] –حديث: "ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه" إلخ .. حديث حسن رواه الترمذي والنسائي وأورده الغزالي بلفظ" ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب وثلث للتنفس". وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: حسن 4/2.

[4] – ابن الخطيب هو محمد بن عبد الله بن سعد الشهير بلسان الدين وذي الوزارتين لجمْعه بين مهنة الوزارة ومهنة الكتابة وهو مؤرخ وأديب ت776هـ بفاس. م.

[5] – هو الطبيب اليوناني المشهور ابقراط أي أبو الطب ولد حوالي سنة: 460 قبل الميلاد من أشهر الأطباء الأقدمين، تعلم الطب من أبيه وجده وبرع فيه حتى لقب بأبي الطب وكان أعظم أطباء عصره، وأول مدون لكتب الطب ونسبت له الكثير من المؤلفات. منها كتاب الأجنة وكتاب طبيعة الإنسان وكتاب الأهوية والمياه والبلدان وكتاب الفصول وغيرها. انظر ترجمته في دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي.

وللحيا حالات مختلفة، فأول مطرة تسمى: الوسمي، والثانية الولي، والثالثة الآتي. وله أسماء: منها الجون، وهو الأسود الكثيف الدقيق القطر، والوابل وهو: الشديد القطر المنسكب بقوة وربما جاء صحبته رعد قاصف، والوكف وربما قيل له: الواكف، وهو الذي يأتي عوارض، والودق، وهو الذي يصاحبه البرد، وبرقه يغشي البصر، قال الله تعالى: {**يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ**} [**النور: 43**]، والجود وهو الذي يأتي من كل ناحية، ولا يكون معه ريح ولا صواعق، والغوادي، هو: الذي يأتي ضحى، ولا يكثر مجيئه إلا في سنة الخصب. قال الشاعر[1]: **(من بحر الكامل)**

لا يَبْعُدَنْك ربيعة بن مُكدّم ... وسقَى الغَوادِي قَبْرَه بِذَنُوب

والهطلاء وهي التي تُروي الأرض من غير أذى، والسماء، وهي الكثيفة التي لا رعد فيها ولا برق، والديمة، وهي التي تقيم أسبوعا من غير إقلاع، وربما أنبتت الأرض في أثنائها، والسارية، وهي التي تأتي آخر الليل، والرش، ويكون بعد الوبل وقبله، وربما جاء بدونه، والطش، دون الرش، والرذاذ دونهما، ومن تسمية المطر بالسماء قول الشاعر[2]: **(من بحر الخفيف)**

إذا نزلَ السّماءُ بأرضِ قَومٍ ... رَعَيْنَاهُ وإنْ كَانوا غِضَابا

وفي الأثر: أصبح النبي صلى الله عليه وسلم على إثْرِ سماءٍ فقال: "**أصبحَ الناسُ اليومَ مؤمنا وكافرا، أما من قال مُطِرنا بفضلِ الله ورحمته، فهو مؤمنٌ بالله كافرٌ بالكواكب، وأما من قال: مُطِرنا بنَوْءِ كذا وكذا، فهو كافرٌ بالله مؤمنٌ بالكواكب**"[3].

---

[1] – هو: حسان بن ثابت قال لما مرّ بقبْر ربيعةَ بْنِ مُكَدَّم:

لا يَبْعدنَّ رِبيعَةُ بْنُ مُكَدَّمٍ ... وَسَقَى الغَوادي قبرَهُ بذَنُوبِ

نفرت قَلُوصي من حِجَارةِ حرة ... بُنِيَتْ عَلَى طَلَق اليَدَيْن وَهُوب

لَوْلا السِّفَارُ وبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ ... لتَرَكتُها تحْبُو عَلَى العُرقُوبِ. هكذا ذكر الخطابي في غريب الحديث: 369/1.

[2] – البيت لجرير: وهو جرير بن عطية الكلبي اليربوعي، من تميم. ولد في اليمامة عام 28 هـ/ 640 م. وفيها مات عام 110 هـ/ 728 م. من فحول الشعراء في عصره، كان له مع الشعراء مساجلات ونقائض. الأعلام للزركلي 2/ 119.

[3] –حديث أصبح الناس اليوم الخ .. حديث متفق عليه رواه البخاري في صفة الصلاة ح: 846، ومسلم في الإيمان ح: 125.م. باختصار وتصرف يسير.

قوله:(**كن**) فعل أمر من كان الناقصة و**للحياء** بالمد متعلق **بكن** (**ملازما**) خبرها، واسمها مستتر وجوبا. والحياء بالمد ضد الفحش، وقيل هو ضد الوقاحة قال الشاعر[1]: (**من بحر الوافر**)

إذا رُزق الفتى وجهاً وقاحاً ... تقلبَ في الأمورِ كما يَشاءُ

وهو مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم: "**إن مما أدرك الناسُ من كلام النبوة الأولى إذا لم تَسْتَحِ فاصْنعْ ما شئت**"[2]، ومنه قوله تعالى: {**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**} [**فصلت: 40**] والكل بمعنى التهديد، والتهديد وعيد شديد في طي مسامحة وتمهيد. والحياء سلم النجاة، ومنبع الخيرات. وهو انكسار يلازم النفوس الشريفة، يصونها عن الميل إلى سفاسف الأمور. ويبلغ الحياء من الرجل حتى إنه ليستحي من نفسه أن يراها في غير لائق، كما يستحي من غيره أن يراه على ذلك، وقال صلى الله عليه وسلم: "**الحياءُ شعبةٌ من الإيمان**"[3]. قال الشاعر[4]: (**من بحر الوافر**)

فلَا واللهِ مَا في العَيشِ خَيرٌ ... ولا الدُّنيا إذا ذَهَبَ الحيَاءُ

نعم ذلك في الحياء من حيث هو حياء حقيقي، غير أن تحته نوعا يغتر به الجاهل يحسبه حياء لشبهه به وإنما هو الوهن، وهو الذي يمنع الإنسان من اقتناء ما لابد له منه، مما يحسب الجاهل أن تركه من باب الحياء، كتركه الغسل من الجنابة في الملإ حتى يفضي به ذلك إلى الصلاة بالجنابة، والأكل عليها[5]، وكذلك ترك ما لا يعلمه مما يستحي من الكشف عنه،

---

[1] – قال محمد بن حبان البستي في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص58: ولقد أنشدني علي بن محمد البسامي...وذكر البيت ثم ذكر بعده بيتين آخرين. ولم أقف عليه منسوبا عند غيره.

[2] –حديث "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إلخ .. صحيح البخاري ح:(6120). م. باختصار وتصرف يسير.

[3]– حديث " الحياء شعبة من الإيمان " الخ جزء من حديث متفق عليه رواه البخاري في كتاب الإيمان ح:(9) ومسلم في الإيمان ،ح:57. ولفظ البخاري: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ». م. بتصرف يسير.

[4] – هو حبيب بن أوس كما في بهجة المجالس وأنس المجالس ص129.

[5] – بما أن الكتاب كتاب لغة وأدب فقد يستغرب القارئ هذه المسألة، وهي مسألة فقهية أشار إليها الشيخ وخلاصة القول فيها: أنه لا يَجِبُ الغُسْل من الجَنَابَةِ عند الأكل، وإنّما يُسَنُّ للجنب الوُضُوءُ فقط إذا أرادَ الأَكل، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء. والدليل على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان: (إذا أراد أن يأكل أو ينام وهو جُنُبٌ تَوَضَّأَ) رواه مسلم ح: 461.

كالمذي، والحيض، والاستمناء، ومن ذلك تحرُّجُه من أن يصلي في آخر الوقت، والناس ينظرون إليه مخافة أن ينسبوه إلى التهاون بالصلاة، حيث منعه مانع من صلاتها في أول الوقت، وكذلك تقصيره عن أخذ حقه حيث خاصم أو خوصم؛ لأن الله ذم النساء بعدم البيان في الخصام فقال: {**أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**} [**الزخرف: 18**] فذم الرجال بذلك من باب أحرى، قال الله تعليما لعباده: {**وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ**} [**الأحزاب: 53**]، وهو أن يعبر عن الزنى واللواط والوطء في حالتيْ الحيض والإحرام، إلى غير ذلك، وقال صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يعبر عن أشياء تتعلق بالسوأتين: "**إن الله لا يستحيي من الحق وإنما أنا أبوكم أعلمُكم كما يعلمُ أحدُكم ولدَه , إن الشيطانَ ليأتي أحدَكم فيلوي شعرةً من دُبُره ليفسدَ عليه صلاتَه، فمن وجد ذلك فلا ينصرف حتى يسمعَ صوتا أو يجد ريحا**"[1]، وقال صلى الله عليه وسلم: "**من تَعزّى عليكم بعزاء الجاهلية فأعضُّوهُ بِهَنِ أبيه ولا تكنوا**" [2] وهو أن تقولوا له كما قال بلفظ الأيْر.

وأما الأمور التي تنافي الحياء، فذكر الفروج بالأسماء المستقبحة عند العرب من غير ضرورة، والتعبير عن الوطء بما يستقبح سماعه، والإكثار من السب واللعن، والكشف عن مساوئ الجيران والرفقاء، وترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر عندما تعاين موجباته، وحرمان الجار والتهاون بأمر الضعيف، واحتقار المملوك وإضاعة الطعام، وعدم إكرام النعمة والتهاون بالكرام، وصحبة اللئام، وعدم الاحتشام، والانهماك في الشهوات، وارتكاب ما يخل بالمروءات من عدم نقاء الثوب، وخِفَارةُ المستجير[3] والنزيل، وقطيعة ذوي القرابات، والتساهل بالأيمان والنذور والتبعات، وكشف الرأس والساقين، ورفع الصوت في الجماعات، وكثرة الطيش والالتفات، إلى غير ذلك.

---

[1]–حديث ـ إنما أنا أبوكم "رواه أحمد بلفظ إن الشيطان ليأتي أحدكم وهو في صلاته فيأخذ بشعرة من دبره فيمدها فيرى أنه أحدث فلا ينصرف حتى يسمع صوتا، قال ابن حجر في التلخيص فيه أحمد بن زيد بن جدعان. 1 / 128.م.

[2] – حديث ـ من تعزى عليكم ـ رواه أحمد والنسائي وابن حبان وأورده صاحب كشف الخفاء تحت رقم 2437، بدون ذكر عليكم، والله أعلم. م.

[3] – في مختار الصحاح مادة: خ ف ر: الخَفِيرُ المجير تقول خفر الرجل أي أجاره وكان له خفيرا يمنعه.

والحياء أعزك الله له درجات متفاوتات، منه أعلى، ومتوسط، وأدنى. فأعلاه: حياء الأنبياء والأولياء، ومتوسط وهو: حياء خواص المؤمنين، ودون ذلك وهو حياء عامة المسلمين، وفي كل الحياء خير.

قوله: (**فبعد الجلا**) بالقصر والفتح، هو ذهاب شعر اليافُوخ[1] (**يخشى**) أي يخاف عليك (**جلاء**) بالمد، وهو الذهاب عن الوطن ومسقط الرأس، ومراد المؤلف: الموت؛ لأن انجلاء، مقدم الرأس دليل السن، والسن جالب الشيب، والشيب نذير الموت.

و**الجلاء** بالمد: مصدر جلوت القوم أو الرجل، أجلوه جلاء وأجليته، إذا أنفيته، قال الله تعالى: {**وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ**} [**الحشر**: 3].

فإن قلت: ما وجه المناسبة بين الموت والجلاء؟ قلت: وجه المناسبة أن كلا منهما، يخلي المواطن، ويعطل المعاطن، ويحرق الألباب، ويفرق الأحباب، ويجلب للعمارة الخراب، فلذلك كني بالجلاء عن الموت لاشتراكهما في الإدهاش، والاستيحاش، وسرعة الذل والتلاشي والانكماش بعد الأثاث والرياش. قال الشاعر[2]: (**من بحر الطويل**)

أَيا فرقَة الأحَبابِ لَا بدَّ لِي منكِ... وَيا دارَ دُنيا إِنَّني رَاحِـــــلٌ عنكِ

وَيا قِصَرَ الأيامِ مَا لي وللمُـنى ... وَيا سَكراتِ المَوتِ مَا لي ولِلضحكِ

وقوله: (**يُخشَى**): مقحم، إذ المحل محل خوف، لا محل خشية، لأنه إنما تستعمل الخشية فيما ترجى النجاة منه، بخلاف الموت. فحقيقة الخشية: خوف تصاحبه معرفة وسكون.

مثاله: قوم سمعوا بعدو عظيم، فمنهم من تحصن وخندق على حصنه وأعد من الذخائر ما لا يخاف معه طول حصار العدو، ومن العدد والعدد ما عسى أن يقاومه به مذبا، وربما طمع في الظهور عليه، فهو ساكن مطمئن لثبوت جأشه وقوته، فهذا مثال الخشية.

---

[1] – هو أَعْلَى الرَّأْسِ ، وَهُوَ مُلْتَقَى عَظْمِ مُقَدَّمِ الرَّأْسِ وَمُؤَخَّرِهِ.

[2] – هو أبو بكر السعدي الزهري من أبيات له ذكرها المستعصمي في الدر الفريد: 68/5.

الثاني: أمعن في الهرب على وجه يرتجي به النجاة، ولم يترك وجها من الوجوه يرجو به نجاة إلا ارتكبه، فهذا خائف.

الثالث: انخلع قلبه من الفزع، لا يعلم حيلة، ولا يهتدي إلى سبيل من شدة الهلع، فلما رأى نفسه كذلك، ترك الحيل والاستعداد، والتجأ إلى الملك القاهر فمنعه، فهذا راهب، لبه ذاهب.

قال رحمه الله:

16-[أيا بنَ البرى اسْتَحْضِرْ بَرَاءً من الدُّنا فشِبْهُ العَفَى المُلْقَى عليهِ عَفَاءُ]

قوله: (**أيا**) حرف نداء للبعيد، وما في معناه، كالأصم والنائم، (**ابن**) : منادى مضاف منصوب ومعنى الابن معروف، واشتقاقه من البناء، لأن أباه تسبب في بناء جثمانه، تقول إذا صغت منه فعلا تبنيته، فترده إلى أصل مصدره بناء، فاستثقلت العرب الإتيان بالهمزة إثر ضم، فأبدلوا منها واوا فقالوا: بنوة، و**البرى** بالفتح: الأرض، لأن أبا البشر آدم عليه السلام خلق منها، فلما كان أصله منها، صار كأنه ابنها، قال الله تعالى: {**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ**} [**طه : 55**] وقال صلى الله عليه وسلم: " **أنتم من آدمَ، وآدمُ من تراب**"[1] فأنّى لكم الفخر والكبر والخيلاء، وأنتم من الحضيض الأسفل الذي لا يأنف أن يُداس بالقدم والخف والحافر، ولا يمتنع من أن تُلقى عليه الجيف والأقذار، ومع ذلك لا يخرج منه إلا المليح المشتهى.

قوله: (**استحضر**)، أي في نفسك، (**براء**) بالمد، مفعول لاستحضر، والبراء بالمد من التبري من الشيء، وهو دفعه والتخلي عنه، قال الله تعالى: {**إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ**} [الممتحنة: 4] جمع بريء (**من الدُّنا**) وحقيقة الدنيا ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء (**فشِبْهُ العَفَى**) وله اشتراكات منها الرمل الذي عفا من الساكن، ومنها الربع إذا خلا من أهله، ومنها الشيء

[1] – رواه أبو داود، ح:5116 بلفظ: "إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عِبِّيّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان، التي تدفع بأنفها التتن" وحسنه الألباني. وكذا رواه الترمذي، ح:3956، وأحمد،ح:872: بلفظ " بنو آدم" وهناك رواية أوردها الألباني في "صحيح الجامع" (رقم6798) :"كلكم من آدم وآدم من تراب». م. بتصرف.

التافه. و**العفاء** بالمد: ـ الميتة ـ[1] قيل: إذا كان عندي قوت يومي، فعلى الدنيا العفاء، وقد يشترك **العفى** و**العفاء**، ويقال للرمل: **العفاء** بالمد، (**فشِبْهُ**) خبر لمبتدأ محذوف، (**العَفى**) مضاف إليه، (**المُلْقى**) نعت للعفى، (**عليه**)، جار ومجرور خبر للعفاء، وهذا غاية في عيب الدنيا وتحقيرها، إذ جعلها ميتة على تل، أو ميتة عليها ما تذروه الرياح من الرمل والهشيم، وهو مضمن في حديث السخلة التي وقف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ميتة في ربع قوم فقال: "**أتَرَوْن هذه قدْ هانت على أربابِها؟**" قالوا لو لم تَهُن عليهم لما تركوها، فقال: "**والله إن الدنيا لأهونُ على الله من هذه السّخْلَة على أربابها**"[2].

وأما قول بعض شروحه إن المراد: **بالعفى** ولد الحمار في لغة طيء فلم أطالعه[3] وهو بخلاف الاشتقاق. و**العفاء** بالمد أيضا: التافه من المأكول، وقد يقال للعذرة اليابسة، فعلى هذا التأويل معناه أن المشتغل بالدنيا المُتَهَاتِر بحبها، همته كهمة الحمار، إذ ليست له بشيء همة سوى القَضْم والخَضْم[4]. لا جعل الله لهمنا تعلقا إلا به، وأما العفاء بالمد، فقد يكون اسما للرياح. قال ابن تميمة في الأغاني (**من بحر الكامل**):

دَرجَ العَفاءُ على منازِلِ جيرتي ... فغَدتْ مُناخا للدُّبَى والجُدْجُـدِ

واسْتعْجَمت من بعدِ قاطِنِها فَلا ... طَيرٌ يُجيبُ بها خِلافَ الهُدهُد

---

[1] – ذكر ابن علي القالي في المقصور والممدود ص 424: أن من معاني العفاء الريش والوبر.

[2] حديث ـ أترون هذه قد هانت على أربابها إلخ .. رواه الترمذي ح:2321، وصححه الألباني.

[3] – قال الزبيدي في تاج العروس باب: عفو"(وأَبو العِفاءِ: الحِمارُ) والعِفاءُ جَمْعُ عَفْوٍ، وَهُوَ الجَحْشُ." انتهى وللأزهري في تهذيب اللغة باب العين والفاء 142/3"قال: والعفاء من الوبر ممدود... وقال ابن هانئ: قال أبو زيد، يقال عفو، وثلاثة عفوة مثل قرطة، وهي العفاء وهو الجحش والمهر أيضا... وقال الليث: ولد الحمار عفو والجميع عفوة وعفاء؛ كما قال أبو زيد. وهي أفتاء الحمر".

[4] – الخضم والقضم القطع لكن قال السيوطي في المزهر في علوم اللغة 43/1" قال الكسائي: القَضْمُ للفرس والخَضْمُ للإنسان. وقال غيرُه: القَضْم بأطراف الأسنان والخَضْم بأقْصى الأَضراس".

قال رحمة الله عليه:

17-[وبعْدَ العَرى سُكْنى العَراءِ فكُلُّ ذِي نَسًى هَالكٌ لا يَغرُرْنك نَسَاءُ]

قوله: (**وبعد العرى**) بالقصر والفتح، وهو عبارة عن أفنية الدور المتخذة للسمر، تنقل على رغم أنفك إلى سكنى (**العراء**) بالمد والفتح، وهي الأرض التي لا نبات فيها، وهو مشتق من العري، وهو ضد الاكتساء، قال الله تعالى: {**فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ**} [**الصافات: 145**] وكنى بسكنى العراء عن القبر ووحشته وظلماته.

قوله: (**سكنى العراء**)، مبتدأ مؤخر، (**العراء**) مضاف إليه ما قبله، **وبعد العرى** جملة اسمية في محل الرفع لسدها مسد الخبر، التقدير: **سكنى** كائن بعد **العرى**، والفاء سببية في قوله: (**فكل ذي نسى**) و**كل** مبتدأ خبره (**هالك**) (**لا**) ناهية (**يغررنك**) فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، ونون التوكيد، والضمير مفعول، و (**نساء**) فاعل، **فالنسى** بالقصر: كثرة المال ونماؤه، معناه: أن كل ذي مال وثروة وعز فإن أجل الله آتيه. فلا يخدعنك عن التأهب والتزود (**نساء**) بالمد أي تأخير نزول الموت، و**النسى** بالقصر: المال، وبالمد التأخير، ويطلق **النسى** بالقصر، ويراد به عرق في الفخذ يمتد من الورك وينتهي إلى الخنصر، وقد يمد قال فروة بن مسيك، لما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من بحر الكامل**)

لمـا رأيتُ ملوكَ كِنْدَة أعْرضَت كالرِّجلِ خَانَ الرجلَ عِرقُ نَسَـائِها

قـدّمتُ راحِـلَتي أؤُمُ محمّـدا أرجُو فَوَاضِـــلَها وحسنَ ثَرَائِها

و**النساء** مصدر نسِئ ينسأ فهو ناسِئ ومنسِئ، واسم المفعول منه مُنسَأ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم «**من أراد أن يمُد الله له في رزقه، وينسَأَ له في أثَرِه فليَصِلْ رحمه**»[1].

وهما على كلا الوجهين-**النسى** و**النساء**- فمعناهما المتبادر بديهة الزيادة والتأخير، قال الله تعالى: {**إنما النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ**} [**التوبة: 37**] وذلك أن العرب كانت إذا انصرفت من الموسم فأرادت حربا

[1] – هذا الحديث متفق عليه بلفظ" من أحبّ أن يُبسَطَ له في رزقِه وينسأ له في أثره فليصل رحمه " البخاري ح: 5986، ومسلم ح:2557 . م. باختصار وتصرف يسير.

أو غزوا أتت النسيئة فأحلت لها شهرا من الأشهر الحرم، وجعلت محله شهرا من أشهر الحل، ليكملوا بذلك الشهر الحلال الذي حرموه بزعمهم عدة الأشهر الحرم الثلاث المتواليات، وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ويحرمون أحد الصَّفَرين. فقد زادوا أحد الصَّفَرين، وأخروا حرمة المحرم إلى العام القابل. وفي ذلك يقول عمرو بن قيس يفتخر: (**من بحر الوافر**).

لقـدْ عَـلِمتْ مَعَـدّ أن قَـومِي كرامُ النّـاسِ إنّ لهـا كِرَامـا

ألسْـنـا النّـاسِئـينَ على مَعَد شُـهورَ الـحِـلّ نجْعلُهـا حَرامـا

قال رحمه الله:

18-[فجُدْ بالفَضَى واغْشَ الفَضَاءَ ولا تَكُنْ دَوىً فاتّقَـاءُ المُـوبقَـاتِ دَواءُ]

قوله: (**فجد**)، فعل أمر من جاد، (**بالفضى**) قيل: هو العطاء الواسع. وقيل: طعام الدعوة الواسع الذي يعم الشريف والمشروف، والمجهول والمعروف.

(**واغش الفضاء**)، وهي: الأرض الواسعة، سميت بذلك لأن كل حيوان يفضي إليها بجنبه، وذلك تلميح لقوله تعالى: {**أَلَمْ نَجْعَلْ الأَرْضَ كِفَاتاً * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً**} [**المرسلات: 25-26**] وسميت الأرض بالفضاء، من باب تسمية الشيء باسم ملازمه، وهو الإفضاء المهنأ الذي هو بمعنى المباشرة، قال الله تعالى في وصفها بذلك: {**وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ**} [**الذاريات: 48**] وقال: {**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا**} [**النبأ: 6**] لا تغرق كالماء، ولا تزلق كالهواء، ولا تمنع الوطأة كالحِرَار[1].

قوله: (**ولا تكن**)، جازم ومجزوم، (**دَوى**) خبر كان، أي ذا جهل وحمق، وهو المهذار من غير فائدة، وهو مأخوذ من دوي النحل، فإنه يسمع له دوي ودندنة، ولا فائدة تحته، (**فاتقاء**) أي اجتناب الموبقات، أي المهلكات من الأعمال والاعتقادات (**دواء**) بالمد. وحقيقة الدواء عقار

[1] – جمع حَرة وهي الحجارة السود وقد تجمع على الحَرَّات، قال قطرب في مثلثه مقدما فتحا على كسر فضم مسجلا" الحَرة الحجارة * والحِرة الحرارة* والحُرة المختارة* من محصنات العرب".

يُؤَلّفُ من منافع النباتات والمعادن يستعمل لدفع الداء، وإنما عنى المؤلف الاحتماء من ارتكاب الأخلاط المضرة؛ لأنه الدواء الذي لا داء معه، ولا دواء يشاكله.

والمصنف أشار في بيته هذا إلى أربعة فصول كل منها مهم:

الأول: السخاء بقوله: **(فجُدْ بالفضى)**.

الثاني: العُزلة، بقوله: **(واغْشَ الفضَاء)**.

الثالث: التَّوَقِي من التهور وعدم الكيس، بقوله: **(ولا تكن دَوىً)**.

الرابع: الاحتماء من مباشرة ما يجلب الداء المؤدي إلى طلب معالجته بالأدوية.

وأما **السخاء** فحقيقته: البذل عند الوُجد مع تكلف وتعسف، يُوجَد تارة، ويُفْقَد أخرى.

كما قال الشاعر[1]:

ليسَ العَطَـاءُ من الفُضُـول سَمَاحَة حَـتّى تجودَ ومـا لديكَ قَلِيـلُ

وأما الحمق، فهو ضد العقل، فكل خصلة في العقل، فإن في الحمق ضدها!. ثم العقل عقلان: عقل الحجة، وهو الذي يوجب التكليف وتترتب عليه الأحكام من غير فائدة، وهو الدُّنيَوي. قال الشاعر[2]: **(من بحر الكامل)**

أبنـيّ إنّ منَ الرجَـالِ بَهِيـمةً في صُـورةِ الرّجُل الفطينِ المبصِر

فَطِـنٌ بكُـلّ مُصـيبةٍ في مَاله وإذا يُصـاب بدينـه لم يَشْعُـــر

---

[1] – القائل المقنع الكندي كما في التذكرة الحمدونية. 300/2.

[2] – تنسب لعلي رضي الله عنه كما في مجاني الأدب: 12/2، وفي التذكرة الحمدونية: 72/5 نسبت لأبي الأسود الدؤلي من جملة أبيات هي: "ذهب الرجال المقتدى بفعالهم ... والمنكرون لكلّ أمر منكر

وبقيت في خلف يزيّن بعضهم ... بعضا ليدفع معور عن معور

سلكوا بنيّات الطريق فأصبحوا ... متنكبين عن الطريق الأنور...."

الثاني: هو العقل التام النافع، وهو عقل الخواص، فمنه ما لا يزيد ولا ينقص، وهو الغريزي، ومنه ما يزيد وينقص، وهو المكتسب من السير وكثرة التجارب. قال الشاعر[1]: **(من بحر الطويل)**

إذا طالَ عمرُ المرءِ في غيرِ آفةٍ ... أفادتْ له الأيامُ في كرّها عقْلا

ويروى أن عقل الرجل يعرف بأربعة أشياء: بجوابه، وكتابه، وهديته، وعتابه، إذ العقل لا ينظر إليه، وإنما ينظر إلى تصرفاته على صفحات الجسم، وتراجم الرسم.

وإنما قال المصنف: **(فاتقاء الموبقات دواء)**؛ لأن باجتناب الكبائر تُغفر الصغائر، نعم الاجتناب لا تغفر الصغائر به مجانا، إذ لم يرد بذلك أثر، إلا إذا اجتنب الكبائر، وواظب على الصالحات من الأعمال، صارت تلك الأعمال مكفرات لخطاياه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**رمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما من الخطايا إذا اجْتُنِبت الكبائر**»[2] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مثلُ الصلوات الخمس، كمثل نهر غَمْرٍ بِبَابِ أَحَدِكُمْ. ينغمس فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، أفتروه يُبقي مِنْ دَرَنِهِ شيئا، قالوا: لا، قال كذلك الصلواتُ الخمس**»[3] غسل الله عنا وعن المسلمين درن كل عيب، إنه الواسع المفضال.

وقال رضي الله عنه:

19-[كَأنّ الوَرَى والموتُ نِسْيٌ وَرَاءَهُم ذَوَاتُ الأَبَـا قَدْ حَازهُن أَبَـاءُ]

قوله: **(كأن الورى)**، كأن واسمها، وهي حرف تشبيه ونسخ، و**(ذواتُ الأبَا)** خبرها، **(والموتُ نَسْي)** جملة حالية لا محل لها من الإعراب، لكونها اعتراضية بين اسم كأن وخبرها،

---

[1] – ذكره الطرطوشي في سراج الملوك من غير نسبة ص67، والماوردي في أدب الدنيا والدين: ص20 من غير نسبة أيضا وكذا المستطرف ص42.

[2] – حديث " رمضان إلى رمضان..." حديث صحيح رواه مسلم ح:233 بلفظ " «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر».

[3] – متفق عليه مسلم ح:668 والبخاري ح:528 بلفظ: " أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا، ما تقول: ذلك يبقي من درنه " قالوا: لا يبقي من درنه شيئا، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله به الخطايا».

و(**الأبا**) مضاف إليه ما قبله، و(**قد**) حرف تحقيق[1]، (**حازهن**) فعل ماض، وضمير الإناث مفعول به، و**الأباء** فاعله، وتركيب معنى البيت: كأن الورى بالقصر – اسم جنس مختص ببني آدم – في غفلتهم عن الموت، وسرعة أخذه لهم، وجعلهم إياه وراء ظهورهم منسيا غفلة منهم، وذهولا، أغنام قد أصابها **الأباء** بالمد والفتح وهو داء يصيب المعز في رؤوسها، كما يصيب الأولقُ[2] الإبلَ وأكثر ما يكون من شمها أبوال الوُعول، فقلما أصاب شاة فبرئت، ومع ذلك لا تزال متعلقة **بالأبا** وهي الأقصاب بعد ما أنشب الموت بها مخالِبَه وأراها مثالِبَه، فكذلك الإنسان يغفل عن الموت مع ما ركب الله فيه من العقل والذكاء والفطنة، وقد اجتثت أصله واستأصلت أحبَّاءَه، وهو ينظر، ومع ذلك يروع بالمصيبة هُنيْهَة ثم يرتع في مزابل الدنيا كأتفه بهيمة، وقد جعل الموت ظهريا، وتركه نسيا منسيا.

وفي البيت من البديع الجناس[3] والاقتباس، فالجناس بين قوله الورى والوراء، والأبا والأباء– وأما الاقتباس فإن البيت مقتبس من ثلاث آيات، قوله تعالى حكاية عن مريم ابنة عمران – {**يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا**} **[مريم: 33]** والنسي هو الذي إذا غاب لا يفتقد، وإذا حضر لا يعبأ به – والثانية قوله تعالى: {**وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا**} **[هود: 92]** والظِّهْرِي هو الذي لا يلتفت إليه لحقارته، والثالثة مقتبس من معناها دون لفظها، وهي قوله

---

[1] – قد لها ستة معان: 1–التوقع: قد يقدم، 2–تقريب الماضي من الحال: قد قام زيد، 3–التحقيق كما ذكر الشيخ مثل: قد أفلح من صدق، 4– النفي بمنزلة ما مثل: قد كنت في خير فتعرفَه، 5–التقليل: قد يصدق الكذوب، 6– التكثير: قد أترك القرن مصفرا أنامله... انظر تاج العروس 20/9.

[2] – هو الجنون قال الفراهيدي في كتابه العين 213/5: "الأَوْلَقُ: الممسوس، ورجل مأْلُوق، وبه أَوْلَقُ أي مس من جنون، قال رؤبة في السفر: "يوحي إلينا نظر المألوق". وقال الأعشى:

وتُصْبِح مِن غِبِّ السُّرَى وكأنَّما ... أَلَمَّ بهَا من طائِفِ الجِنِّ أوْلَقُ".

[3] – الجناسُ: هو أن يتفق اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى ويكون: تاماً وناقصاً. كقول الشاعر:

إذا ملك لم يكن ذا هبه ... فَدَعْهُ فدولته ذاهبه"

فالجناس التام في "ذا هبة" فالأولى ذا هبة أي صاحب هبة والثانية ذاهبة أي زائلة. والناقص مثل:

"أشكو وأشكر فعلهُ ... فاعجبْ لشاكِ منه شاكر"

فأشكو وأشكر وشاك وشاكر فيها جناس ناقص.

تعالى: {**لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**} [**ق: 22**].

وللبيت وجه في إعرابه غير ما تقدم، وهو أن قوله: (**والموت**) منصوب على أنه مفعول معه، و(**نسي**) له وجهان، النصب على أنه مفعول جعل محذوفا، وهو الأصوب، والرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف. وأما الموت فقياسا على قول عبد الرحمن بن أمية بن أبي معيط لمعاوية في شأن علي. (**من بحر الوافر**).

أَلا أبلغْ مُعَاوِيَة بنَ صَخْرٍ ... فَإِنَّك من أخِي ثقةٍ مُلِيم

كأنَّك وَالْكتابَ إِلَى عَلي ... كدَابِغَةٍ وَقدْ حَلِم الْأَدِيم[1]

فعلى هذا يكون معنى البيت: كأن الورى –مع الموت ولزومه لهم، وفظاعة أمره، وجعلهم إياه نسيا وراء ظهورهم، وهم عقلاء أذكياء الطبع؛ لأجل ما خامر بواطنهم من داء الغفلة والذهول الناشئين عن علة طول الأمل الناشئ عن أماني النفس والهوى والشيطان– كذوات **الأبا** التي لا عقول لهن طبعا بأن يشتغلن بأكل **الأبا** لجهلن له طبعا ولا يبالين بمعالجة ما علق برؤوسهن من داء **الأباء** المفضي بهن إلى الموت، فيفوتهن به مناولة **الأبا** وأكله في أيام كثيرة لقلة تمييزهن، فالإنسان أشد حسرة وأعظم رزية وأسوأ حالا حيث باع آجله النفيس الذي يبقى معه بلذة ساعة فانية[2]، فلو اشتغل بعلاج باطنه الذي أصابه من داء الغفلة لما أنساه الاستعداد للموت قبل نزوله، ولا سبيل إلى ذلك إلا بقصر الأمل، وإدراك حقارة الفاني، فيكون داخلا في الفريق المعنِيّ بقوله تعالى: {**إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ**} [**الفرقان: 44**] وفي الأثر: «**ولو رأيتَ ما بقيَ من أجلك لزهدتَ في طولِ أملك، ولرغبتَ في تكثيرِ عمَلِك**»[3].

---

[1] –حلم الأديم بكسر اللام، يحلم حلما بفتحها، إذا تثقب من دود يقال له: الحلم بفتح الحاء واللام، واحدته حلمة، يقع فيه فيأكله. والشاهد فيه قوله: "كدابغة وقد حلم الأديم" فجاءت الواو بمعنى مع.

[2] – لله در القائل: تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها ** من الحرام ويبقى الوزر والعار

تبقي عواقب سوء من مغبتها ** لا خير في لذة من بعدها النـار

[3] – هذا الأثر عن سليمان بن عبد الملك أنه أوتي بحجر منقوش بالحميرية من الآثار القديمة فقرأه له وهب بن منبه كما في الحلية لأبي نعيم69/4 وكذا في فضائل الشام ص34 وغيرهما ونصه:"بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام

ثم انتقل إلى نوع آخر من الأمثال **فقال رحمه الله تعالى:**

20-[شَهِيٌ خَلاَ الأَرْضِ الخَلاءِ لو أنّه أُتيحَ لمسْــلُوبٍ نَجَـاهُ نَجَــاءُ]

(**شهي**) خبر مقدم (**خلا الأرض**) مبتدأ مؤخر، ومضاف إليه، وسوغ الابتداء به تخصيصه بالإضافة والنعت، (**الخلاء**) نعت للأرض، و(**لو**) هنا حرف وجود كلولا[1] و**أن** مفتوحة الهمزة وجوبا؛ لاتصالها بلو، والضمير عائد على الأمر والشأن وهو اسمها، و(**أتيح**) خبرها (**لمسلوب**) جار ومجرور متعلق بأتيح (**نجاه**) مفعول اسم المفعول (**نجاء**)، هو النائب عن فاعل أتيح.

والمعنى أن: **خلا** الأرض **الخلاء** شهِي إلى النفس، فا**لخلا** بالقصر النبات الرطب النضر، وهو الزخرف، بخلاف الكلأ، فإنه يطلق على الرَّطْب واليابس، و**الخلاء** بالمد هي الأرض التي لا عمارة فيها تعذرها[2] ولا دمن تقذرها، **لو أتيح** أي هيئ **لمسلوب** أي مسلوخ **نجاه** بالقصر أي جلده، **نجاء** بالمد أي سلامة من العطب، لكن لا نجاة له أصلا، كما لا نجاة ولا لذة لمن سلخ جلده، كيف وهو بين عدمين عدم سابق وعدم لا حق قال تعالى: {**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**} [**البقرة: 28**].

إذ أتي بحجر منقوش فطلب من يقرؤه له، فأتي بوهب بن منبه فقرأه فإذا فيه: " ابن آدم، إنك لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصرت من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غدا ندمك، وقد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، فبان منك الوليد القريب، ورفضك الوالد والنسيب، فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة. قال: فبكى سليمان بكاء شديدا ".

[1] – في شرح التسهيل لابن مالك 93/4"من حروف المعاني لو، وهي في الكلام على ضربين: موصولة وشرطية. فالموصولة هي التي تأتي مع الفعل في تأويل مصدر كما في قوله تعالى: (**يودُّ أحدهم لو يُعَمّر**) وقد تقدم ذكرها. وأما الشرطية فهي لتعليق ما امتنع لامتناع شرطه، فتقتضي جملتين ماضيتين، الأولى منهما مستلزمة للثانية لأنها شرط، والثانية جوابه. وتقتضي أيضا امتناع الشرط، لأنه لو ثبت لثبت جوابه... وقال أكثر النحويين: لو حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره. أي على امتناع الثاني لامتناع الأول". ولولا يقولون حرف امتناع لوجود وهي مركبة من لو التي هي حرف امتناع لامتناع، ولا النافية. وكل واحدة منهما باقية على بابها هذا من حيث الإجمال، وتفصيل المسألة محله كتب النحو.

[2] – تعذرها أي تلطخها بالعذرة. م.

وفيه من البديع التلميح، وهو: الإشارة الدقيقة التي لا يدركها إلا الأذكياء، وذلك أن المصنف أشار بالبيت إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «**الدنيا حُلوة خضِرة، فمن أخذها بحق بورك له فيها، ومن أخذها بشَرهٍ وإشرافِ نفْسٍ كان كشَاربِ ماء البَحْر، كلما ازدادَ شُربا ازدادَ ظمأ**» وفي رواية: «**كانَ كالذِي يأكُل ولا يشْبع**»[1]. فالأثر والبيت يشتركان في تحسين الدنيا من حيث أخذت بحق، وصرفت في حق من غير إسراف ولا إقتار، فلا يذمها ظاهر الشريعة لعيب ظاهر، كالقذارة الظاهرة، ويعافها باطن الحقيقة لنقص باطن، فتكون كخضراء الدمن، أنيقة المنظر، خبيثة المخْبَر. فبان من هذا أن الدنيا تطيب وتخبث على قدر صاحبها وتعدو على قدر همة راكبها.

وفي البيت من البديع الاقتباس، فهو مقتبس من قوله تعالى: {**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا**} [**الأعراف: 58**] ومعنى ذلك أن القلوب الطيبة التي لم يسبق الشر إليها، تخرج علومها زكية سالمة من الزيغ والابتداع، ومن الغلو والاتساع، وأحوالها ذكية سالمة من السمعة والرياء، وأعمالها خالصة لرب الأرض والسماء.

وفيه تلويح بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله حرم مكة يوم خَلق السّموات والأرضَ، فهي حرامٌ بحرمة الله، لا يُختَلى خلاها ولا يُعضَدُ شوكُها، ولا ينفّر صيدُها ولا يُهاج ساكنها**»[2].

و**الخلى** بالقصر يائي اللام، تقول: خليت الخلاء: إذا قطعته من أصله، وهو من باب تسمية الشيء باسم ملازمه، وهو الاختلاء، وله اشتراكات، منها الغائط، والزمان الماضي، تقول: ما سمعت بهذا فيما خلا من الزمان، وفيه: {**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ**} [**البقرة: 134**] والأيام الخالية، وفيه الفراغ، تقول: خلا لي وجه فلان فهو خلي: إذا تمكنت منه من غير مشوش، قال الله تعالى حكاية عن إخوة يوسف: {**يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ**} [**يوسف: 9**] ويطلق ويراد به الجماع

---

[1] – الدنيا حلوة خضرة –إلخ حديث أصله صحيح إلا أن الرواية التي أورد الشيخ لم أجدها ...م. باختصار ومن أقرب الألفاظ إليه ما رواه البخاري ح:1472"«يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى».

[2] –حديث متفق على صحته رواه البخاري، ح4313، ومسلم، ح: 1355، وله ألفاظ وروايات مختلفة. أما زيادة "ولا يهاج ساكنها فلم أجدها. م. بتصرف.

احتشاما من ذكره، ومنه خلوة الاهتداء[1] ويطلق ويراد به الجوع، يقال: أكلت على خلى، وهو خلو المعدة من الطعام، كما تقول: أكلت على خوى، ومنه خلا الحرفية إن جرت.

ثم قال رحمه الله:

21-[ومَصُّ الظَّمَا لولا الظَّماءُ غَدا مُنًى ** فشَـمِّـرْ ولا يُوهِنْ بـَدَاكَ بَدَاءُ]

(ومص الظما) وهو: اللعس، ومعناه سمرة تكون في شفتي المرأة مع دقة، وهي أحسن ما تكون إذا كانت مع بياض ناصع وصباحة في الجبين والخدين، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**رأيتُ ليلةَ أسري بي جارية لعسَاءُ، فأعجبتني، فقلت لها: لمن أنت يا جارية؟ قالت: لعمر بن الخطاب، فجاوزتها لما أعلم من غيرتك، فقال عمر: أعليك أغار يا رسول الله**»[2] والمص ضد العَبّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا شربتم الماءَ فمُصّوه مصا، فإن العب يورث الكباد**».[3]

و**(مُنًى)** خبر لاسم المصدر الذي هو **مص الظما**، والمنى: كل مستطاب تتمناه إذا فقدته، ولا تمله إذا وجدته، وإنما صدر بذكر النساء؛ لأنهن رأس الشهوات، وليقتدي بكتاب الله في قوله: {**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ**} [**آل عمران: 14**] الآية. فهذا البيت مفرغ في قالب المثال، لأنه من جنس البيت قبله، إلا أن الأول يزهد في تناول شهواتنا لكونها لا تصفو ولا تتم، ثم ثنى بالبيت الثاني في أن

---

[1] – من الهدوء والسكون؛ لأن كل واحد من الزوجين سكَنَ للآخر واطمأنّ إليه، وخلوة الاهتداء هي المعروفة عندهم بإرخاء الستور، بأن يكون هناك إرخاء مستور أو غلق باب أو ما يقوم مقام ذلك. قال خليل في مختصره: (وصدقت في خلوة الاهتداء وإن بمانع شرعي).

[2] – حديث: «رأيت ليلة أسري بي جارية لعساء ....» إلخ وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة، ورأى قصر عمر ورأي جارية ولفظه في إحدى روايات البخاري ح3242: " بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا، فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ". م.بتصرف يسير.

[3] – حديث «إذا شربتم الماء» إلخ ضعيف رواه الديلمي في مسنده وعنه السيوطي تحت رقم: 810 وقال فيه: فاشربوه بدل فمصوه، – وزاد: ولا تشربوه عبا – وباقيه سواء بسواء – ورمز له بالضعيف، ...قال الذهبي عن الدارقطني: متروك: لكن يتقوى برواية أخرى رواها أبو نعيم والبيهقي... 387/1 فيض القدير. م. باختصار. والله أعلم.

شهواتنا مع عدم تمامها طبعت النفوس على الميل إليها، فهي تصبو إليها وتألفها، لولا ما ينال متناولها مما ينفر منها في العقبى من **الظماء** بالمد، وهو ضد الرِّي.

قوله: (**غداً**)، اسم من أسماء يوم القيامة لتسمية الله له بذلك في قوله تعالى: {**وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**} [**الحشر: 18**] والغد في اللغة ضد الأمس، وإنما سمي غدا لأنه غِب الدنيا، ولا ينقلب أمس، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «**اليوم الرهانُ، وغدا السّباقُ، والغَاية، الجنةُ، والهالكُ من دخَل النار**»[1] قال الله تعالى: {**فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**} [**آل عمران: 185**].

وفي البيت من البديع الاقتباس، إذ البيت مقتبس من قوله تعالى: {**أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا**} إلى {**تَفْسُقُونَ**} [**الأحقاف: 20**] وإن كانت إنما نزلت في المشركين، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه آثروا على أنفسهم وعملوا بمقتضاها رغبة فيما عند الله.

وفيه من البديع أيضا التلويح في قوله: (**ولا يوهن بداك بداء**)، فإنه يحذر مما يتولد من طواعية **البدا** من الوهن والفشل المؤديين إلى التّواني والكسل، والمؤديين إلى العجز والفقر.

قال الشاعر[2] (**من بحر الطويل**):

فإن التّوَاني أنكحَ العَجزَ بِنته وساقَ إليها حينَ زوجَها مَهراً

فِراشا وطِيئا ثم قالَ لها اتّكِي سَيولَدُ بعدَ اليومَ بينكُما فَقراً.

---

[1] – هذا الأثر أورده الهيثمي في مجمع الزوائد. ح 17696 – بزيادة في آخره وهي "أنا الأول، وأبو بكر المصلي، وعمر الثالث، والناس بعد على السبق الأول فالأول». وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه، وفيه أصرم بن حوشب، وهو متروك، وفي إسناد الأوسط الوليد بن الفضل العنزي، وهو ضعيف جدا. وقال الألباني في السلسلة الضعيفة ح: 4872 " موضوع بهذا التمام ...لكن روي الحديث من طريق أخرى في حديث لعائشة ببعض اختصار، ولفظه: "من سأل عني أو سره أن ينظر إلي؛ فلينظر إلى أشعث شاحب مشمر، لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، رفع له علم فشمر إليه، اليوم المضمار، وغداً السباق، والغاية الجنة أو النار".

[2] – هو ابن المعافى كما ذكر الأصفهاني في محاضرات الأدباء 526/1.

ومنزلة البَداء من الرأي كمنزلة الحماقة من العقل، فالبَداء لسان الحماقة، كما أن الرأي لسان العقل، وحقيقة **الرأي**: الفحص عن دقائق الأمور وحقائقها على وجه يستخرج به عواقب الأمور، وكمائن الدهور وقراءته المشورة، ومادته الذكاء والتثبت، قال الشاعر في مدح من له رأي وبصيرة [1]. (**من بحر الطويل**):

بَصِيرٌ بأعْقَابِ الأُمُورِ كأنّه ... يخُاطِبُه من كُلّ أمْر عَوَاقِبُه.

قال رحمه الله:

22-[وَهَلْ لِفَتىً مِنْ قَبْلُ دَامَ فَتَاؤُهُ فَيُلْهِيكَ صِيرَانُ النَّقَى وَنَقَاءُ].

(**الفتى**) بالقصر السري[2] الذكي المقدام الأمَّرةُ[3] و**الفتاء** بالمد شرخ الشباب، وحداثة السن، والسلامة من الزَّمَانة.[4] (**فيلهيك**) أي: يشغلك عن فكاك مهجتك[5] بما ينجيها من العذاب غدا. (**صيران النقى**) بالقصر، وهو اسم رمال ممرعة[6] بين نجد وتِهامة، وكانت أعراب مضر تتنافس الحلول برياضها، ومن مياهه صُدَاء الذي تضرب العرب الأمثال به لطيب مائه[7].

و**النقاء** بالمد: النظافة والظرف والبهجة وحسن الرونق، ويطلق فيراد به نقاء الثوب من الأوساخ، ويطلق ويراد به سلامة العرض مما يدنسه، ويطلق ويراد به العفة.

---

[1] – هو جثّامة بن قيس كما في العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي 114/2.

[2] –السري: السيد. م.

[3] –الأمَّرة: المبارك الذي يأمر ويطاع فله الأمر وليس من الإمَّرة بكسر الهمزة وهو الذي يَسْتَأْمِرُ كُلَّ أَحَدٍ في أَمْرِه. قال الأصمعي: الإمر الرجل الضعيف الرأي الأحمق الذي يسمع كلام هذا وكلام هذا فلا يدري بأي شيء يأخذ. انظر لسان العرب فصل الألف 31/4.

[4] – الزَّمِنُ: ذُو الزَّمانة. والزَّمانةُ: آفَةٌ. وَرَجُلٌ زَمِنٌ أَي مُبْتَلىً بَيِّنُ الزَّمانة. والزَّمانة: الْعَاهَةُ. لسان العرب لابن منظور. (فصل الزاي).

[5] –مهجتك: المهْجة: دمُ القَلْب، ولا بقاء للنَّفْس بعد ما تُراقُ مُهْجتُها، والأُمْهُجانُ: الرَّقيق من اللَّبن ما لم يتغّير طعمُهُ. كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، 3 / 397.

[6] – ممرعة: مرُعَ يَمْرَعُ مُرْعاً والمرْعُ الاسم، وهو الكلأ. ويقال: أرض مَرِعَةٌ مُمْرِعة. مثل خَصِبَة مُخْصِبة. وأَمْرَعَ القومُ: أصابوا مَرْعاً. نفس المصدر السابق 2 / 140. (باب العين والراء والميم).

[7] . قال الشاعر: ما كل ماء كصداء لوارده كلاً ولا كل مرعى فهو سعدان. م.

وهذا البيت أيضا من جنس البيتين قبله في التزهيد في الدنيا، فالبيت الأول: في قوة النفي لتمام النعمة فيها لتنغيصها، والثاني: في قوة أن فيها نعيما جسيما لولا أن أعيانه تنقلب مضاراً في العقبى، وهذا في قوة أنها لو تمت ولم تنقلب أعيان شهواتها مضاراً فإنها لا تدوم، وكل ما لا يدوم فالاشتغال به عبث، ولذلك قال: **(وَهَلْ لِفَتىً مِنْ قَبْلُ دَامَ)**، دوام الفتوة فتطمع أنت في البقاء، إذ كل ما جاز على المثل يجوز على مماثله، وحيث لا بقاء فلا نعمة، فأنت بين أمرين موت في الشباب فلم تدرك من شهواتها شيئا، أو بقاء إلى الهرم فتموت موتات.كما قال الشاعر[1]. (**من بحر الطويل**):

فلوْ أنها نفسٌ تموتُ جميعها ... ولكنَّها نفسٌ تساقطُ أنفُسا

والبيت مقتبس من قوله تعالى: **{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [التين: 4 – 6]**، الآية.

فالجهلة يحسبون الفتوة حداثة السن، وهيهات لم يسمعوا لها خبرا، ولم يقفوا منها على أثر، بل هي إيثار الصاحب وحسن الجوار وصيانة الجار، وحسن العهد والذب عن العشير، والكر خلف الفارين، والقيام عند منام القارين[2] والصيام إن تنعم المتنعمون، وإنظار المعسر وجبر حال المنكسر، والغيرة على الإسلام بالذب عنه والاحترام، وإكرام الضيف وصلة الرحم، ولم شَعَثِ الأرامل، والحُنوّ على القريب بالرأفة والترحيب، والإحسان إلى المملوك والشفقة على العيال، وتولي الأمور الشاقة التي يتحاماها الناس. فمن جمع هذه الخصال، فقد أتم الفتوة، وبقدر ما نقص منها ينقص من فتوته. قال الشاعر[3] من بحر(**البسيط**):

إنّ الفتى من يقُولُ ها أنا ذا ليسَ الفتَى منْ يقُولُ كانَ أبي

---

[1] – هو امرؤ القيس والبيت من قصيدة طويلة مطلعها "ألما على الربع القديم بعسعسا..." ديوان امرئ القيس ص112.

[2] . القار: المصاب بالبرد، جاء في موطأة الفصيح: وقرَّ هذا اليوم فهو قَرٌّ ... والقِرَّةُ البَرْدُ كذاك القُرُّ

وليلةٌ أيضاً كذاك قرَّهْ ... من تحتها إذا اعتبرت حَرّه.

[3] – البيت ينسب لعلي رضي الله عنه ومعه بيت آخر:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا*يغنيك مضمونه عن النسب. مجاني الأدب 21/1.

وقد عقد القشيري في رسالته للفتوة بابا أتى فيه بالعجب العجاب، فالاسم من الفتوة الفتى، ومن الفتاء[1] الفتى، كما أن القلوص الفتية من النوق، وقد يطلق على كرائم الإبل إناثا كنَّ أم ذُكرانا. ويقال: شابة فتية، وغلام فتي إذا وصفا بشرخ الشباب، ولا يقال: فتًى ولا فتاة إلا لمن فيه خصال تُعْجِزُ أقرانَه، قال الصحابة يوم فتح خيبر: " لا فتى إلا علي، ولا سيف إلا ذو الفِقَار".

وأما تركيب البيت، فإن الاستفهام فيه بمعنى النفي فيكون معناه: لم تدم الفتوة ولا الفتاء لأحد قبلك فتطمع أن تدوم لك حتى تشتغل بزخارف الدنيا، وتزهو باستحسان النقاء عن مهمات الأمور وفكاك المهج[2] قال صلى الله عليه وسلم: «**كلُّ الناس يغدوا فبائع نفسه فمعتقُها، أو موبِقُها**».[3]

والبيت أيضا مركب على الكناية المعنوية، وهي قوله تعالى: **{وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ} [الأنبياء: 34]**، وهو أحسن ما يكون من أسلوب البديع، وأعزُّ ما يجاء به في جودة المعاني، والله الموفق لا رب غيره، ولا خير إلا خيره.

---

[1] – الفتاء بالمد الشباب. والفتى بالقصر واحد الفتيان. إذا عاش الفتى مائتين عامًا ... فقد ذهب اللذاذة والفتاء.

[2] –المهج: النفوس، ومن المجاز: دفقت مهجته، ودفّق الله مهجتك وهي دم القلب أي أهلكك، وامتهج فلان: أخذت مهجته. أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: 2 / 231.

[3] –حديث "كل الناس يغدو فبائع نفسه .." جزء من حديث صحيح رواه مسلم في أول كتاب الطهارة، وأوله: " الطهور شطر الإيمان ...". صحيح مسلم/ (باب فضل الوضوء) / الحديث رقم: (223). وفي سنن الترمذي ت شاكر / الحديث رقم: (3517).

قال الناظم رحمه الله:

23-[حساً[1] وَزَكَىً تُفْنِي المُنونُ زَكَاءَ ذِي زَكَاءٍ وَيَحْدُوهَا عَساً وَعَسَاءُ].

قوله: (**حساً وزَكَىً**)، حالان من زكاء، والمعنى: تُفني المنون زَكاءَ صاحبِ زَكاءٍ في حال كونه مفردا وزوجا، بمعنى أنها تستأصله وتقطع شأفته[2] فإذا كان ذلك كذلك، فإنه ينبغي للعاقل اللبيب رفع همته عن كل ما كانت إلى الفناء عواقبه، ولو كانت تستمر حالته الحسنى، فكيف وهي هيئة **للعسى**، و**العساء** الحاديين به حثيثا إلى الموت والفناء، (**فالحسا**): الفرد في لغة ربيعة، ولذلك سميت قرية الحسا لانفرادها عن القرى بين البحرين، والسواد في بادية تميم، (**وزكى**)، ضد الفرد، (**والزكاء**): النماء، ويطلق ويراد به الفوز والفلاح، قال الله تعالى: **{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا } [النور: 21]**، ويطلق ويراد به الصدق والمروءة، ومنه تزكية الشاهد، ويطلق ويراد به الطهر، ومنه طُهْرةُ المال بالزكاة.

(**والعسى**) بالقصر: الغلظ والاستواء وبلوغ الغاية، يقال: عسا النبت والحرث يعسو عساء، فهو عسي على وزن غني، (**والعساء**) بالمد: غاية الهرم، يقال: عسى الشيخ يعسى عسى: إذا هرم.

وفي البيت من البديع الاستعارة، لأنه استعار للإنسان مثلا من الزرع والنبات اللذين هما أخواه حالا ومآلا، فكما أن الزرع إذا تم واستوى وأفرك فقد دنا حصاده، كذلك الإنسان إذا

---

[1] – في رواية أخرى للبيت خسا بالخاء وقد قال ابن ولاد في المقصود والممدود ص42"وخسا. مقصور أيضاً وهو الفرد من قولهم خسا وزكا – وزكا – هو الزوج وكتابهما بالألف لأن خسا أصله الهمز وإن لم يكن مهموزا في هذا المعني وزكا أصله من زكا يزكو " وقال ابن منظور في لسان العرب فصل الزاي 191/2" الزوج: خلاف الفرد. يقال: زوج أو فرد، كما يقال: خسا أو زكا، أو شفع أو وتر"

وأما حسا بالحاء فيطلق على ما غلظ من الأرض قال ابن دريد في الجمهرة 1049/2"والحِساء: مَوضِع. والأحساء: مَوضِع أَيْضا. والأحساء: جمع حِسْي، والحِسْي: غِلَظ من الأَرْض فَوْقه رمل يجْتَمع فِيهِ مَاء السَّمَاء فَكلما نزحتَ مِنْهُ دلواً جمَّت أُخْرَى." وقد ذكر الشيخ أنه في لغة ربيعة يطلق على الفرد أيضا لكن الرواية بالخاء أشهر.

[2] –شأفته: الشَّأْفَة بِالْهَمْزِ وغير الهمز: قَرْحة تَخْرُج في أسفل القَدَم فتُقْطَع أَوْ تُكْوى فَتَذْهَبُ. ومنه قَوْلُهُم «اسْتأصَل اللهُ شَأْفَتَهُ» أَيْ أذهَبَه. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: 2 / 436.

أدبر شبابه وبدا شيْبُه وانتهت قوته فقد دنتْ منيتُه، فليتأهب لها أُهبتها بالزاد والاستعداد، إذ قد دنا إبَّان الحصاد، فالبيت مركب على معنى البيت السابق. قال الشاعر[1] **(من بحرالمتقارب)**:

إذا تم شيءٌ بدا نقصُـه ... تـوقـعْ زوالا إذا قيلَ تـمْ.

والاقتباس في هذا البيت إنما فيه التلميح إلى معنى هذه الآية الشريفة التي هي: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [المائدة: 3]**.

قال الناظم رحمه الله:

24-[أَصَابَ الضَّنى ذَاتَ الضَّنَاءِ وَبَعلَهَا فَـمَـاتَـا وَلَمْ يَنْفَعْ حَمىً وَحَمَاءُ].

قوله: **(أصاب)**، بمعنى قصد[2] ولم يطش. **(الضَّنَى)** بالقصر: المرض المزمن الذي كلما ظُن برء صاحبه نُكس، وقيل: المرض المخوف، وقيل: هو المرض الذي لا يمهل، وربما كان من حرارة انعكاس المصيب، كقصة أُنَيْس رضي الله عنه، لما بلغه وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أضنى فمات مكانه، كما في " المواهب "[3] **والضَّنَى**: فاعل أصاب **(ذات)** صاحبة **(الضَّناء)** بالمد، وهي المرأة العزيزة ذات النسل الكثير، كأم قرفة زوجة حذيفة بن بدر الفزاري، وكانت العرب تضرب المثل السائر في عزتها حتى قالوا: أعز من أم قرفة، ومن عزها أنه يعلق في بيتها سبعون سيفا كل لها محرم فلم يغن ذلك عنها شيئا، وقد قتلت في بعض غزوات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أصابها سهم غرب[4]، فقتلها، فما انتطح فيها عنزان، وأما بعلها

---

[1] – ذكر الهمذاني في الكشكول 89/2 أن البيت في الديوان المنسوب لعلي رضي الله عنه ومعه:

"حلاوة دنياك مسمومة ... فما تأكل الشهد إلا بسم

فكن موسراً شئت أو معسراً ... فما تقطع الدهر إلا بهم".

[2] – لعلها أقْصَدَ أي أصاب، يقولون: أقصد السهم إذا أصاب فقتل مكانه. قال ابن منظور في لسان العرب فصل القاف" أقصدت الرجل إذا طعنته أو رميته بسهم فلم تخطئ مقاتله".

[3] . المواهب اللدنية بالمنح المحمدية لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ).

[4]– سهم غرب: (سهم طائش). م.

حذيفة فقتلته بنو عبس يوم الهباءة[1] في عصبة من أهل بيته، ومُثّل به لحنقهم عليه، وكان يقال له رَبُّ معد لشرفه ومنعته في قومه، وكان يكفل أيتام غطفان كلها مع كثرة عددهم، فمات ولم ينفع ذلك في دفع المنية عنه ولا عنها.

(**حَمىً**) بالقصر، وهو أخو زوج المرأة، وأخو الزوجة، أو كل حميم، أو هو عامة الأقارب من الطرفين. (**وحماء**) بالمد، وهو الفداء. والبيت لا يختص بهما، بل هو شامل لكل ذي قوة ومنعة.

وفيه من البديع الاقتباس؛ لأنه مقتبس من قوله تعالى: **{أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} [النساء: 78]**. تداركنا الله بلطفه آمين.

وله من الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: لما سئل عن أخي الزوج: هل يدخل بيته كعادة العرب، فقال: «**إنما الحمو الموت**».[2] فكررها حتى ظهر في وجهه الغضب[3]، وفيه أيضا قوله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله يحمي عبده الصالح من الأعمال، كما يحمي أحدكم مريضه من الماء، قالوا ولم يا رسول الله؟ قال: " يخاف عليه ما هو أشد وهو العُجب، العُجب، العُجب**».[4]

---

[1]– يوم الهباءة: قال الجوهري: يَوْمُ الهَبَاءَة لقيس بنِ زهيرٍ العَبْسي على حُذيفَةَ بنِ بَدْرٍ الفَزَاري قَتَلَه فِي جفرِ الهَبَاءَةِ، وَهُوَ مُسْتَنْقع بهَا. وقال ياقوتُ: قُتِلَ بهَا حذيفَةُ وأَخُوه بَدْر. وقالَ عرَّام: الجَفْر جبل في بلاد بني سُلَيْم فوق السّوارقيةِ وفيه ماءٌ يقالُ له الهَبَاءَةُ، وهي أفواه آبارٍ كثيرة مُخَرَّقة الأسافِلِ يفرغُ بعضُها فِي بعضٍ الماءَ العَذْبَ الطيّبَ، ويُزْرَعُ عَلَيْهَا الحِنْطَةُ والشَّعيرُ وَمَا أَشْبَهه. تاج العروس لمرتضى الزبيدي (هبو).

[2]–جزء من حديث متفق على صحته. أخرجه البخاري ومسلم. ولفظ الشيخين: " إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت ". صحيح البخاري (باب لا يَخْلُوَنَّ رجل بامرأة إلا ذو مَحْرَمٍ) ح: 5232. وأخرجه مسلم (باب تحريم الخلوة بالأجنبية) ح : 2172.

[3] – معنى البيت أن الحمى قد ينفع ويحمي ويدفع، وأما حديث الحمو فمعناه غير ذلك لأنه سيق للتحذير من التساهل في دخوله على أهل الرجل، وضرورة الاحتراز من ذلك إلا بحيطة وحزم، هذا على التفسير المشهور فيه، وقيل معناه أن دخوله حتم لازم لا مفر منه كالموت، ولعل الشيخ إنما أورده للاستشهاد على معنى الحمى فحسب.

[4] – أورده الحاكم بلفظ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَحْمِي أَحَدُكُمْ مَرِيضَهُ الْمَاءَ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " المستدرك على الصحيحين للحاكم ح: 7857. وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب الزهد وقصر الأمل ح: 9964. [إلا أنه قال] .... كَمَا يَحْمِي أَحَدُكُمْ مَرِيضَهُ الْمَاءَ مِنَ الطَّعَامِ ". أما لفظ الشيخ فلم أجده.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

25-[وَلَمْ يُنْجِ جَلْوَى رَبَّ جَلْوَاءَ جُودُهُ يُبَارِي الْجَدَى فَالنَّيْلُ مِنْهُ جَدَاءُ] .

(**جلوى**) بالقصر: فرس من كرام الخيل كالعصا وذي العقال[1] (**وجلواء**) بالمد: الجلح، وهو اتساع الجبهة من غير أن يكون أغم[2]، وهو أحسن ما يكون. قال الشاعر[3] (**من بحر الطويل**):

وَلَا تنكِحِي إِن فرّقَ الدَّهْرُ بَيْننَا ... أغَمّ الْقَفَا وَالْوَجْه لَيْسَ بأنزعا.[4]

(**والجدى**) بالقصر: المطر، (**والجداء**) بالمد: كثرة الجود، لأن الجداء ضرب عدد في مثله، فلا يكون إلا كثيرا.[5] والمعنى: لم يُنجِ الفرس المسمى بجلوى ربه، ربَّ الجبهة الواسعة الذي كان يساوي بجوده وكرمه المطر العام.

و(**النَّيْل**) بفتح النون وسكون الياء: العطاء الواسع، والمقصود: أن المنية لا تُبقي على أحد بسبب ما عنده من نفيس وكريم الأوصاف، فلا تَعتَدَّ بشيء من ذلك، فإنه لا ينجيك منه كما لا ينجي جلوى ربه وهو كما هو في الحسن الذاتي، والكرم الطبيعي.

---

[1] – ذكر الزبيدي في تاج العروس 55/16 أن جلوى هي أم داحس المشهور قال"وسمي داحسا لأن أمه جلوى الكبرى كانت لبني تميم، مرت بذي العقال ابن أعوج... وكان ذو العقال فرسا عتيقا لحوط بن أبي جابر، فنزى عليها، فوافق قبولها، فعرف حوط ذلك وكان شريرا، فأقبل مغضبا وجعل يده في ماء وتراب، فأدخل يده في رحمها ثم دحسها حتى ظن أنه قد أخرج الماء، واشتملت الرحم على ما فيها من بقية الماء فسمي داحسا، وخرج وكأنه ذو العقال أبوه. وله حديث طويل في حرب غطفان وضرب به المثل فقيل: أشأم من داحس. وذلك لما جرى بسببه من الخطوب" انتهى منه بتصرف. والعصا فرس لجذيمة بن الأبرش كان يضرب به المثل أيضا.

[2] – أغم: الغَمَمُ كثرةُ شعر الناصيةِ حَتَّى تُغطي الجبهَةَ. المخصص لابن سيدة المرسي 2 / 91.

[3] – هو هدبة بن خشرم كما في الحماسة 281/1.

[4] – قال ابن السكيت في الكنز اللغوي ص178"النزعتان ما يتحسر عنه الشعر من أعلى الجبينين حتى يصعد في الرأس يقال رجل أنزع وامرأة نزعاء ...، فإذا لم يكن كذلك وسال الشعر في الوجه فذلك الغمم، وكذلك إذا سال في القفا يقال رجل أغم وامرأة غماء، قال هدبة: "ولا تنكحي إن فرق الدهر بيننا ... أغم القفا والوجه ليس بأنزعا" فإذا انحسر الشعر عن الرأس من مقدمه فذلك الجله والجلا والجلح..".

[5] – قال ابن ولاد في المقصور والممدود ص26"الجداء. مقصور يكتب بالألف بمعنى الجدوى وهو العطية. والجداء. الغناء ممدود يقال إن فلانا لقليل الجداء عنك. والجداء. أيضاً مبلغ حساب الضرب تقول منه ثلاثة في ثلاثة جداء ذلك تسعة."

(لم ينج) جازم ومجزوم، و**(جلوى)** فاعله، **(رَبَّ)** مفعول به. **(فالنيل)** مبتدأ، وفاؤه استئنافية، **(منه)** جار ومجرور متعلق بالنيل، و**(جداء)** خبره، والمباراة على وجه المبالغة.

وفيه من البديع[1] التلويح[2]، وهو أعلى في الدلالة من التلميح، وذلك بقوله تعالى: **{مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ *هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ} [الحاقة: 28، 29]**.

قال الشاعر[3] **(من بحر البسيط)**:

لَا شئ مِمَّا ترى تبقى بشَاشَته ... يبْقى الْإِلَهُ ويَفنَى الْأَهْلُ وَالْولـــــدُ

لم تُغن عن هرمز يوما خزائنه والخُلد قد حاولت عـادٌ فما خلدوا

وَلَا سُلَيْمَان إِذْ تجرى الرِّيَاح لَهُ ... وَالْإِنْس وَالْجِنّ فِيمَا بَينهَا تـــــرد

أمْسَتْ منازِلـُهُـم منهم معَطّلَةً كأنّهم ما بَنَوا يوما ومَـا حَشَدوا

حَوْض هُنَالك مورود بِلَا كذب ... لابــد من ورده يَوْمًا كَمَا وردوا

أَيْن الْمُلُوك الَّتِي كَانَت لعزتها ... من كل أَوب إِلَيْهَا وَافِد يفــد

وفيه من صريح البديع الاستطراد[4] وهو أن ينتقل المتكلم من الفن الذي أخذ فيه إلى ما يتصل به لمناسبة بينهما، ثم يرجع إلى ما كان فيه على وجه يحسن إيراده، وذلك أن المصنف قصد أولا التزهيد في الدنيا، ثم استطرد لذلك بذكر جلوى وراكبها، فمدحه بكرم الطبع وجمال

---

[1] – البديع: هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ورعاية وضوح الدلالة، أي الخلو عن التعقيد المعنوي. كتاب التعريفات للجرجاني، ص 156.

[2] –التلويح: هُوَ نوع خَاص من الإشارة، والإيماء: نوع خَاص من الْكِنَايَة، وَقيل: التَّلْوِيح إِشَارَة إِلَى الْقَرِيب، والإيماء إِلَى الْبعيد. المصدر السابق، ص 310.

[3] – الأبيات تنسب لورقة بن نوفل كما في الحماسة البصرية 425/2، وقصة الأدب في الحجاز لعبد المنعم خفاجي 231/1.

[4] – الاستطراد: سوق الكلام على وجه يلزم منه كلام آخر، وهو غير مقصود بالذات بل بالعرض. التعريفات للجرجاني، ص 20.

الصورة وجودة الزي[1] ثم رجع إلى ما قصده أولا من التزهيد في الدنيا ببيان أن ما ذكره لا فائدة له في دفع الموت وتأخيره، ولا فائدة له في تنفيس كربته وسكراته، فصار لذلك قد أتى بنوع من الوعظ والتزهيد أقرب إلى الأخذ بمجامع القلوب مما كان شرع فيه أولا، وفيه قول السموأل بن عادياء[2] **(من بحر الطويل)**:

ونحنُ أنُاسٌ لا نَرى القتلَ سُبّة إذا مَا رَأَتْهُ عامِرٌ وسَلُول

يُقرِّب حبُّ الموتِ آجـالَنا لنا وتكْرَهُـه آجَالهم فتَطُول.

وذلك أن السموأل مدح قومه بأنهم لا يرون القتل عارا ولا يعدونه عيبا لشجاعتهم وجلدهم عند ملاقاة أقرانهم، ثم خرج عنه إلى هجو قبيلتي عامر وسلول ابني صعصعة بضد ذلك، ثم رجع إلى ما كان آخذا فيه من مدح قومه بالشجاعة، فقال: يقرب حب الموت ...إلخ. وفائدته إظهار فضل قومه على هاتين القبيلتين، ونظيره قول الآخر[3] **(من بحر الطويل)**:

إذا ما اتّقَى اللهَ امرؤٌ وأطاعَهُ ... فليسَ به بأسٌ وان كانَ من جُرْم

ألا ترى أنه أخذ في المواعظ والزهد، ثم خرج منه إلى ذم قبيلة جرم. ثم الاستطراد على ثلاثة أضرب:

1. ضرب غير مقصود ابتداء، وليس فيه تقوية لما قبله، كما في البيتين المتقدمين.

---

[1] – (الزي)، اللباس وَالْهَيْئَةُ. كما في مختار الصحاح (زوى).

[22] –السموأل: السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي. شاعر جاهلي حكيم من سكان خيبر في شمالي المدينة، كان يتنقل بينها وبين حصن له سماه الأبلق. أشهر شعره لاميته وهي من أجود الشعر يضرب به المثل في الوفاء لقصته مع امرئ القيس... / انظر الأعلام للزركلي 140/3. وقد قال ابن ونان في الشمقمقية:

ولا تَعِدْ بِوَعْدِ عُرْقوبٍ أخاً ***وفِهْ وَفَا سَمَوْأَلٍ بالأبْلَقِ

شَحَّ بأَدْرُعِ امرىءِ القَيْسِ وقَدْ ***تَرَكَ نَجْلَهُ غَسَيلِ العَلَقِ"

[3] – هو زياد بن الأعجم. كما في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري 180/1.

2. وضرب غير مقصود ابتداء، ولكن يؤتى به تقوية لما قبله وتأكيدا له، وذلك كقول جرير[1] يهجو الفرزدق[2]:

بَهَا وَضَحٌ بأَسْفَلِ إسْكَتَيْها ... كعَنْفَقَة الفَرَزْدَقِ حِينَ شابَا

لأنه هجا أولا أمه، ثم استطرد هجوه، وفيه زيادة لهجوها وتأكيد له.

3. وضرب مقصود ابتداء، وإنما يؤتى بما قبله ليتوصل به إليه، كقول أبي إسحاق الصابي . يمدح سيف الدولة (**من بحر الكامل**):

إن كنتُ خُنتُكَ في المودةِ ساعةً فذممتُ سيفَ الدولةِ المحمُودا

وزعَمْتُ أن له شَريكا في العُلى وجَحَدتـه في فضْلِه التوحِيدا.[3]

ألا ترى أن المقصود إنما هو مدح سيف الدولة، وإنما أتى بما قبله ليتوصل به إليه.

ثم قال رحمه الله:

26-[وَكَمْ ذِي دَوىً عَافَ الدَّوَاءَ وَذِي سَرىً بِقَوْسِ سَرَاءٍ حُبّ فَهُوَ مَبَاءُ].

قوله: (**وكم**)، من لوازم الإضافة بمعنى التكثير، (**ذي**)، بمعنى صاحب، (**دوىً**)، أي: مرض، وهو اسم استخرجته العرب من وصف، لأنهم يقولون: داء دوي، بمعنى عضال، ولم يعرف له

---

[1] -جرير: هو، جرير بن عطية الخطفى، واسمه حذيفة، والخطفى لقبه، كان من فحول شعراء الإسلام، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض. وفيات الأعيان لابن خلكان 1/ 321.

[2] -الفرزدق: واسمه همام بن غالب بن صعصعة ... يكنى أبا فراس وإنما سمي الفرزدق لأنه شبه وجهه وكان مدوراً جهيماً بالخبزة وهي الفرزدقة. وبيته من أشرف بيوت بني تميم ومن شرفه أنه ليس بينه وبين معد بن عدنان أب مجهول. [بلغ ثلاثين ومائة سنة] . انظر معجم الشعراء لمحمد بن عمران المرزباني: 1 / 486.

[3] – قد يشكل كون الشاعر ليس من شعراء بلاط سيف الدولة لكن الأبيات لها قصة تدفع هذا الإشكال وهي: أنه نقل أبو إسحاق قال: طلب مني رسول سيف الدولة وكان قد قدم إلى الحضرة شيئا من شعري وذكر أن صاحبه رسم له ذلك فدافعته أياما ثم ألح علي وقت الخروج فأعطيته هذه الثلاثة الأبيات. وثالث الأبيات الذي يكتمل به معناها هو: " قسما لو أني حالف بغموسها * لغريم دين ما أراد مزيدا" انظر بغية الإيضاح 591/4.

فعل[1] إلا أن يكون على وزن من أوزان المبالغة قال الرسول صلى الله عليه وسلم، لما سأل قوما من الأنصار عن سيدهم، فقالوا: سيدنا فلان، لولا بخل فيه، فقال لهم[2] : " **أي داء أدوى من البخل** ".[3]

(والدواء) بالمد لغة في اللبن، لأنه أسرع في شفاء المرضين معا أعني: الجوع والعطش، ولما ذكره الله مدحه بخصلتين، فقال: **{لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ} [النحل: 66]**. ولما سمع بعض الحكماء هذا، قال: لا يخاف من الغصص، وكان صلى الله عليه وسلم كلما طعم طعاما، قال: «**اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيراً منه**».[4] وإذا شرب اللبن قال: "**اللهم بارك لنا فيه، وزدنا منه**"[5].

قوله: **(وذي سَرىً)**، أي وكم صاحب سرىً بالقصر، وهو السَّري. والسري من حاز قصب السبق في جميع المكارم، كعيسى بن مريم، قال الله تعالى مبشرا لأمه مريم، –ومعنى مريم في

---

[1]– قال الخليل:"الفعل دَوِيَ يَدْوَى دَوىً، وهو الدّاءُ الباطن، وكلُّ بناءٍ على دَوىً ونَدىً، مكسور، ويكون الفعل منه مكسوراً فإن النعتَ منه مخفَّف إلاّ أن يضطَرَّ شاعر إلى غيره. والدِّواء، ممدود: الشِّفاءُ... ويقال: دووِيَ فلانٌ يُداوَى فتُظهِرُ الواوَيْنِ ولا تُدغِمُ إحداهما في الأُخرى، لأنَّ الأولى هي مَدَّة الألف التي في داوى، فكرهوا إدغامَ المَدَّةِ في الواو، فيَلْتَبس فُوعِلَ ب فُعِّلَ". كتاب العين 8 / 93.

[2]– في الحديثِ: (أنَّ النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، قالَ لبني ساعِدة: مَنْ سَيِّدُكُم؟ قالوا: جَدُّ بنُ قيسٍ وإنّا لنزنّهُ، على ذلكَ [بشيءٍ] من البُخْلِ. قالَ: وأيُّ داءٍ أَدْوَى من البُخْلِ). هكذا يرويه أصحابُ الحديث، لا يهمزونَهُ. والصوابُ أنْ يُهْمَزَ فيُقال: أَدْوأُ [لأنَّ الداءَ أَصْلُهُ من تأليفِ دالٍ وواوٍ وهمزةٍ. يُقالُ: داءٌ وفي الجمعِ: أدواءٌ]. والفِعْلُ منه داءَ يَداءُ دَوْءاً، تقديره: نامَ يَنامُ نَوْماً. ودَوَّأَهُ المرضُ مثل نَوَّمَهُ. إصلاح غلط المحدثين للخطابي ص: 60 . 61.

[3]– جزء من حديث رواه الحاكم في مستدركه، ولفظه كاملا : ...عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من سيدكم يا بني سلمة ؟» قالوا: الْجَدُّ بن قيس إلا أن فيه بخلا، قال: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ، بَلْ سَيِّدُكُمْ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ». صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ". المستدرك على الصحيحين للحاكم، 3 / 242. ح: 4965.

[4]–أخرجه أبو داود، ولفظه: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَإِذَا سُقِيَ لَبَنًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَزِدْنَا مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزِئُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَّا اللَّبَنُ " قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «هَذَا لَفْظُ مُسَدَّدٍ». سنن أبي داود (باب ما يقول إذا شرب اللبن) ح: 3730.

[5] –((حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل طعاماً)) الخ .. رواه أبو داوود والترمذي وحسنه، وسكت عليه العراقي في ((تخريج الأحياء)) (٢/٧) والله أعلم. م.

العبرانية، العابدة- **{قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} [مريم: 24]**.[1] **والسَّريُّ** في أصل اللغة: النهر الجاري. واختلف في السري والفتى، فقيل لفظان مترادفان، وعليه الأكثر من محققي اللغويين وأرباب الاشتقاقات، وقيل: السري يزيد على الفتى؛ لأن الله لم ينعت في كتابه بالسراوة غير عيسى فقد مدح كل نبي بما فيه، فصارت السراوة من جنس معجزاته الخارقة للعادة، كإحياء الميت، وإبراء الأكمه والأبرص، ووجوده من غير ذكر، وكلامه في المهد، وإتيانه الحكمة صبيا.

قوله: (بقوس سراء)، القوس معروف، وعبر به عن السهم، إذ لا يُشك[2] إلا به. **(والسَّراء)** بالمد: شجر النبع، وهو من أصلب الأشجار وأنضرها، ولا ينبت إلا على قُنَن[3] الجبال.

قوله: (حُبَّ)، أي أصيبت حبة قبله. **(فهو مباء)**، أي محمول متهيئ لأن يغسل ويكفن ويدفن، قال الله تعالى: **{وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ} [الحج: 26]**.

وقوله: (عاف الدواء)، استعارة عن عيافة[4] أهل الأهواء لدين الله، ورغبتهم عنه مع ما فيه من قرة العين، ومكافحة الأنوار، والأنس بالعزيز الجبار، وما ذلك إلا لما جعل الله في قلوبهم من مرض النفاق، وضعف المعاصي والشقاق، كما يعاف ذو المرض الصفراوي ألذ الأشياء وأشهاها إلى النفوس، كالماء واللبن، وفي ذلك يقول البوصيري بَرّدَ الله ضريحه. **(من بحر البسيط)**:

---

[1] – قال ابن عطية في تفسيره 11/4 («السري» من الرجال العظيم الخصال السيد، و «السري» أيضا الجدول من الماء، وبحسب هذا اختلف الناس في هذه الآية فقال قتادة وابن زيد: أراد جعل تحتك عظيما من الرجال له شأن، وقال الجمهور أشار لها إلى الجدول الذي كان قرب جذع النخلة)، وفي أضواء البيان: 395/3، (وقال بعض أهل العلم: السري هو عيسى، والسري هو الرجل الذي له شرف ومروءة، يقال في فعله سرو «بالضم» وسرا «بالفتح» يسرو سروا، فيهما، وسري «بالكسر» يسري سرى وسراء وسروا: إذا شرف، ويجمع السري هذا على أسرياء على القياس، وسرواء وسراة بالفتح... ومن إطلاق السري بمعنى الشريف قول الشاعر:

تلقى السري من الرجال بنفسه ... وابن السري إذا سرا أسراهما).

[2] – الشك هنا بمعنى الطعن والإنفاذ قال عنترة: فشككت بالرمح الأصم ثيابه*** ليس الكريم على القنا بمحرم.

[3] .–القُنَن: جمع قُنّة، وَهُوَ أَعلَى الْجَبَل. جمهرة اللغة لابن دُرَيْد الأزدي: 2 / 1031.

[4] – العائف هنا بمعنى الكاره للشيء المقذر له ومنه الحديث المرفوع: إنه أتي بضب فلم يأكل وقال: أعافه ليس من طعام قومي. ويقال من هذا: يعاف عيفا. ويطلق العائف أيضا على الذي يعيف الطير ويزجرها وهي العيافة وقد عاف يعيف.

قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ الماءِ مِنْ سَقَمِ

وقال غيره[1] . **(من بحر الوافر)**:

ومَنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدْ مُرّاً بهِ المَاءَ الزُّلالا

وفي شطر البيت الثاني نوع من الاستطراد، وهو الاستطراد غير المقصود لأنه وصف الرجل بكونه سريا، فلما بلغ بسراوته كل مبلغ وامتطى كل مجد وشرف، وتمت نخوته وعلت رتبته، إذ سهم المنية قد شك حبة قبله، فإذا هو **مباء** مسلوب ما كان فيه من السراوة، مهيأ للموت وحسرة الفوت، كأن لم يَغْنَ بالأمس، إذ صار رهين القبر والرمس.

اللهم يا ذا المنة والإفضال، يا عميم النوال، حسِّن أحوالنا، وزك أعمالنا، واجعل في طاعتك رسوبنا وانتقالنا، برحمتك يا أرحم الراحمين.

قال الناظم رحمه الله:

27-[وَذِي بَيْتٍ اعْتَاضَ الْبَهَى مِنْ بَهَائِهِ وَرُبَّ عَفاً مُثْرٍ عَلاَهُ عَفَاءُ].

قوله: (وذي بيت)، أي: ورب ذي بيت شرف، **(اعتاض)**، من المعاوضة، وهي المبادلة، إلا أن المعاوضة إبدال الشيء بما هو دونه، والمبادلة إبدال الشيء بمثله. قال الشاعر[2] **(من بحر البسيط)**:

لكلِّ شيءٍ إذا فارقْتهُ عِوَضٌ ... وليسَ لله إن فَارقْتَ منْ عِوَضِ

(والبهى) بالقصر هو البيت المخرق، كناية عن القبر، لأنه كثيرا ما يتخرق من تقادم الأزمان، **(والبهاء)** بالمد: الجمال الرائع، والبها والبهو: نور الشمس، فلما تخرم سمي باسم ملازمه، وهو

---

[1] – هو أبو الطيب المتنبي. انظر كتاب الثعالبي:"أبو الطيب المتنبي ماله وما عليه" ص40.

[2] – هو أيُّوب الخَلوَتِي كما في نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة لمحمد أمين المحبي ص:144، وقبل البيت بيتان آخران هما:

وقد لامني عاذِلي في الحُبِّ قلت له ... حُبِّي شِفائي كما أنَّ السِّوى مرضِي

قد قال قبليَ شخصٌ لست أعرِفهُ ... لكنه قد قضى من شعـرِهِ غرضِي

بهو الشمس، **(ورُبّ عَفاً مُثْرٍ)** بضم الميم: كثير المال والولد والخول[1] والحشم، **(علاه عفاء)**، أي: الرمل وذهاب الأثر. قال زهير **(من بحر الوافر)**:

تَحَمّلَ أَهْلُهَا عنهَا فبَانُوا عَلَى آثَارِ منْ ذَهبَ العَفَاءُ.

والبيت فيه من البديع، الاقتباس، فهو مقتبس من قوله تعالى: **{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: 88، 89]**، إذ هو أول يوم من أيام الآخرة، وأول منزل من منازل القيامة، يستوي فيه الغني والفقير، والعظيم والحقير، وإنما كان القبر عوضا من بيته البهي الدنيوي فيما يرى الراؤون، وإن لم يكن إلا ذلك لكان فيه أعظم زاجر عن الدنيا.

وأما إذا كان روضة من رياض الجنة، فهو خير مما اعتيض منه، لقوله صلى الله عليه وسلم: «**القبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار**».[2] فظاهر القبر المخرق جنة بالنسبة إليه لو وجد سبيلا إلى الفناء المحض، أمدنا الله برضاه آمين.

قال الناظم رحمه الله:

28-[ومَا رَبُّ هَطْلَى أَمَّ هَطْلاَءَ فَارْتَوَى كَهَلْكَى اقْتَضَى هَلْكَاءَ هُنَّ ظَمَاءُ].

قوله: (وما رب هطلى)، ناقة تمشي رويدا لعظم طَبْيِها[3] وأخلافها حتى صارت **هطلاء** لغزارة لبنها، حتى يهطل دائما، **(أمّ)** أي قصد سحابة. **(هطلاء)**، بالمد، أي: دائمة التوكاف واسعة

---

[1] . الخول: حَشَمُ الرَّجُلِ وأَتباعُه، ... وهو مأخوذ من التَّخْوِيل وَالتَّمْلِيكِ، وقيل من الرِّعاية. لسان العرب (فصل الخاء المعجمة).

[2] -أخرجه الترمذي بهذا اللفظ ح: 2460. «إِنَّمَا القَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ»: وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ».

[3] -والطِّبْيُ: حَلَماتُ الضرع التي فيها اللبن من الخُفِّ والظِّلْفِ والحافر والسِّباع. لسان العرب. (فصل الطاء المهملة).

الأكناف وطْفَاء[1] ليست بخلب[2] ولا جهام[3] ولا جهمة[4] جائلة[5] ولا كهام[6] تروي الظراب والآكام[7]، وتزيل اللغوب[8] والهيام[9] فارتوى منها فتى ارتدى عزمه واحتذى حزمه، فليس هو في حزمه وعزمه (**كهلكى**)، جمع هالك، (**اقتضى**)، أي: أوجب، قصدهم مفازة (**هلكاء**)، على وزن حمراء، أي: كثيرة المهالك، إذ أهلكهم بها الظمأ لتفريطهم وإفراطهم.

والبيت مفرغ في قالب التمثيل، فمن لا خبرة له بأمثال العرب، وفحوى خطابها[10]، ولحن قولها[11] لا يَشُق غبارَه، ولا يبلُو أخباره، ولا يحتسي رشفة من أنهاره، ولا يسبح عُباب تياره.[12] والشطر الأول مثل في طي كناية[13]، لأنه كنى بالناقة الهطلى عن الدنيا التي هي أم الآخرة، فهو

---

[1] –وطفاء: الوَطْفَاء الدِّيمة السَّحُّ الحَثِيثةُ، طال مطرها أَو قصُر، إذا تَدلَّت ذُيُولُها. نفس المصدر، لسان العرب. (فصل الواو).

[2]–بخلب: والخُلْبُ: الطين والحَمْأةُ، ويقال: الطينُ الصُّلْب نحو: طينٌ لازب خُلْبٌ. كتاب العين: 4 / 270.

[3] – جهام: الجهام: السَّحَاب الَّذِي اهراق مَاؤهُ وَضرب الْبَرْق والرعد مثلا لنفجه. الفائق في غريب الحديث للزمخشري: 4 / 50. (حرف الواو).

[4] – (الجهمة) ظلمَة آخر اللَّيْل. المعجم الوسيط: 1 / 144.

[5] – جائلة: (الجائلة) . السحاب التي لا تستقر قال الزبيدي في تاج العروس "ج و ل": "واستِجالَةُ السَّحاب: أَن تَرَاهُ جائلاً فِي السّماء".

[6] –كهام: ورجلٌ كَهامٌ، كسَحابٍ: كليلٌ عَيِيٌّ بطِيءٌ مُسِنٌّ، لا غناء عنده، ككَهِيمٍ. القاموس المحيط.(فصل اللام).

[7] –الآكام: جمع أكمة وهو ما ارتفع من الأرض، والظراب الروابي الصغار واحدها ظرب وإنما خص الآكام والظراب لأنها أوفق للراعية من شواهق الجبال. الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي للأزهري: 1 / 87. (باب في الاستسقاء).

[8] – اللُّغُوبُ: التَّعَبُ والإِعْياءُ. لسان العرب (فصل اللام).

[9] –الهيام: (الْهُيَامُ) بالضم أشد العطش. و (الْهِيَامُ) بالكسر الْإِبِلُ الْعِطَاشُ الْوَاحِدُ (هَيْمَانُ)، وَنَاقَةٌ (هَيْمَى) مِثْلُ عَطْشَانَ وَعَطْشَى. مختار الصحاح ص 330. (هـ ي م).

[10] –فحوى الخطاب: ما يعقل عند الخطاب لا بلفظه وبعبارة أخرى أن يكون المسكوت عنه موافقا للمنطوق في الحكم أو أولى منه كقوله تعالى: {فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ}[الإسراء:23] فالمنع من ضربهما يفهم من النهي عن التأفيف بل هو أولى، ويسمى مفهوم الموافقة وقياس الأولى. الفروق اللغوية للعسكري ص61، ومعجم لغة الفقهاء لمحمد رواس قلعجي ص340.

[11] –لحن قولها: لحن الخطاب أصله في اللغة إفهام الشيء من غير تصريح ومنه قوله تعالى: {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} [محمد: 30]، أي في فلتات الكلام من غير تصريح بالنفاق، ولذلك قال المأمون أيها الناس لا تضمروا لنا بغضاً فإنه والله من يضمر لنا بغضاً ندركه في فلتات كلامه وصفات وجهه ولمحات عينه. شرح تنقيح الفصول: 1 / 54.

[12] – قال ابن فارس في مجمل اللغة باب "تير":152/1، "التيارُ: الموجُ الذي ينضحُ الماء".

[13] –كناية: حَدُّ الكناية الجامع لها هو: أنها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز، والدليل على ذلك أن الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشيء وتريد غيره، يقال: كنيت بكذا عن

يسيرها بهمته العلية بعد ما شد عليها رحل العزم ببطَّان[1] الحزم، وقد تزود بدرها الهاطل واستغنى بكونه خريتا[2] حاذقا عن اتباع سراب الباطل، فقد جمع بين در الحمراء وشيم السحابة الوطفاء[3] فأصبح في نعم الله يتقلب، وإليه بأنواع طاعته يتحبب، صحب الزاد حتى تروَّى بري المعاد، فهو دنيوي أخروي، سماوي، أرضي فصار المعنى بقوله: «**الدنيا نعم المطية للرجل الصالح، عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشر**».[4] أي: يبلغ على متن النجيبة الهطلى، وينجو من أن يكون من جملة الهلكى، وهم الذين طلبوا الدنيا للدنيا، وأخذ بمجامع قلوبهم سحرها، وأصم أسماعهم وأعمى أبصارهم ذفرها،[5] فاقتادهم الهوى إلى مهامه التوى،[6] فوقعوا في المهامه الهلكى.

وقد عبر المصنف رحمه الله عن كنايته بالإبل للمناسبة التي بين الإبل وبين الأسفار الشاقة، والمهامه الواسعة، إذ ليس من الأموال ما يشاكلها، ولا من الحيوان ما يواكلها، وقد رصع منظومته بروائع الآيات، وغرر الأحاديث المسندات، ليأتي من فن البديع بالتلويح[7] بعد الكناية والتلميح، وليعلم من جاراه ما قصد من التَّضمن والتّفنن.

كذا، فهي تدل على ما تكلمت به، وعلى ما أردته في غيره. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. لضياء الدين بن الأثير: 3 / 52. والكنايات لها مواضع. فأحسنها العدول عن الكلام الدّون إلى ما يدلّ على معناه في لفظ أبهى ومعنى أجلّ، فيجيء أقوى وأفخم في النفس؛ ومنه اشتقّت الكنية، وهو أن يعظّم الرجل فلا يدعى باسمه، أو وقعت على ضربين: لمن لا ولد له على سبيل التفاؤل أن يكون له ولد يدعى باسمه، أو على حقيقة أو يكنى باسم ابنه صيانة لاسمه. وقيل في قوله تعالى: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا} [طه: 44]. كناية. انظر: التذكرة الحمدونية: 8 / 278.

[1] –بطَّان. والبطان: بطان الرحل، وهو حزامه. مجمل اللغة لابن فارس: 1 / 128.

[2] – الخريت: الدليل الماهر.م.

[3] –الوطفاء: الدّيمة السَّحُّ الحَثيثةُ، طَالَ مَطَرُهَا أَو قصُر، إِذَا تَدلَّت ذُيُولُها. لسان العرب، فصل الواو: 358/9.

[4] . الدنيا نعم المطية إلخ... لم أجده هكذا غير أن الطبراني في المعجم الكبير، ح: 2271، روى: «مَنْ يَتَزَوَّدْ فِي الدُّنْيَا يَنْفَعْهُ فِي الْآخِرَةِ». وكذا البيهقي في الآداب ح 813: بنفس اللفظ". وقال. تابعه عبد الله، وغيره، عن هشام بن عمار.

[5] –ذفرها: الذَفَرُ بالتحريك: كلُّ ريح ذَكِيّةٍ من طيبٍ أو نَتْنٍ. يقال مِسْكٌ أَذْفَرُ، بيّنُ الذَفَرِ. وقد ذَفِرَ بالكسر يَذَفُرُ. ورَوْضَةٌ ذَفِرَةٌ. والذَفَرُ: الصُنانُ. وهذا رجلٌ ذَفِرٌ، أي له صُنانٌ وخُبْثُ ريحٍ. الصحاح للجوهري. مادة (ذفر).

[6] –التوى: التَّوَى ذهابُ مالٍ لا يُرْجَى، والفعل منه تَوِيَ يَتْوَى تَوًى، أَي ذهب، وأَتْوى فلانٌ مالَه فَتَوَى، أَي ذَهَبَ بِهِ. والتِّواءُ سِمَةٌ فِي الفَخِذِ والعُنُقِ. تهذيب اللغة للأزهري (باب التاء والميم).

[7] – التلويح: تقدم تعريفه ص53.

والبيت مقتبس من قوله تعالى: **{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [النحل: 76]**.

قال الناظم رحمه الله:

29-[وَقَاكَ الْعَمَى مُزْجِي الْعَمَاء فَعُذ بِهِ فَرُبَّ عَشًى أَفْضَى إِلَيْه عَشَاءُ].

قوله: (**وقاك**)، فعل ماض بمعنى الدعاء، معناه: جعل الله بينك وبين ما تكره وقاية تقيك. (**العمى**)، من عمى البصر، وعمى البصيرة، (**مُزجي**)، أي: سائق. (**العماء**) بالمد الغيم الرقيق، أو هو اسم لمطلق المطر، لأنه يأتي من العماء، وهو الغيب، ففي الخبر: « **كلم اللهُ موسى في عَماء**».[1] أي: في غيم أبيض رقيق نوراني. ومزجي فاعل وقاك، (**فعذ به**)، أي لذ به، والفاء سببية، والباء للإلصاق، والضمير عائد على الله. (**فرب**)، للتكثير والفاء للسببية أيضا، والمجرور محذوف، أي: رب صاحب (**عَشىً**)، بالقصر، وهو من عَشِيَّ بالكسر يعشى بالفتح عَشًى: إذا كان يبصر بالنهار دون الليل، (**أفضى إليه**) أي: أدى إليه (**عشاء**) بالمد، وهو طعام الليل، قال صلى الله عليه وسلم: «**إذا وُضِع العَشاء وأقيمت صلاة العِشَاء، فقدموا العَشَاء على العِشَاء**».[2]

والبيت أيضا تمثيل قصد به التصور، لإثبات الشر من حيث يحتسب الخير، وصدور الضرر من الجهة التي يتوقع منها النفع، وإذا كان ذلك كذلك، فالركون إلى شيء من الأشياء، والاعتماد على سبب من الأسباب جهل، فعلى هذا يكون البيت مقتبسا من قوله تعالى: **{وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ**

---

[1]- أخرج الترمذي في سننه ح:3109 بسنده عن أبي رزين، قال: قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء، ...» قال وهذا حديث حسن. قال أبو عبيد في "غريب الحديث" 8/2: "العماء في كلام العرب: السحاب الأبيض" وأما الأثر بنصه المذكور فلم أجده.

[2]- أخرجه البخاري / في صحيحه، ح: 671، ولفظه: «إِذَا وُضِعَ العَشَاءُ وَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَابْدَؤوا بِالعَشَاءِ». / (باب إذ حضر الطعام وأقيمت الصلاة). وأخرجه مسلم أيضا بنفس اللفظ، ح:557 (باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يُريد أكله في الحال ...).

وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 216]. أي: والله يعلم ما فيه لكم من الخير، وإن كرهتموه، وما فيه لكم من الشر وإن رغبتموه، فيصرفكم عما شئتم لما شاء.

ثم اعلم أنه رصَّع[1] بيته بالتلويح[2]، كما في قوله: (**مُزجي العمى**)، إلى قوله تعالى: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا} [النور: 43]**.

والحاصل أن الأسباب والمسببات لله تعالى، ومن الله، لا يتوصل بها إلى غرض، ولا تجدي في تحصيل غرض إلا بإذنه، ولذلك صار ترك الأسباب مع الله سوء أدب، والاعتماد عليها شرك، والطريق بينهما وهو استعمال الأسباب من غير اعتماد عليها.[3]

قال الناظم رحمه الله تعالى:

30-[سَيَعْلُوكَ مَرْمُوساً سَفىً فَالسَّفَاءَ دَعْ وَحِدْ عَنْ ذَكىً بِالْحَزْمِ فَهُوَ ذَكَاءُ].

أيها المجد في جمع الدنيا ومنعها، والمنافسة فيها أقصر، فإنه (**سيعلوك**)، أي: يظلك، وإن بلغت الغاية القصوى فيها من العز والملك والثروة. (**مرموسا**)، حال من الضمير، أي حال كونه مرموسا ملوثا بتراب القبر. (**سفى**) بالقصر، الريح التي تجري على وجه الأرض، أو ما تجعله على القبر من الرمال الدقيقة، فاعل يعلوك. قال الشاعر[4] (**من بحر البسيط**):

وَنَوْفَلٌ كَانَ دُونَ الْقَوْمِ خَالِصَتِي ... أَمْسَى بِسَلْمَانَ فِي رَمْسٍ بِمَوْمَاةِ

---

[1] – رصع بيته أي: حلاه والترصيع مصطلح يراد به كما قال الخفاجي: " أن يعتمد تصيير مقاطع الأجزاء في البيت المنظوم أو الفصل من الكلام المنثور مسجوعة وكأن ذلك شبه بترصيع الجوهر في الحلي ... ومن أمثلة ذلك في النثر قول أبي علي البصير في بعض كلامه: حتى عاد تعريضك تصريحاً وتمريضك تصحيحاً. وقالت الخنساء:

حامي الحقيقة محمود الخليقة مه ... دي الطريقة نفاع وضرار

جواب قاصية جزاز ناصية ... عقاد ألوية للخيل جرار" سر الفصاحة ص190.

[2] – التلويح: الإشارة عن بعد ولو كانت عن قرب في خفاء فتسمى رمزا وإيماء. وسبق تعريفها ص53.

[3] – ما أجمل هذا فالتوكل المحمود هو: قطع النظر عن الأسباب وعدم الاعتماد عليها بعد تهيئتها والأخذ بها كما في الحديث عن أنس بن مالك أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل يعقل ناقته ويتوكل أو يطلقها ويتوكل فقال له: اعقلها وتوكل. أخرجه الترمذي 2517 وحسنه الألباني.

[4] – هو مطرود بن كعب الخزاعي كما في السيرة لابن هشام 140/1. والبيت من قصيدة طويلة.

قوله: (**فالسفاء دع**)، أي: دع السفه، وهو عدم التثبت في الأمور، وهو ضد الرشد والحلم، وهمزة المد مبدلة من الهاء، كما يقال في هرق، أرق[1]، وحقيقة السفيه: الخفيف الطائش، الذي لا يستفيد ولا يستفاد منه، ولا يكظم الغيظ، ولا يطلب الفضل، ولا ينظر إلى العواقب. قوله: (**وَحِدْ**)، أي: مل. (**عن ذَكَىً**)، بالقصر، وهو لهب النار إذا تم وقودها. (**بالحزم**)، وهو إفراغ في التحرز من المعاصي، من غير غفلة، ولا توان.

وفي البيت من البديع الاقتباس؛ لأن البيت مقتبس من معنى قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ} [التحريم: 6]**. أي، غلاظ القلوب، قد نزع الله الرحمة من قلوبهم، شداد لو شاء أحدهم لرفع أهل الأرض جميعا بمرزبة في دفعة واحدة، ولو أنه وضعها على جبال الدنيا لذابت كلها.

قال الناظم رحمه الله:

31-[وَهَوِّنْ حَفىً أَفْضَى إِلَيْهِ حَفَاؤُهُ بِبِرٍ فَعُقْبَاهُ سَنىً وَسَنَاءُ].

(**هون**)، أي: هون على نفسك ما تلاقيه من (**حفى**) مطاياك بالقصر، وهو مصدر **حفِيّ** الحيوان بالكسر: إذا رق أسفل رجله من مباشرة خشونة الأرض وطول المشي، حتى إنه لو وَطِئ لبل الأرض بدمه، ولو أفضى ذلك إلى حفاء رجلك أيها الراكب والمسافر، **والحفاء**[2] مصدر **حفي** الرجل: إذا مشى حافي الرجل من خف أو نعل. وفي المثل: "من عرف ما طلب هان عليه ما بذل". وقال الشاعر[3] (**من بحر البسيط**):

---

[1] – جاء في القاموس المحيط فصل الياء 930/1 "هَراقَ الماءَ يُهَرِيقُه، بفتح الهاءِ، هِراقَةً، بالكسر، وأهْرَقَهُ يُهْرِيقُه إهْراقاً، ...: صَبَّهُ، وأصْلُه: أراقَهُ يُرِيقُه إراقَةً، ...، وقالوا: أُهَرِيقُه، ولم يقولوا: أُأَرِيقُه، لاسْتِثْقالِ الهمزتين" وقد جاء في موطأة الفصيح نظم فصيح ثعلب:

وإن أمرت قلت من ذاك هَرِقْ ... كما تقول من أرقته أرقْ

والأصل هذا يا فتى فلتعرف ... والهاء فيه بدلٌ من ألف.

[2] – قال ابن منظور في لسان العرب فصل الحاء 187/14" الجوهري: أما الذي حفي من كثرة المشي أي رقت قدمه أو حافره فإنه حف بين الحفا، مقصور، والذي يمشي بلا خف ولا نعل: حاف بين الحفاء، بالمد. الزجاج: الحفا، مقصور، أن يكثر عليه المشي حتى يؤلمه المشي، قال: والحفاء، ممدود، أن يمشي الرجل بغير نعل، حاف بين الحفاء، ممدود"

[3] –هو أبو تمام كما في الأمثال المولدة لمحمد بن العباس الخوارزمي ص425.

لا تحسَبِ المجْدَ تمراً أنتَ آكِله لنْ تَبلغَ المجدَ حَتى تَلْعَقَ الصّبِـرا.

وقال غيره[1] **(من بحر البسيط)**:

الجَدُّ[2] بالجِدّ والحرمانُ بالكَسَل فانصَبْ تُصِب عن قريبٍ غايةَ الأمل.

(فعقباه) أي: فعاقبة أمره **(سنى)** بالقصر: أي ضوءا، **(وسناء)** بالمد: أي رفعة؛ لأن الأمور بعواقبها، فخير العواقب يُنسي الشر المتقدم. قال الشاعر[3] **(من بحر البسيط)**:

كأنّ الفَتى لم يَعْر يوما إذا اكْتَسَى... ولم يَكُ صُعْلُوكـا إذا مـا تـمَـــوَّلا

ولم يَكُ في بُـؤْسٍ إذا بَاتَ لَيـلةً ...يُناغِي غَزالا سَاجِيَ الطرفِ أكحَلا.

وهو مقتبس من قوله تعالى: **{إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ} [النساء: 104]**. من النصر والظفر والثواب وحسن العاقبة، فيحملكم ذلك على استطابة الألم فضلا عن الصبر.

قال الناظم رضي الله عنه:

32-[وَصِلْ بِوَحَى الدَّاعِي الْوَحَاءَ إِغَاثَةً وَبَارِ الْوَلَى نَفْـلاً يُحِطْكَ وَلاَءُ].

قوله: **(صِل)**، فعل أمر. **(بوَحَى)**، بالقصر: الصوت على وجه الاستغاثة. **(الداعي)**، مضاف إليه ما قبله. **(الوَحَاءَ)**، بالمد: السرعة والإقبال، وهو منصوب بالداعي. **(وإغاثة)**، مفعول صل، أي: اجعل صوت الشخص الداعي الوحاء، أي: القائل في صوته: الوحاء، أي: السرعة، موصولا بإغاثتك.

قوله: **(وبَارِ الْوَلَى)**، فعل أمر من بارى، من المباراة. و**(الوَلى)** لغة في الولي، وهو المطر الذي يأتي إثر الوسمي بأن تجاريه جودا وكرما، **(والنفل)**: العطاء لله وفي الله. **(يحطك)**: يحفظك ويحرسك. **(ولاء)**، بالمد، أي: أي عناية وتولية من الله، قال الله تعالى: **{اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا**

---

[1] – هو صلاح الدين الصفدي كما في جواهر الأدب 434/2 والبيت مطلع قصيدة طويلة في الحكمة.

[2] – الجد بالفتح الغنى والرزق ويطلق على الحظ والجد بالضم البئر كما في مثلث قطرب

[3] – هو جابر بن ثعلبة الطائي كما في روض الأرض لمحيي الدين بن الخطيب ص136.

يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ} [البقرة: 257]. وقال: **{وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ} [التحريم: 4]**. ويقال لفلان على بني فلان ولاء بعتق أو ولادة، و**الولاء** أيضا: الوراثة بغير النسب والصهر، و**الولاء**: الحلف بين القبائل على المناصرة.

وفي قوله: (**وَصِلْ بِوَحَى الدَّاعِي الْوِحَاءَ إِغَاثَةً**)، إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «**من كان في حاجة أخيه المسلم، كان الله في حاجته**».[1] وفي قوله في عجز بيته...(**وَبَارِ الْوَلَى نَفْـلاً يُحِطْكَ وَلاَءُ**) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم:" **احفظ اللهَ في الرّخَاءِ يحفَظْك في الشّدة، احفظ الله تجدْه أمامك**"[2].

قال الناظم رحمه الله:

33-[وهَبْ ذا القَصَى سُكْنَى القَصَاءِ ودعْ نَهًى وبـالعسْجَدِ اجْبُرْ ما أَفَاتَ نَهَاء]

(**وهب**): أمر من الهبة، وهي تمليك من غير أخذ عوض من المملك[3]. (**ذا القصى**): أي صاحب النسب البعيد، وهو مصدر قصي[4] الشيء: إذا بعد، ولذلك سمي قُصَي قصيا؛ لأنه تقصى عن قومه مع أخواله من قضاعة.

---

[1] . حديث: " من كان في حاجة أخيه ..." رواه مسلم في صحيحه ح:2580 بلفظ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة».

[2] – حديث: " احفظ الله يحفظك..." رواه أحمد في مسنده ح: 2804. وقال أحمد شاكر معلقا عليه: هذا حديث رواه أحمد عن شيخه عبد الله بن يزيد المقرئ بثلاثة أسانيد، أحدها صحيح...

[3] – قال النووي في تحرير ألفاظ التنبيه ص:240 الهبة: (تَمْلِيك عين بِلَا عوض فَإِن تمحض فِيهَا طلب التَّقَرُّب إِلَى الله تَعَالَى بِإِعْطَاء مُحْتَاج فَهِيَ صَدَقَة وَإِن حملت إِلَى مَكَان الْمهْدي إِلَيْهِ إعظاما وإكراما وتوددا فَهِيَ هَدِيَّة وَإِلَّا فهبة فَكل هَدِيَّة وَصدقَة تطوع هبة وَلَا ينعكس هَذَا). فالهبة والهدية، وصدقة التطوع: أنواع من البر متقاربة، يجمعها تمليك عين بلا عوض.

[4] – قال ابن مالك في الإعلام بتثليث الكلام 519/2:(القصا (بِالْفَتْح وَالْكَسْر) مصدر قصي: بِمَعْنى بعد. والقصا مَقْصُور القصاء: مصدر قاصى أَي باعد). وقال ابن السكيت كما في تاج العروس مادة قصو: (الممدود مصدر قصا يقصو قصاء، كبدا يبدو بداء، والمقصور مصدر قصي عن جوارنا قصا إذا بعد).

قوله: (**سكنى القصاء**)، أي أدنِ منك ذا النسب البعيد حتى تسكنه قصاء دارك بالمد، أي فناءها، وإذا فعلت هذا بقصي النسب، فمن باب أحرى قريبه. وفي المثل "دانقُ تَحبُّبٍ وتَقَرُّب، خير من قِنطَار نسب مع تجنب".

وقوله: (**ودع نهى**) بالقصر، أي اترك "**نهى**" وهو الودع[1] وما شاكله من المال الخسيس، فلا تطلبه وتجنبه بل اجبر ما أفاته، واجبر ما أفسدته بالخلق النفيس؛ لأن النفيس لا ينال ولا يشترى بالخسيس بل اجبر ما أفاته **نهاؤك**، وهو كناية عن سوء صنيعك، -عبر **بالنهى** الذي هو عدم إنضاج اللحم- أي اجبر ما أفاته **نهاؤك** بأنفس أموالك، وهو العسجد، أي الذهب النفيس الأحمر، إذ هو الخليق بأن يرفع من شرفك ما قدم، ويبني من طائل عرشك ما هدم، ويقدم للعدو إذ أعد، فارفع همتك واربأ بها عن سفاسف الأمور، واجنح إلى معاليها، فإذا وقعت إساءة منك إلى أحد، فامحها بأحسن شيء عندك وأنفسه، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «**التحبب إلى الناس نصف العقل، والاقتصاد نصف العيش، والطهارة نصف الإيمان**»[2] فكأنه يقول: قرب بقصي أخلاقك الواسعة الأطراف كل من تقصى عنك إلى الفناء والأكناف لتكون من ذوي الهيئات الأشراف. قال الشاعر[3] (**من بحر الطويل**):

وداوِ بِـلينٍ مـا جَرحْتَ بغِـلْظَـةٍ ... فطِبُّ كلامِ المــرْءِ طيبُ كَلامِـه

وفيه التلويح بقوله: (**ودع نهى**) إلى قوله تعالى: {**وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ**} [**البقرة: 267**] أي فلا تيمموا الخبيث من الأخلاق تنفقون أو تدفعون به، فإنه لا يرتضيه لكم، كما لا يرتضي الخبيث منكم في الإنفاق، كذلك لا يرضى

---

[1] – قال ابن سيده في المحكم 385/4" النَّهَى: ضرب من الخرز، واحدته نَهاةٌ. والنَّهاةُ أَيْضا: الودعة."

[2]– حديث «التحبب نصف العقل الخ ...» ضعيف رواه البيهقي، والعسكري، والديلمي، والقضاعي بألفاظ مختلفة، كما أورده صاحب الكشف تحت رقم: 476 بلفظ: «الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة، والتودد إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم» وقال فيه: ضعفه البيهقي. وقال ابن أبي حاتم في العلل: 284/2 "سألت أبي عن حديث رواه هشام بن عمار عن المخيس بن تميم فذكره وقال: قال أبي: هذا حديث باطل ومخيس وحفص مجهولان". وقال الذهبي في ترجمة مخيس هذا: "روى عنه هشام بن عمار حديثا منكرا"، وساق الحديث (85/4) ميزان. م.

[3] – في الآداب النافعة لمجد الملك أبي الفضل جعفر بن محمد قال ولصاحب الكتاب في المعنى:

(دع الكبر واجنح للتواضع تشتمل ... وداد منيع الود صعب مرامه.

وداو بلين ما جرحت بغلظة ... فطيب كلام المرء طب كلامه).

منكم سيء الأخلاق، لأنه طيب، ولا يحب إلا الطيب صفة كالخيار، وحقيقة كالحلال؛ لأن الله لا يمحو الخبيث بالخبيث، وإنما يمحو الخبيث بالطيب.

أما ما فيه من الاقتباس، فإن البيت مقتبس من قوله تعالى: {**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**} إلى قوله: {**ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**} [فصلت: 35] وهذه الآية الكريمة من أمهات الأخلاق الكريمة والشيم، ومن جوامع الكلم والحكم.

وناهيك من خصلة تجعل العدو وليا حميما، وتُنِيل من تخلق بها عند الله حظا عظيما وتكسب يوم القيامة أجرا جسيما. ومن أحسن ما قيل في هذا النمط قول الشاعر[1] في الجناس التام: **(من بحر المتقارب)**

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِعُرْفٍ كَمَا ...أُمِرْتَ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَـــاهِلِين

وَلِنْ فِي الْكَلاَمِ لِكُلِّ الأَنَامِ ... فمستحسن من ذوي الجَاهِ لِين

والبيت الأول من أحسن أنواع الاقتباس.

قال الناظم رحمه الله:

34-[وكَمْ ذِي سَخًى أغْرَى السَّخاءُ ببَذْلِه لأنقَى بَرتْ أنقاءَهُ بُرَحَـاءُ]

قوله: **(وكم)**: أي كثير من جَمَلٍ. ذي، أي صاحب. **(سخى)**، بالقصر: أي ظلع يصيبه من وثْبَة[2]، وهو مصدر من سخا يسخو سخى وسخاء. قوله: **(أغرى السخاء)** بالمد، أي هيج الجود ربه وأغراه إلى بذله، أي إعطائه لرجل **أنقى** بالقصر، أي دقيق العصب من صفة الأنقى المعطي أنه قد برت **أنقاءه** بالمد جمع نقو بالكسر، وهو كل عظم فيه مخ **(برحاء)**، و**البرحاء**: الشدة، أي أنحلت البرحاء عظامه، ذات **النقى**، أي المخ، **فالسخاء** الممدود مرفوع

[1] – هو أبو الفتح البستي. زهر الآداب لإبراهيم الحصري القيرواني .427/2.

[2] – قال الصاحب بن عباد في المحيط في اللغة باب (وخز): (والسَّخى – مَقْصُورٌ –: ظَلَع يكون من نَعْتِ البَعِير بالحِمْل الثَّقِيل، بَعِيرٌ سَخٍ، وقد سَخِيَ سَخىً. وقيل: هو في الكَتِفَيْن خاصَّةً فيُكْتَفُ منه البعيرُ. وبَعِيرٌ سَخِيٌ – على فَعِيلٍ –، وإبلٌ سَخايا وسَخاوى..) وقال ابن سيده في المخصص 243/1(صَاحب الْعين السَّخَاءُ يُمَدُّ ويُقْصَر، ثَعْلَب، المَقْصُور مَصْدر سَخِيَ يَسْخَى...).

على أنه فاعل **أغرى**، ولام **لأنقى** متعلقة ببذله، والمقصود التزهيد فيما تتنافس فيه النفوس من متاع الدنيا النفيس، فإنه معرض للآفات التي تقتضي الرغبة وبذله.

وقوله: (**برت**) من البري، وهو إزالة اللحم عن العظم، كما يبرى القلم بالسكين.

قال الناظم رحمه الله:

35-[وعَجْلَى لدَى العَجْلاءِ حنّتْ لبَارِقٍ بغَمَّـــى وللْغَمَّاءِ ثَمَّ تُنَاءُ[1]]

أي ورُبّ امرأة (**عجلى**) بالقصر: أنثى العجلان، يقال: رجل عجلان وامرأة عجلى كثكلى وثكلان. (**لدى**): أي عند المكان المسمى **بالعجلاء**، بالمد. (**حنت**): أي اشتاقت إلى إلفها لأجل رؤية بارق لمع من جهته بليلة **غمى**، بالقصر: أي غم فيها الهلال، وهو فعل من الأفعال التي لا تأتي إلا مبنية للمجهول وهي: غُم، وحُم، وسُقط، وجُن، وكُف، وطُل[2] في حال كونها على فرس **غماء**، بالمد أي مستورة: الجبهة بشعر الناصية، ولا يختص ذلك بالخيل، فهي لأجل ذلك **غماء**. (**ثَم تُناء**) أي: تنهض، مضارع أناءها أي: أنهضها، مبني لما لم يسم فاعله. والمقصود أن صفاء هذه الدار مشوب بالأكدار، وحلوها متعقب بالمرارة.

قال الناظم رحمه الله:

36-[وأظْمَى لَدَى الأظْمَاءِ يَنْفَعُ مَوردِاً وإن بَعُدَتْ عنْهُ رَحَى ورحَاءُ]

أي: رُبّ رمح (**أظمى**) أي: سريع الورود عند الهيجاء لتعطش صاحبه إلى ملاقاته الأقران، فيورده من نجيع أجوافهم حتى يرويه، فلما كثر وقوع ذلك منه صار بذلك الرمح وكأنه اكتسب **الظمأ** من سريان حال حامله إليه إذ لم يكن جبانا ولا معردا[3]. قال حسان رضي الله عنه في قصيدته المشهورة:

---

[1] – هذا البيت مروي برواية أخرى هي: (بغمى وللغماء منه ضياء) وهي التي أثبت الشيخ المأمون وقد أثبت هذه لكون الشيخ قد شرحها واعتمدها.

[2] – ومنها – دُهش – عُني _ أغرم_ أولع– شُدِه –هُرِع– نُفس (نُفِست المرأة) –وُعِك –قُحِطَ– بُهِتَ–شُغِلَ– فُلِج (من الفالج) – أُغمي– غُشِي –بُرّ – ثُلِج _ وغيرها.

[3]– معردا: أي: هاربا. م.

عدِمْنَا خَيْلَنَا إنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ

يُنَازِعْنَ الْأَعِنَّةَ مُصْغِيَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسَلُ الظِّمَاءُ

و(أظمى): نعت لمحذوف. و**(لدى)**: بمعنى عند. **(الأظماء)**: جمع ظِمْء، بالكسر، وهو ما بين الشربتين[1]، فينفعه رمحه إذ قد تعود ذلك وإن بعدت عن ذلك المورد **(رحى)** بالقصر: أي أعوانه في الحرب المتكاثرون الذين يدورون في الحروب كدوران الرحى تطحن فلا تجاوز مركزها وإن دارت ولا تسعى في توهين ما صادمته حتى تأتي على آخره. **والرحاء**، بالمد لغة شاذة[2] في رحى: الطاحون، وإنما أتى بها مراعاة للازدواج.

وفي البيت من البديع الكناية مع كونه مفرغا في قالب التمثيل فكنى عن الحزم بالرمح وعن العزم بالإيراد وعن الشدائد بالأظماء.

قال الناظم رحمه الله:

37-[وأَهْلُ الغَبَى مثْلُ الغبَــاءِ فـدَعْهُم وحِـدْ عن ذَمـَى تُنْعَشْ ويَحيَى ذَمَـاءُ]

قوله: **(وأهل الغبى)**، بالقصر والفتح: أي أرباب الجهل الذين صاروا أهلا له واتخذهم الجهل أهلا بأن استوطنهم. والجهل جهلان: منه ما هو ضد العلم وهو عبارة عن ترك ما ينبغي لمثله علمه كعلم الكتاب والسنة والفرائض، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «**العلم آية محكمة، وسنة قائمة، وفريضة صادقة، وما سوى ذلك فضل**»[3]

---

[1] – قَالَتْ صَفِيَّةُ لِابْنِ عُمَرَ: أَلَا تَشْبَعُ؟ قَالَ: «الْآنَ تَأْمُرِينِي بِالشَّبَعِ، حِينَ لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي إِلَّا ظِمْءُ حِمَارٍ»

[2] – قال الجوهري في الصحاح باب (رحى) (الرَحى معروفة، وهي مؤنثة، وَالألف منقلبة من الياء. تقول: هما رَحَيانِ... وكل من مد قال رحاء ورحاءان وأرحية، مثل عطاء وعطاءان وأعطية، فجعلها منقلبة من الواو وما أدري ما حُجَّته وما صحَّته).

[3]– حديث «العلم آية محكمة، الخ .....» ضعيف رواه أبو داود وابن ماجه في السنن والحاكم في الرقاق، وأورده السيوطي تحت رقم 5709 بلفظ: «العلم ثلاثة وما سوى ذلك فضل: آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة». ورمز له بالصحة، قال شارحه المناوي في فيض القدير 386/4: "قال الذهبي في (المهذب) وتبعه الزركشي: فيه عبد الرحمن بن الغم ضعيف، وقال في (المنار): فيه أيضا عبد الرحمن بن رافع التنوخي لم تثبت عدالته بل أحاديثه مناكير أهـ. وأقول: فيه أيضا عند ابن ماجه وغيره، رشد بن سعد، ومن ثم قال بن رجب: الحديث فيه ضعف مشهور". وسكت عليه الحاكم، وقال الذهبي: ضعيف كما في المستدرك 332/4.م. بتصرف يسير.

ومن الجهل ما هو ضد الحلم، وكل ذي علم غرثان[1] إلى حلم. والفرق بين الحلم والصبر هو أن الحلم تحمل الأذى من الخلق، والصبر حبس النفس على امتثال ما يرد عليها من جانب الحق.[2]

قوله: (**مثل الغباء**)، بالمد والفتح: الغبار لكونهم يضرون ولا ينفعون، وفي المثل: "إياك وصحبة الجاهل فإنه يريد أن ينفعك فيضرك".

قوله: (**فدعهم**): أي اترك صحبتهم والإعجاب بزيهم، **فالغبى** اسم من غَبِي الرجل بالكسر، غباوة فهو غبي إذا كان جاهلا.

وقوله: (**أهل**)، مرفوع بالابتداء، ولا وجه لنصبه على الاشتغال لدخول فاء الاستئناف على الفعل المفسر، إذ لا يعمل ما بعدها فيما قبلها. قوله: (**وحِدْ**) أي: مِلْ عن (**ذَمَّى**)، بالقصر والفتح: كل رائحة منتنة تأنفها النفوس الشريفة[3]. (**تُنعَشْ**): أي تقوى بعد ضعف وتعلو منزلتك بعد سخف.

قوله: (**ويحيا**): من موت الجهل أو الهوى. (**ذماء**): بالمد: تقول ذَمِيَ المذبوح يذمى إذا تحرك وارتفع بعد الذبح، قال الله تعالى: {**اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**} [الأنفال: 24] وهو العلم والعمل به ونور الحكمة. قال الله تعالى: {**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**} [فاطر: 28]. يقول الشاعر[4] (**من بحر البسيط**):

العلمُ أنفسُ ذُخْـر أنتَ ذَاخِـــرُه ...من يَدْرُس العِلْـم لمْ تـدْرسْ مفَـاخِرُه

أقْبِـلْ على العلمِ واسْتَقْبِل مقاصِدَه ...فأولُ العِلْـم إقبـالٌ وآخِـــــــرُه

---

[1]– غرثان: جائع أو محتاج. م. وفي المواهب اللدنية مع شرح الزرقاني 388/5 (من حديث جابر مرفوعًا: "ما أوى شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم، وصاحب العلم غرثان إلى الحلم".)

[2] – قدمت هذه الفقرة لمناسبة القسمة وتكميلها. وإلا فهي في الأصل متأخرة.

[3] – قال ابن منظور في اللسان: 289/14 (والذمى: الرائحة المنتنة، مقصورة تكتب بالياء. وذمى يذمي: خرجت منه رائحة كريهة. وذمته ريح الجيفة تذميه ذميا إذا أخذت بنفسه).

[4] – هو الشبراوي كما في مجاني الأدب 129/2

والحاصل أن العلم لا يحصله إلا من استفرغ فيه جميع جهده وأفنى فيه سائر عمره. وفي المثل: "العلم إذا أعطيته كلك أعطاك بعضه وإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئا منه". وفي ذلك يقول الشافعي رضي الله عنه: **(من بحر الطويل)**

أخي لنْ تنالَ العِلمَ إلا بِستّــةٍ سَأُنْبِيكَ عنْ تَفصِيلِها بِبَيان

ذكاءٌ وحِرصٌ واجتِهادٌ وبُلغَــةٌ وهمةُ أستَــاذٍ وطُولُ زمَانِ

ولما كان العلم أكثر من أن يحاط به كان ينبغي للإنسان أن ينتخب من كل فن أنفعه عاقبة وأجمعه غائبة، قال الشاعر[1] **(من بحر السيط)**:

من كلّ عِلْم تَعلّم تَبلُـغ الأمَـلا ولا يَكُـن لكَ فَـنٌّ واحِد شُغُـــلا

فالنحلُ لما رَعَت منْ كُل نابِتَــةٍ أبدتْ لنا الجوهَريْنِ الشّمْعَ والعَسَلا

الشمعُ بالليــل نُورٌ يُستَنارُ بــه والشّهْدُ يُبري بإذن الــواحِدِ العِلَلا

وفي البيت اقتباسان: فصدره مقتبس من قوله تعالى: {**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**} [**الأعراف**: 199] وعجزه مقتبس من قوله تعالى: {**إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** } [**الأنفال**: **24**] وفيه أيضا تلميح إلى المثل السائر: "الجهل عار ولا يرضاه إلا حمار" ؛ لأنه لمح إليه بقوله: **(وحد عن ذمى)** أي: مل عن نتن الجهل؛ لأن نتن الجهل أنتن من كل منتن؛ إذ منه تنشأ جميع الأخلاق السيئة، فإذا رفعت همتك عنه واشتغلت باقتناء العلم النافع انتعشت موات أحوالك بالعلم النافع، واهتزت وربت أجاديب أعمالك بأزاهر الحكمة، فأنبتت من كل زوج بهيج، فيحيا ذماء قلبك المذبوح بمدية الهوى، ويتروى من بساتينه ما قد ذوى. أنعش الله هممنا بوابل عرفانه.

[1] – الأبيات تنسب لابن العربي قال الرجراجي في رفع النقاب عن تنقيح الشهاب، 117/6: ولهذا قال ابن العربي في شعره: ...الأبيات.

قال الناظم رحمه الله:

38-[وصَيْدُ المهَى عُـدْمُ المهَـاءِ يزِينُهُ كَـمَا زانَ مشْــدُوداً نجـاهُ نَجـاءُ]

(**المهى**) بالقصر: بقر الوحش، سمي بذلك لبياضه، والمعروف المتداول أنه نوع من اليواقيت، قال حاتم بن عبد الله الطائي (**من بحر الخفيف**):

رُبَّ بَيْضَاءَ كَالْمَهَى تَتَهَادى قَدْ دَعَتْنِي لِوَصْلِهَا فَأَبَيْتُ

لَمْ يَكُنْ شيمتي الْعَفَافُ وَلَكِنْ كُنْتُ نَدْمَانَ زَوْجِهَا فَاسْتَحَيْتُ

و(**المهاء**)، بالمد: اعوجاج في السهم يمنعه من حسن الإقصاء. و**النجا** بالقصر: أعواد الهودج، وبالمد: سرعة السير، يقال: قلوص نجية إذا كانت لا تجارى.

وفي البيت من البديع الكناية، فإنه كنى بصيد المها عن السعي في تحصيل الحسنات بالقصد المستقيم والحزم المستديم، كما يظفر بالصيد القانص إذا استعان عليه بالسهم المسدد.

وقول الناظم: (**كما زانَ مشْدُودا نَجاهُ نجاءُ**) أي **نجاه** حزمه لسبب **نجاء** عزمه ومجده. قال الله تعالى: {**وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا**} [الإسراء: 19].

قال الناظم رحمه الله:

39-[وكَمْ في قَسىً مِن ذِي قَسَاءٍ وذِي رجًا بِدُنْياهُ دَامَتْ رَغْبَـةٌ ورجَـاءُ]

أي: كثير من صاحب (**قساء**)، بالمد: أي قساوة في القلب. حالٌّ في (**قسى**)، بالقصر: موضع من بلاد العرب. ومن (**ذي رجا**): أي صاحب **رجا** أي: مرتج عليه في كلامه. ويروى أن عثمان رضي الله عنه قام يوما ليخطب فأرتج عليه في خطبته، فقام طويلا وهو ساكت، ثم نزل عن المنبر، ثم قال السكوت عما لا يليق خير من النطق به[1]. وهو مصدر رجِي، بالكسر:

[1] – قصة عثمان رضي الله عنه مشهورة يذكرها المؤرخون بروايات مختلفة وغيرهم لكن ابن العربي في عارضة الأحوذي 296/2 يرى خلاف ذلك ويقول:.. ومن كان خطبته لله فليس يحصر عن حمد وصلاة وحض على خير وتحذير من شر

إذا حصل له ذلك، من صفة ذي الرجاء أنه دامت رغبته في دنياه ورجاؤه، أي خوفه من ذهابها مثلا. وبالخوف فسر الرجاء في قوله تعالى: {**مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**} [نوح: 13] أي لا تخافون. ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي: (**من بحر الطويل**)

إذا لَسَعَتْهُ النّحْلُ لم يَرجُ لَسعَها ... وخالفَها في بيتِ نُوبٍ عَوَاسِلِ

والنوب: النحل لأنهن سود كالنوبة، والنوبة جنس من السودان.

والمعنى أن الدنيا ملئت من قساة القلوب الذين لا يرغبون في غيرها، ولا يخافون سواها.

والبيت مقتبس من قوله تعالى: **{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ} [الإسراء: 18]**. وهم الكثيرون عددا القليلون مددا، بخلاف الشاكرين، فإنهم القليلون عددا الكثيرون مددا، قال الله تعالى: **{وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: 13]**.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

40-[وَمَرْدىً بِمَرْداءٍ لَدىَ مُتَوَكِّلٍ وَأَرْضٌ سَـوىً لَلْوَارِدِينَ سَـوَاءُ].

قوله: (**مَردىً**)، بالفتح والقصر: المهلكُ، مكاناً أو مصدرا، كالمهدى والمثوى. (**والمرداءُ**)، الأرض التي لا نبات فيها، يقال رجل أمرد، إذا لم تكن له لحية، كما يقال: أرض مرداء إذا لم يكن فيها نبات. قال الشاعر[1] (**من بحر البسيط**):

منّا الَّذِي هُو ما إنْ طَرَّ شَارِبُه ... والعَانِسُونَ ومِنَّا المُرْدُ والشِّيبُ

(**وأرضٌ سَوىً**)، وهي: أرض بها ماء من مياه العرب، يقال له: سَوى. و(**سواء بالمد**): أرض مستوية.

وهذا مقابل لقول الناظم: (**وكَمْ في قَسىً من ذي قَسَاءٍ ...**) البيت. فإنه إخبار بكثرة من في الدنيا من قساة القلوب الذين لا رغبة لهم إلا فيها، ولا رهبة لهم إلا منها، وهذا صادق

أي شيء كان ولم يخلق من تحصير إلا من كان له غرض غير الحق فربما أعانه عليه بالفصاحة فتنة وربما خلق الله له العي تعجيزا."

[1] – هو دثار أبو قيس بن رفاعة الواقفي، جاهلي من شعراء يهود المدينة. طبقات فحول الشعراء ص 288.

مع قلة غيرهم، ومع عدم وجودهم رأسا، فأخبر في هذا البيت بوجودهم على سبيل القلة، فإن (**رُبَّ**)، المقدرة معناها التقليل بدليل السياق والمجرور بها مرفوع بالابتداء، و(**بمرداء**)، صفة له. و(**لدى متوكل**)، خبره.

وأما قوله: (**وأرض سواء**) إلى آخره، فمعناه أن أرض هذا الماء المسمى **بسوى** بالقصر مستوية في حق الواردين لا تفاوت لهم فيها، ولا يمنع منها إلا من أبى وتكاسل، وهذا كناية عن أرض الجنة، فإن الله دعا إليها كل عباده حيث قال سبحانه: **{وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ} [يونس: 25]**، أي: كل عباده على ما قاله أئمة التفسير، ودل عليه الحديث، قال صلى الله عليه وسلم: «**كلكم يدخل الجنة إلا من أبى**».[1]

قال الناظم رحمه الله تعالى:

41 -[وَإِنَّ سَـدىً فَوْقَ السَّدَاءِ لآيَـةٌ فَحَصِّلْ جَلىً إِنْ غَابَ عَنْكَ جَـلاَءُ].

(**السَّدَى**)، بالقصر والفتح: الندوة أو الندى[2]، وحقيقته ما يعلو الأشجار صباحا إلا أنه لا يكثر إلا في الأرض الوَبِيّة، وربما كثر في سنة الخصب إذا لم يكثر هبوب الرياح. و(**السَّدَاءُ**)، بالمد والفتح: البلح بلغة أهل المدينة، يقال من الأول: سدِيت ليلتنا، بالكسر: إذا كثر نداها، وقلما يقال: سدي اليوم. و(**الجلى**)، بالقصر: ضرب من الكحل. و(**الجلاء**)، بالمد: البياض، يقال: ما أقمت عندهم إلا جلاء يوم، أي: نهارا واحدا. قال الشاعر[3] (**من بحر الرجز**):

ما ليَ إن أَقْصَيْتَني من مقْعد ... إلا جَلاءَ اليومِ أو ضُحَى غَدِ

---

[1] -أخرجه البخاري بلفظ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»، باب الاقتداء بسنن رسول الله، ح: 7280. وأخرجه أحمد بهذا اللفظ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ أَبَى»، ... مسند أبي هريرة، ح: 8728.

[2] – " السدى على ثلاثة أوجه كلها مقصورة تكتب بالياء وهو سدى الثوب ويقال ستي الثوب وهما لغتان بمعنى. والسدى البلح واحدته سداة. والسدى من الندى كذلك." المقصور والممدود لابن ولاد ص63.

[3] – هذا الرجز ذكره الأزهري في تهذيب اللغة، 126/11 غير منسوب وبعد الشطر الأول" ولا بهذي الأرض من تجلد" وكذلك الفراهيدي في العين،180/6، وابن ولاد في المقصور والممدود ص31 وغيرهم لكن دون نسبة.

والمعنى: أن الندى فوق البلح آية، أي: عبرة ودلالة دالة على كمال قدرته تعالى وتمام إرادته، يعتبر بها المعتبرون بآيات الله وعجائب قدرته، فيزدادون بذلك يقينا، وبما عنده إيمانا، فحَصِّلْ كحلا لعيني بصيرتك بالنظر إلى عجائب مصنوعاته لتتوصل بذلك إلى معرفته إن فاتتك تلك المعرفة التي عبر عنها بالجلاء بالمد، فتترقى من علم اليقين إلى عين اليقين. بالجلى بالقصر الذي أريد به علم اليقين إلى الجلاء بالمد الذي أريد به عين اليقين[1].

والبيت مقتبس من قوله تعالى: **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ} [البقرة: 164]**.

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى:

42-[وَرُبَّ خَوىً عِنْدَ الْخَوَاءِ اسْتَطَابَهُ مُوالِي ضَحىً لَمْ يُزْوَ عَنْهُ ضَحَاءُ].

قوله: (**رُبَّ**)، حرف جر بمعنى التكثير هنا. (**خَوىً**)، بالفتح والقصر: أي جوع استطابه (**عند الخواء**)، بالمد والفتح، أي: الخلاء لأنه يحتوي على ساكنه كما تحتوي الأمعاء على الجوع والشبع، وهو من باب تسمية الظرف باسم المظروف، لأن الأمعاء تسمى بالأحواء، فمفردها حينئذ حَوىً، وتسمى بالحوايا، قال تعالى: **{إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا } [الأنعام: 146]**، وهذا كناية عن استطابة المتنسك الأعمال الشاقة، يجد فيها من قرة العين تارة ومن رجاء الثواب أخرى، وإنما خص الصوم هنا بالذكر والإشارة، لأنه أقرب أعمال البر إلى الإخلاص لقول الله تعالى: «**كُلّ عَمَلِ ابنِ آدمَ له إلا الصومُ، فإنه لي وأنا أجزي به**»[2].

قوله: (**استطابه**)، أي: استحلاه واستلذه. (**مُوالي**)، أي: مباشر. (**ضَحىً**)، بالقصر: مصدر ضحِي بالكسر: إذا برز للشمس. قال الله تعالى: **{لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى} [طه: 119]**، أي: لا يصيبك وهج الشمس. وفيه المد لغة، و**الضحاء** بالمد لا غير، وهو الوقت الذي يقرب

[1] – هناك مراتب ثلاث لليقين هي: علم اليقين كعلم المؤمن بوجود الجنة والنار، وعين اليقين كمشاهدته لهما يوم القيامة، وحق اليقين وهو بدخول المؤمن للجنة وتلبسه بنعيمها، إذا هي علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين.

[2] – البخاري باب: هل يقول إني صائم إِذَا شُتِمَ. ح: 1904. ومسلم باب فضل الصيام. ح: 1151.

من الزوال. وقوله: (**يُزْوَ**)، مبني للمجهول، مضارع زوى الشيء بالزاي فانزوى، أي: انقبض مجزوم بلم.

ومعناه: إنما يرجو حسن الثواب من زُويت له مسافة الدنيا حتى شاهد بعين بصيرته ما يأتي، ولذلك هانت عليه موالاة وَهَجِ الشمس في الضحى والضحاء، فصبر في حال كونه سالكا، واشتاق والتَذّ وذاق في حال كونه مشاهدا واصلا مواصلا، إذ الدين مبدؤه سلوك ومجاهدة، ومنتهاه ذوق ومشاهدة[1]، قال الله تعالى: **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: 69]**.

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى:

43-[حَوَى جَلَداً فَاقَ الْعُلَى لِعَلاَئِهِ فَلَوْ بِوَرىً يُبْلَى وَقَاهُ وَرَاءُ].

قوله: (**حَوَى**)، أي: حاز مُوالي ضَحى. (**جلدا**)، أي: قوة على موالاة ما ذكر ففاق بذلك الجلد. (**العلى**)، بالقصر: جمع علاة، وهي مِنْسَأة[2] الحداد؛ لأجل (**علائه**)، أي: شرف نفسه وعلو همته، **فلو**، قد رأيته (**يُبلى**)، أي: يمتحن. (**بورىً**)، بالقصر: داء في الجوف. (**وقاهُ**)، أي: حماه. (**وراء**)، بالمد: ما يستتر به، أي: فدى لعزته وعظيم موقعه في النفس مما يُفْدى به من رفيع الأشياء وأحبها إلى النفوس من كل بؤس. ومن الورى المقصور الممثل به. وهذا البيت إنما جيء به تتميما لمعنى البيت السابق؛ لأنه متضمن معناه، وليس تحته طائل معنى.

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى:

44-[فَمَا بِالصَّبَا يُهْدىَ الصَّبَاءُ لِقَلْبِهِ وَكَيْفَ الْكَرَى وَالْمُسْتَقرُّ كَرَاءُ].

(**الصَّبا**): الريح الشرقية. و(**الصَّبَاءُ**) بالمد: مصدر صبأ بالفتح إذا مال إلى الهوى، أو هو مطلق الميل، وقيل في الميل عن المرغوب عنه، ولذلك كان مشركو مكة يسمون من أسلم منهم

---

[1] – وهذه هي مرتبة الإحسان فلذة العبادة لا تنال إلا بالمصابرة والمجاهدة، كما جاء عن ثابت البناني – رحمه الله – أنه قال: تعذبت بالصلاة سنة، ثم تنعمت بها عشرين سنة. فقد حمل نفسه على ما تكره، وأدمن طرق الباب، وساق نفسه إلى الله راغمة حتى انقادت له، وسلس قيادها، فصارت تؤدي الحق سماحة، لا كظمًا، وطواعية لا كرهًا.

[2]– منسأة: المِنْسأَة، أُخذت مِنْ نَسَأْتُ الْبَعِيرَ أَي زَجَرْتُه لِيَزْداد سَيْرُه. لسان العرب لابن منظور، فصل النون،169/1.

الصَّابئ، لأنهم مالوا بزعمهم عن دين مرغوب فيه إلى دين مرغوب عنه، وكانوا إذا قالوا لأحد منهم: صبوت قال: ما صبوت ولكني أسلمت لرب العالمين، ولذلك سمي إبراهيم حنيفا؛ لأنه مال وحده عن جميع أديان الكفر إلى الحنيفية السمحة، قال الله تعالى: **{مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} [البقرة: 135]**. والحنيف والحنيفية مأخوذان من حنف إبهام الرجل إلى جانب عن جميع الأصابع، وبذلك سمي الأحنف بن قيس أحنف، وكانت أمه ترى فيه مخايل الحلم والكرم وهو صبي، وكانت إذا اجتمع عليها نساء بني تميم ترقصه وتقول: (**من بحر الرجز**):

والله لولا حَنَفٌ بـرِجْلِـه *ودِقـةٌ أُبْصِـرهُـا في سَـاقـه * ما كان منْ صِبْيانِكُم كَمِثْلِه.[1]

وقد أسلم صبيا وحُسن إسلامه، فأدرك العلم والحكمة، وكان إليه المنتهى فيهما، وكان يكنى أبا بَحْر.

وصبِي بالكسر: لعب مع الصبيان. (**وكيف**)، استفهام إنكاري بمعنى النفي. (**الكرى**)، النوم، مصدر كرِي بالكسر: إذا نام.

و(**كراء**)[2] بالمد ثنية، وهو محل معروف بالخوف تغزوه العرب من اليمن وبلاد غطفان ونجد والسواد، فلذلك لا ينبغي لكل ذي عقل سليم الكرى والغفلة في دار الدنيا مع ما فيها من مخاوف النفس والشيطان والهوى، فيستعين على تلك الأعداء والمخاوف بالتوكل على الله والالتجاء إليه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه لينصره على أعدائه، فإن الله تعالى يقول: **{إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ} [محمد: 7]**. إذ ربما أصبح الرجل منقطعا فلا يمسي إلا وهو واصل، وربما أصبح مطيعا فلا يأتي عليه المساء إلا وهو في ظلمات المخالفات.

---

[1]-. ذكر ابن منظور في اللسان 57/9 . "أن حاضنة الأحنف أنشدته . وكانت تُرَقِّصُه وَهُوَ طِفْل:

واللهِ لَوْلا حَنَفٌ برِجْلِهِ، *** مَا كانَ فِي فِتْيانِكُم مِن مِثلِهِ.

وقال مرة أنشد أَبو إسحاق:

واللهِ لَوْلَا حَنَفٌ بِرِجْلِه *** ودِقَّةٌ فِي ساقِه مِنْ هُزْلِه".

ولعل الشطر هكذا وليس ما أثبت في الأصل: (ودقة أبصرها في ساقه).

[2] .-كراء: بالفتح والمد، ثنيّة ببيشة، وقيل ثنيّة بالطائف، وقيل واد يدفع سيله في تربة. معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي 4 / 442.

قال الناظم رحمه الله:

45-[يَرَى وَهُوَ أَحْنَى مِلْءُ أَحْنَائِهِ ضَحىً وَلاَ يَشْتَكي إِنْ عِيقَ عَنهُ ضَحَاءُ].

الأحنى، بالفتح والقصر: المنحني من شدة الجد والتشمير وعدم الونى والفتور. **والأحناء**: جمع حنو، وهو كل ضلع معوج. و**الضَحَى**، بالقصر والفتح: مصدر ضحِي بكسر الحاء، أي: عرق. و**الضَّحَاء** بالمد والفتح: الغذاء. و**ملء** الشيء: المقدار الذي يملؤه.

والمعنى: يبصر موالي **ضحى** وهو منحني الظهر من شدة الجد والتشمير المقدار الذي يملأ أضلاعه كافيا له من الغذاء، ولا يتعداه لطلب ما سواه مكاثرا مفاخرا، ولو لم ينله إلا بعد عرق وكد، بل ولو منع منه ذلك المقدار الذي يملأ أحناءه فلا يُظهر لأجل ذلك شكوى إلى مخلوق وإن منع منه ما لا بد منه من ضرورياته كغذائه مثلا فأحرى ما لم تدعه إليه ضرورة.

فجملة (**وهو أحنى**)، في موضع نصب على الحال من مرفوع (**يرى**)، وأما (**ملء أحنائه ضحى**)، فيصح نصبها حالا منه أو من فاعل **أحنى**.

والبيت فيه من البديع التضمين، وهو متضمن معنى قوله تعالى: **{وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى} [طه: 119]**. أي: في الجنة. وفي الحث على الاكتفاء باليسير لأنه مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم: «**خيركُم رجُلٌ خفيفُ الحاذِ قل تراثُه، وقلت بواكِيه وقل حِسابُه**».[1] وهو يشير إلى التعفف عن المسألة بما يناله من عرق جبينه، وكد يمينه؛ لأنه من أحل الحلال وهو مراد الشارع.

[1] – ذكره البيهقي في شعب الإيمان ح: 9867 بلفظ: "خَيْرُكُمْ فِي الْمِئِينَ كُلُّ خَفِيفِ الْحَاذِ "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا خَفِيفُ الْحَاذِ؟ قَالَ: " الَّذِي لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا وَلَدَ "، " تَفَرَّدَ بِهِ رَوَّادُ بْنُ الْجَرَّاحِ الْعَسْقَلَانِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ "، وأورده الترمذي في سننه ح:2374 بهذا اللفظ: «إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي لَمُؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحَاذِ ذُو حَظٍّ مِنَ الصَّلَاةِ، أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ، وَكَانَ غَامِضًا فِي النَّاسِ لَا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ»، ثُمَّ نَقَرَ بِإِصْبَعَيْهِ فَقَالَ: «عُجِّلَتْ مَنِيَّتُهُ قَلَّتْ بَوَاكِيهِ قَلَّ تُرَاثُهُ». وضعفه الألباني.

قال الناظم رحمه الله:

46-[كَفَاهُ الْمَشَا هَّم الْمَشَاءِ فَلاَ شَرىً لَدَيْهِ لِأَقْوَاءٍ حَـوَاهُ شَـرَاءُ].

(**المشى**)، بالقصر والفتح: نبت معروف يقال له: الفصة والفصيص. تأكله العرب عند مخمصة، وربما أكلته تفُكّها. و(**المشاء**) بالمد والفتح: كثرة النسل، ومنه سميت الماشية. و(**الشرى**)، شدة الغضب، يقال: أشِر الرجل بالكسر: إذا استشاط غضبا، وربما سمي به كل شيء بلغ فيه الغاية مما لا ينبغي قال الله تعالى: **{كَذَّابٌ أَشِرٌ} [القمر: 25]**. ويطلق الأشر فيراد به النهامة، يقال: أشِرٌ أكول. و**الشَّرَاء** بالمد والفتح: موضع معروف تعتزل فيه المتصوفة.

والمعنى: كفى من ذكر، وهو موالي ضحى إذ الضمير عائد عليه، أي: أغناه ما فيه كفافه، وما تقوم به بنيته من الحلال كالمشى مثلا وما في معناه من نبات الأرض الذي لا يفتقر في تحصيله إلى كبير مؤونة، ولا يخشى معه تبعة لمخلوق. (**هَمَّ**)، مفعول كفى، و(**المشى**): فاعله. و(**المشاء**) بالمد: مضاف إليه، أي: كفاه هم غيره ككثرة النسل، أي: الاهتمام به، وهو ميل النفس إلى تحصيله. أو الهم الكائن لأجله بعد حصوله الذي يوجبه فقدان ما يحتاج إليه من مأكله ومشربه وملبسه، ومنشأ الكفاية أن الاقتصار على ما فيه الكفاف من الحلال ينور البصيرة.

وقوله:(**لأقواء**) جمع قوى وهو المكان القفر وقوله: (**حواه**)، أي: ضمه مكان قفر ينفرد فيه بربه حرصا على صفاء قلبه وجلاء مرآة لبه. وهذا كله منه حث على العزلة والخلوة بالله عز وجل والتبرؤ من الخلق بالفرار إلى الخالق. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «**الخُمول نعمةٌ وكل الناس يأباه، والظهور نِقمةٌ وكلُّ الناسِ يتمناه**».[1] وقد قيل: كم وحدة أنفع من جليس، ووحشة أنفع من أنيس.

[1] – أورده صاحب (الكشف): وقال: ليس بحديث وإنما هو عن بعض السلف، ثم ثبت معناه عند أحمد ومسلم عن سعد مرفوعا: أن الله يحب العبد التقيَّ الغنى الخفي... ". قال القاري وكذا حديث الخمول راحة، والشهرة آفة ". من كلام بعض المشايخ انتهى. وقال ابن الغرس وقد رأيت في بعض التعاليق زيادة: " والشهرة نقمة، وكل يتوخاها"، وقد جاء في السنة وفي كلام السلف ما يدل لهذه الزيادة أيضا حتى إن إبراهيم بن أدهم كان يتحرى الخفاء ويهرب من الشهرة.

قال الناظم رحمه الله:

47-[وَتأْلَفُهُ الْخَيْطَا وَخَيْطَاءُ إِلْفُهُ وَلَوْلاَ الْمَنَى لَمْ يَرْضَ مِنْهُ مَنَاءُ].

(**وتألفه**)، أي: تسكن إليه وتستأنس به، والضمير راجع على المنفرد بالشراء للخلوة بربه. و**الخيطا**، لغة في الخيطة، وهو القطيع من النعام. و**الخيطاء** بالمد والفتح: النعامة الطويلة العنق والقائمتين، وقيل: التي يخالط سوادَها بياض.

و**المَنَى** بالفتح والقصر: لغة شاذة في القدر[1]، ولذلك اشتق للمنية اسم منه، فيقال: المنية يأتي بها المُنَى[2].

و**المناء** بالفتح والمد: محل النهوض، أو النهوض نفسه، والنوء **والمناء**: النهوض عن ثقل وتؤدة حتى لا يكاد يفعل، قال الله تعالى في صفة أموال قارون: **{مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ} [القصص: 76]**.

والمعنى: وتألف من ذكر في شَراء، أي: تصحبه فيه جماعة من النعام. و(**إلفه**)، أي: مؤالفة نعامة موصوفة بطول العنق والرجلين، أو باختلاط البياض والسواد فيها، أي: من شدة فراره عن الناس وطول ملازمته للفلوات، ألفته وجاورته وأنست به، ولولا القدر لم يرض أحد نهوضا في حال كونه منه، بمعنى أن كل من تجرد لربه بقلبه وجسمه، فهو ملحوظ بعين السخط والاحتقار عند العامة لنبو العين عنه وازدراء النفوس له فلا يعبأ به لقلته[3] وذلته، ولعله ممن لو

كشف الخفاء للعجلوني 1 / 383. ح: 1226. وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة ح: 446. وقال: ليس بمرفوع وإنما هو عن بعض السلف، نعم ثبت عن سعد مرفوعا: إن الله يحب العبد الخفي التقي ..."م. بتصرف.

[1] – قال ابن ولاد في المقصور والممدود ص115: " المنا. الّذي يوزن به مقصور يكتب بالألف لأنك تقول في التثنية منوان. والمنى. القدر يكتب بالياء لأنك تقول منى يمني... قال صخر الهذليّ:

لعمرُ أبي عمرو لقدْ ساقهُ المنى ... إلى جدثٍ يوزي له بالأهاضبِ ".

[2] – قال الشنقيطي في أضواء البيان، 472/7: " قال بعض العلماء: من نطفة إذا تمنى أي تقدر بأن يكون الله قدر أن ينشأ منها حمل، من قول العرب: مني الماني إذا قدر. ومن هذا المعنى قول أبي قلابة الهذلي، وقيل سويد بن عامر المصطلقي:

لا تأمن الموت في حل وفي حرم ... إن المنايا توافي كـــل إنسان

واسلك سبيلك فيها غير محتشم ... حَتَّى تُلاقِيَ مَا يُمْنِيْ لَكَ الْمَانِيْ".

[3] . القلة: الحقارة. م.

أقسم على الله لأبره، وإنما يرضى نهوضه مع ما يجد من الاحتقار والأمور الشاقة على النفس باعتبار أن الله أقدره على ذلك، وتعلقت بتخصيصه إرادته القديمة لا بالنظر لصدوره منه.

قال الناظم رحمه الله:

48-[وَلَيْسَ كَذِي جَرْبَا بِجَرْبَاءَ مَاكِثٍ قَرِيبِ الْكَدَا فَالْوَصْلُ مِنْهُ كَـدَاءُ].

أي: وليس المتجرد بشَراء على وجه الخلوة بربه حرصا على صفاء قلبه وجلاء مرآة لبه مثل صاحب إبل ذات جرب، واحدها جربى، بمعنى أجرب ماكث في أرض (**جرباء**) بالمد، أي: مقحوطة. (**قريب الكَدَى**)، بالقصر، أي: الغضب، فالوصل معه لأجل ذلك. (**كَدَاء**) بالمد، أي: مقطوع، بل هو على خلاف صاحب **شراء**، البعيد الغضب، القريب الرضى، الواسع الصدر[1]، لزهده في الدنيا ورغبته في الآخرة واتساع صدره للصاحب والخليل لمعرفته بالله واعتماده عليه، وحسن إخائه فيه، فحبله لمن وصله موصول، وفضله مبذول، وقربه معسول، كما قال الشاعر[2]. (**من بحر البسيط**):

تكامَلَت فيكَ أوصافٌ خُصِصْت بها فكُلُّنا بكَ مـسْرُورٌ ومُغْتَبِـطُ

السِّنُّ ضاحِكَةٌ والكَفُّ مانِحَـةٌ والنفسُ واسِعَةٌ والـوَجْـهُ مُنْبِسَـطُ.

وفي البيت من البديع التلميح إلى قوله تعالى: **{وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى} [النجم: 34]**. وفي أكدى اشتراكات: منها أكدى بمعنى بخل، وأكدى بمعنى قطع وأمسك، وأكدى البئر إذا ظهرت فيه كدية دون الماء. وأكدى الفرس إذا لقيت حافره كدية منعته من تمام اعتماده عليها. لا أكدى الله علينا في الإحسان، ولا ضيق علينا في ميدان المن والامتنان.

---

[1] – في الحديث عند أحمد ح: 2191. "... ألا إن خير الرجال من كان بطيء الغضب سريع الرضا، وشر الرجال من كان سريع الغضب بطيء الرضا، فإذا كان الرجل بطيء الغضب بطيء الفيء وسريع الغضب سريع الفيء فإنها بها..."

[2] – هو أبو الشيص الخزاعي. كما في مجاني الأدب 170/3.

قال الناظم رحمه الله:

49-[يَقِي ذُو الْعَظَا دَاءَ الْعَظَاءِ بِكَرِّ ذِي وَقًى مَا لَهُ دُونَ الْقَضَاءِ وَقَاءُ].

(**العظا**) بالقصر والظاء المشالة: مصدر عظِي البعير بالكسر، إذا اشتكى من أكل العنظوان، وهو ضرب من الحمض. و(**العظاء**) بالمد: جمع عظاية، وهي دويبة تؤلم الإبل وتضنيها، وأصل ياء العظاية الهمزة، ووضع الياء محل الهمزة في هذا وما أشبهه من كل مفرد يزيد على جمعه بالتاء جائز. و(**الوقى**): مصدر الواقي من الخيل، وهو المتوقي الأرض لعرج به، و(**الوقاء**) بفتح الواو وكسرها: ما يتوقى به الشيء.

والمعنى: يقي ذو الإبل الجرباء اللابث في جرباء الجمل الذي اشتكى من أكل العنظوان[1]، داء العظاء، أي: يستره منه ويحاول حمايته بجري فرس صاحب عرج يتألم من مس حافره الأرض لأجل ظلع أصابه فيجتهد ولا يجدي، ويزيد بذلك غمه، ويتضاعف همه، ويكثر غضبه، فالمثال لذي نفس شريرة خبيثة دنيئة اكتسبت مالا من سحت وحرام، كلما حاولت فلاحا ونجاحا، ازدادت عطشا لتعذر أسباب الفلاح لخبثها وخبث مكتسبها، فالإبل الجرباء كناية عن الكسب الخبيث الذي أفرده عن أبناء جنسه؛ لأن الخبيث الطبع القليل النفع لا يألف ولا يؤلف، فيتجنبه الناس لخبثه، ويتجنبه الناس لسوء أخلاقه وبخله وإملاقه، فبقدر ما يتوغل في أخلاقه يزيد من الله بعدا، ويزداد الناس فيه زهدا: فلا خير عنده يعهد ولا خصب بأرضه يقصد. قال الله تعالى: **{وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا } [الأعراف: 58]**.

وفي البيت وما قبله نوعان من البديع: وهما الكناية كما ذكر آنفا، والاستطراد؛ لأنه مدح موالي ضحى بالأبيات الثلاثة، ثم استطرد يذم الجرباء بثلاثة أبيات.

[1] – العُنْظُوانُ: نباتٌ إذا استكثر منه البعيرُ وَجِعَ بطنُه. العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (باب العين والظاء والنون) 87/2.

قال رحمه الله:

50-[يَظَلُّ بِمَثْنَى جِيدِ مَثْنَاءَ مُغْرَماً وَيَهْـوَى وَرىً مَـا يَنْتَقِيهِ وَرَاءُ].

قوله: (**يظل**) من أخوات كان، (**مغرما**)، خبره، (**بمثنى**): جار ومجرور متعلق بيظل، وهو المنعطف من الجيد والخصر ونحوهما. و**مثناء** بالمد، فعلاء: وصف لامرأة تشتكي مثناتها من السمن. و**الورى**: مصدر ورِي المخ بالكسر: إذا كثر. و**الوراء** بالمد: ولد الولد.

والمعنى: يظل صاحب الجرباء لدناءة همته مغرما، أي: مولعا بعطف جيد امرأة مشتكية مثناتها، ويهوى، أي: يحب اكتناز المخ من السمن لما تعوده من لؤم الطبع وخبث الأخلاق، فقصاراه في الدنيا ماشية كإبل تعب في تحصيلها ورعايتها ويفني أيامه في معالجة ما بها من الآفات، وامرأة حسناء تشغله بمحاسنها عن المقصود بالذات والاستعداد لما هو آت مما بعد الممات، فهي تسايره في لؤم الأخلاق، وتباريه في الفسق والنفاق، وإيقاع يهوى على **ورىً** لأجل أنه السبب في هوى صاحبته، فهو في الحقيقة إنما يهوى الورى وما ينتقيه، أي : يخرج نقيه[1] وليس ذلك من هم الرجال العقلاء الأذكياء، وإنما هو مما يولع به صغار البنين كالولد وولد الولد مثلا لذمامته، فتجد النفوس تعافه، وتَذُمُّ فاعله، يقال: انتقيت العظم، إذا استخرجت نِقيه، وانتقيت المخ: استخرجته من العظم. قال الشاعر[2] (**من بحر الطويل**):

"..... * ولا نَنْتِق المُخ الذي في الجَماجِم"**

ثم بالغ أيضا في ذمه ووصفه بالضلال وعدم الهداية بحال، **فقال رحمه الله:**

51-[كَأَنَّ بِغَطْشَى مِنْهُ غَطْشَاءَ أُعْشِيَتْ بِـعَوَّى فَـلاَ عَـوَّاءَ ثَـمّ تُنَاءُ].

يعني: كأنه في ضلاله بأرض **غطشى**[3]: وهي التي لا يهتدى فيها بمنار ولا يكاد الخريت[4] يجد فيها سبيلا إلى النجاة لاتساعها وقلة مائها وبعدها عن العمران وخلوها من القاطن، فهي لا

---

[1] . النقي: المخ والنقو بالكسر كل عظم ذي مخ. انظر تاج العروس "نقو"، 124/40.

[2]- هو النجاشي الحارثي كما في الجمهرة لابن دريد، 109/1. وصدر البيت هو:"ولا يسرق الْكَلْب السرو نعالنا...".

[3] - في المحكم لابن سيده "غ،ش،ط" 391/5"وفلاة غَطْشاء، وغَطِيش: لَا يُهتدي فِيهَا لطريق. وفلاة غَطشى، مَقْصُور، عَن كرَاع: مُظلمة، حَكَاهَا مَعَ " ظمأى " و" غرثى "، وَنَحْوهمَا، مِمَّا قد عرف أنه مَقْصُور".

[4] . الخريت: الدليل الماهر.م.

تسلك ولا تملك. وكأنه في جهالته وعدم علمه ناقة **غطشاء** بالمد، وهي العمشاء التي لا تكاد تبصر نهارا، وفي حمقه وقلة ذكائه وعدم استبصاره ناقة **عشواء**: وهي التي لا تبصر ليلا، فهو مسرمد[1] الضلال دائم الخبال[2] ظاهر الوبال، فإذا وقع عليه ضوء النهار منعه العمش، وإذا أجنه الليل حبسه العشا والرمص، وإذا سار في باديته منعه **الغطش**[3] وأحاط به العطش، ومع ذلك فزمنه زمن **العَوّى**[4]: وهي منزلة من منازل القمر كثيرة الرياح والغيوم شديدة الحر والسموم. فلا **عَوّاء** بالمد، تحمله وهي الهرمة من النوق التي لا تكاد تنأى، أي: تنهض لهرمها وهزالها، مع أنها لم توجد أصلا. فهذه حالة صاحب الشهوات، المطرح لما هو آت، الذي لا همة له ترفعه، ولا سابقة عناية له من الله تعالى تنفعه، ولا حب يقوده، ولا تقوى تذوده، فعلى ذلك يكون البيت مقتبسا من قوله تعالى: **{أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا} [النور: 40]**. نور الله بصائرنا، وجعل تنويرها من لدنه.

ثم ذمه أيضا رحمة الله عليه بنوع آخر من الدناءة ليس هو من جنس ما قبله، **فقال**:

52-[يُضَاهِي الْغَرَى مَنْ لاَ غَرَاءَ وَلاَ ضَرَى لَهُ بالتُّقَى لاَ أُمَّ مِنْهُ ضَرَاءُ].

قوله: **(يضاهي الغرى)**، أي: يشابه ويماثل **(الغرى)**، وهو ولد البقرة أول ما يولد حتى يشتد لحمه، فهو لبَلَهِه وعدم فطنته يظن كل ما رأى أمه فيطلب منها إرضاعا وانتفاعا، وربما كان ذلك سبب حتفه بأن يرمحه رامح فيتلفه، أو يضربه ضارب فيؤلمه، فكذلك من لا **(غراء)** له بالمد، مصدر غرِي بالشيء بالكسر، أي: ولع به لما يبصر فيه من حسن عاقبته لذكاء عقله ونفوذ نور بصيرته بخلاف من لا **غراء** له، فإنه يرى كل بيضاء شحمة، وكل مدور كعكا.

---

[1]- مسرمد: سَرْمَد: دام في عمل الشيء ولم ينقطع عنه، وسرمدي، دائم لا ينقطع. تكملة المعاجم العربية، 6 / 67.

[2]- الخبال: عُصارة أَهل النَّارِ. والخَبَال فِي الأَصل: الْفَسَادُ، ويكون فِي الأَفعال والأَبدان وَالْعُقُولِ. وَطِينَةُ الخَبَال: مَا سالَ مِنْ جُلُودِ أَهل النَّارِ. لسان العرب لابن منظور، 198/11.

[3]- الغطش: الغَطش فِي الْعين: شِبه العَمش. المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، 5 / 391.

[4] - العوى: أحد منازل القمر، وهو اسم مقصور، والألف في آخره للتأنيث، بمنزلة ألف حبلى وبشرى وإنما قيل لها العوى، لأنها كواكب ملتوية، قال: وهي من عويت يده، أي لويتها. انظر سر صناعة الإعراب لابن جني 101/1.

وقصر **الغراء** أشهر من مده، كما نقله العيني وغيره.[1] و(**الضرى**) بالقصر: مصدر ضرِي بالشيء، بالكسر: إذا اعتاده وتدرب به، وفي المثل: "**قطع الضراوة عداوة**"، **والضرَاء** بالمد: أرض مستوية ذات شجر وتلال، وهو مأخوذ من الضرى وهو الدف. **و(أُمَّ)**، فعل ماض بمعنى الدعاء، مبني لما لم يسم فاعله، أي: لا قصد منه ضراء. **والضراء**: المنعة والالتجاء ووجود الرفق، وضراء: نائب فاعل أمَّ.

والمعنى: يُشَابِه الحيوانات العجم من لا وُلُوع له بالتقى، ولا ضراوة له عليها؛ لأن فضيلته عليها إنما هو انتفاعه بعقله فيما يعود عليه نفعه في عاجله وآجله كالولوع بتقوى الله، فإذا سلب من ذلك سلب من حال مزيته عليها، وسواها في مجرد التناول على مقتضى الشهوة وما تدعو إليه النفس من ارتكاب هواها في تحصيل مُناها على أن فيه رَدَاها، وبالنظر إلى المآل فهي أفضل منه حيث كانت لا تحاسب ولا تعاقب، فالبيت حينئذ مقتبس من قول الله تعالى: **{إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ} [الفرقان: 44]**.

قال الناظم رحمه الله:

53-[وَآلَى بِآلاَءٍ كَآبَى إِذَا طَـــغَى فَآبَاؤُهُ مِنْهُ إِذاً بُـــــرَآءُ].

أَلِيَ الرجل: إذا عظمت أليتاه، يقال له: رجل ألوى وألِي إذا عظمت أليتاه. و**الآلاء** النعم، واحدها ألية[2] قال الله تعالى: **{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن: 13]**.

وآبى بالفتح والقصر: وزنه أفْعل، وهو ذو همزتين قلبت ثانيتهما، وهي التي في محل الفاء، وهو وصف للعنز التي أبِيَتْ، بالكسر، أي: أصابها **الأبى** بالفتح، وقد تقدم تفسيره في قوله:"...**ذواتُ الأَبَى قـدْ حـازَهُن أبـاء**". والمؤنث: عنز أبواء.[3] **وآباء** بالمد: جمع أب. **فآلى** يصح فيه أن يكون مجرورا بواو رب، أو برب المحذوفة بعدها، وهو مرفوع بمعنى الابتداء، وخبره

---

[1] – قال ابن منظور في اللسان فصل الغين، 121/15: "إِذَا فَتَحْتَ الْغَيْنَ قَصَرْتَ وَإِذَا كَسَرْتَهَا مَدَدْتَ".

[2]– الآلاء: وهي النِّعَمُ، وَالْوَاحِدُ أَلًى وإِلًى، قَالَ: والأَصل فِي إِلًى وِلًى، فأَبدلوا مِنَ الْوَاوِ الْمَكْسُورَةِ هَمْزَةً، كَمَا قَالُوا امرأَة وَناةٌ وأَناةٌ. لسان العرب لابن منظور "فصل الواو" 414/15.

[3] – قال ابن ولاد في المقصور والممدود: ص8 "يقال عنز أبواء وتيس آبي كقولك حمراء وأحمر ويقال أيضاً تيس آب وعنز آبية".

كآبى، ويصح فيه أن يكون مرفوعا عطفا على (**من**)، في قوله: (**من لا غراء له ولا ضرى له**)، وقوله: (**إذا طغى**)، راجع **لآبى**، وهو المنظور إليه بتشبيه **الآلى بالآبى**.

ومعنى تركيب البيت يضاهي **الغرى** الذي لا **غراء** له بالتقى، و**آلى**، أي: صار عظيم الأليتين لفراغ قلبه بالتنعم بالآلاء، في حال كونه مثل عنز أصابها مرض **الأبا** عند طغيانه، أو في زمن طغيان ذلك **الآبى** بسبب نعم الله، فالمشبه بالشيء في حالة طغيانه أي طغيان المشبه به يلزم منه أن يكون هو طاغيا، وإلا لما حضر ذلك القيد في المشبه به حال التشبيه، وحاصل الأمر أن **الآلاء**، أي : النعم أطغت **الآلى** بالقصر وأبطرته، فشبه بسبب طغيانه بالنعم، وبطره بها بعنز **الأبى** عند طغيانه، وحالة المشبه به إذ ذاك الوقوف والصياح، وذلك يكسبه ضررا، وهكذا الطاغي بنعم الله تعالى يعود وبال ذلك عليه عاجلا وآجلا: **أما عاجلا**، فإن النعم التي طغى بها تزول عنه كائنة ما كانت؛ لأن من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها، ولو لم يحصل له في الآجل إلا تحسره على ما فوّته عليه الطغيان بالنعم من عدم الشكر عليها، لكان ذلك كافيا.

وأما **براءة** آبائه منه فلانتفاء الشبه بينهم وبينه، فتتحقق غيريته[1] لهم، والغير **براء** من غيره. ويعني بآبائه آباءه الأقدمين من النبيين والمرسلين، ومن تبعهم من الأئمة الهادين المهتدين، لتبرؤ السلف الصالح من الخلف الطالح الذين قال الله في مثلهم: **{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} [مريم: 59]**. بخلاف الخلف بالفتح، فإنهم الذين خلفوا الأسلاف باقتداء آثارهم، واتباع سننهم بالشكر على النعم، الشكر التام الذي يستوجب المزيد، وهو استعمال الجوارح فيما خلقت له، واستغراق النعمة في عين المنة مع رؤية التقصير.

قال الناظم رحمه الله:

54-[كَأَعْيَا إِذَا الأَعْيَاءُ يَوْماً لَهُ اعْتَزَوْا بِأَهْوَى وَفِي أَهْوَائِهِمْ غُلَوَاءُ].

يعني وهذا البائس اللئيم الذي لا **غراء** له بالتقوى، فإنه في انتسابه إلى آبائه الأقدمين وافتخاره بهم دون أن يهتدي بهديهم، ويقتدي بكريم أفعالهم، فهو في ذاك كاعتزاء (**الأعياء**)، وهو جمع

[1] . في (ب)، مغايرته لهم، والغيرية والمغايرة واحد.م.

عيي، والعيي من لا قدرة له على الإفصاح عما في ضميره، فيستعين على ذلك بالإشارة بيده، ومع ذلك لا يأتي بلفظ سليم، ولا بمعنى مستقيم، بخلاف **الأعيى** بالقصر وبنيه، فإنهم قوم فتق الله ألسنتهم على الفصاحة والبلاغة والبيان، وإنما سموه **بأعيى** نفيا للعين عنه، كما سموا أمرأة رائعة الجمال بقبيحة، **والأعيا** رجل من قضاعة، وأبو **أعيا** بطن منهم، فيكذبهم الحال والمقال، وهو أن أرض بني **أعيى** بالقصر أهوى كما قال شاعرهم:[1]

عُقابُ عَبَنْقاةٌ[2] تَرى منْ حِذارِها ... ثعالبَ أهْوى أو أشاقرَ تضْبَحُ

(**والأهواء**)، بالمد: جمع هوى. و(**الغُلواء**)، بضم الغين المعجمة، وفتح اللام: العلو والارتفاع.

فقوله: **كأعيا** في محل نصب على الحال من ضمير يرى في البيت قبله.

والمعنى: **فآباء** من ذكر بسبب كونه كما ذكر **برآء** منه في حال كونهم مماثلين **للأعيا** زمن انتساب **الأعيا** له بالمكان المسمى **بأهوى** في حالة **غُلوائهم** وطموح مناهم، وحالة **أعيا** إذ ذاك البراءة منهم كل البراءة، ولسان الحال منه يصيح: ليسوا مني ولست منهم في شيء إذ هما متغايران بواضح البرهان.

وتشتد البراءة في خصوص المكان **كأهوى** مثلا، فإنه أدخل في البراءة منهم وأشد عونا على نفيهم عن **أعيا**، وتكذيبهم في دعواهم أنهم من بنيه وذويه، ويزيد ذلك إذا كان في الأهواء **غُلواء** في الاعتزاء ولذلك قال: (**وفي أهوائهم غُلواء**)، أي: لهم لجاج في الاعتزاء.

وهذا البيت متضمن لمعنى البيت قبله، وإنما جيء به لتتميم معناه فقوله: (**كأعيا**)، خبر المبتدأ محذوف. و**إذا** ظرف لما يستقبل. و**الأعياء** فاعل فعل محذوف تقديره: إذا اعترى **الأعياء** يوما له **اعتزوا**؛ لأن إذا لا تدخل على الجملة الاسمية إلا بدخولها على فعل محذوف يفسره ما بعده، كقوله تعالى: **{إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} [الانشقاق: 1]**.

---

[1] – هو: جران العود عامر بن الحارث النميري كما في منتهى الطلب من أشعار العرب.40/1.

[2] – في الأصل: "عقاب وعِقبات" ولعله من خطإ النساخ، والصواب ما أثبته لتوارد كتب اللغة والأدب عليه وقد قال الأزهري في تهذيب اللغة 234/3 : "عُقابٌ عَقَنْباةٌ، وعَبَنْقاة، وقَعَنْباة، وبَعَنْقاة. قال الكسائي: هي ذات المخالب المنكرة الخبيثة" وانظر العين 347/2، واللسان 184/6.

(**ويوما**): ظرف زمان. (**واعتزوا**): فعل ماض مفسر مؤكد للفعل المحذوف بعد إذا. (**بأهوى**): جملة موضع نصب على الحالية. (**وفي أهوائهم**): خبر مقدم. (**وغُلواء**): مبتدأ مؤخر.

والبيت مقتبس من قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} [الأنعام: 159]**.

قال الناظم رحمه الله:

55-[فَأَقْنَى وَأَقْنَاءً وَشَرْوَاهُمَا اطَّرِحْ وَهَوِّنْ كَدىً حَتَّى يَلُوحَ كَـدَاءُ].

قوله: (**فَأَقْنَى**): المحدودب الأنف الذي في قصبته علو وارتفاع، وفي عِرْنِينِه سهولة وحسن، وهو من علامات جودة الفرس، وكونه عتيقا، وقد يقال أيضا للإنسان **أقنى** الأنف.

والأقناء، بالمد: جمع قِنْوٍ، وهو شماريخ النخل، وقيل: هو مجرد الكباسة، ويقال لها: العُرْجُون.

وقوله: (**شروى**)، وهو من شَرَى الشيء، بالفتح والقصر: تعب في تحصيله، أو لم يكن إلا بمشقة فادحة لنفاسته وعلو منصبه، ومثله قوله: (**وهون كَدىً**)، بالقصر والفتح: مصدر كديت الأصابعُ: إذا أصابها كلل وخشونة من الكد. **وكدى** الفصيل: فسد جوفه من شرب اللبن. و(**كَدَاء**): ثنية معروفة بأعلى مكة، وهي بحسب المعنى مستعارة للمعنى المطلوب والغرض المقصود.

والمعنى: (**اطرح**)، أي: انبذ فرسا أقنى، وأقناء من النخل ومثلهما فلا تشغل بهما قلبك، فإنهما من الأعراض التي تفنى، وهون ما تلقاه في هذه الدار من أعراضها التي تأتي من حيث لا تحتسب، ولا تقدر على دفعها والتحفظ منها، وعدّ ذلك هينا، كما تتحمل ما كلفته من مشاق التكليف والدأب على ما التزمته مما أمرت به ونهيت عنه، حتى تظفر بمطلوبك وتحصل على الطائل من مرغوبك، مما لم يخطر على قلبك، ولا على قلب بشر، فكأن قد فجأك ذلك،

ونسيت كل ما لقيته قبل ذلك، حتى كأن لم تكن مصيبة فادحة[1]. قال الشاعر[2]. (**من بحر البسيط**):

إذا ابتغَيْتَ المعَالي فازدَدَنْ تعبا أو ارضَ بالذل واخترْ راحةَ البدَنِ.

والبيت مقتبس من قوله تعالى: **{وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد: 23، 24]**.

الإعراب: (**فأقنى**)، بالقصر: مفعول مقدم لاطرح. (**وأقناء**)، بالمد والنصب: عطفا عليه. (**وشرواهما**): معطوف أيضا، ومضاف إليه. (**وهونْ**): فعل أمر بمعنى سَهِّلْ. (**وكدى**): مفعول **لهون**. و(**حتى يلوح**) ناصب ومنصوب. و(**كداء**): فاعل يلوح، **فكدىً** بالقصر: كناية عن الكد.

قال الناظم رحمه الله:

56-[كَالاعْمَى الَّذِي الأَعْمَاءَ يَقْرُوا فَلاَ تَدَعْ سَبِيلَ الْهُدَى مَا عَنْ عَدَاهُ عَدَاءُ].

قوله: (**كالأعمى**): التشبيه فيمن ترك طريق الهدى عمدا أو جهلا، بل الأعمى خير منه لقوله صلى الله عليه وسلم: «**أعمى العمى الضلال بعد الهدى**».[3] وكذلك كل من يأتي شيئا من غير علم ولا برهان من ربه، فهو كالأعمى. ويقال: **ارتكب العماء والعمياء**: إذا ذهب في

---

[1] – في صحيح مسلم ح2807عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا، والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا، من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا، والله يا رب ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط ". فيكون البيت مقتبسا من هذا ومن الآية التي ذكرها الشيخ بعد.

[2] . البيت مروي برواية أخرى لعلها الأصح ومعه بيت آخر كما في الكشكول من موعظة لعلي رضي الله عنه والبيتان هما:

نيل المعالي وحب الأهل والوطن ... ضدان ما اجتمعا للمرء في قرن

إن كنت تطلب عزاً فادرع تعباً ... أو فارض بالذل واختر راحة البدن.

الكشكول لبهاء الدين محمد بن حسين الهمذاني.208/2.

[3] –ذكره الشهاب في مسنده، ح: 1339. ولفظه كاملا: «أَعْمَى الْعَمَى الضَّلَالَةُ بَعْدَ الْهُدَى، وَمِنْ أَعْظَمِ الْخَطَايَا اللِّسَانُ الْكَذُوبُ».

غير مذهب، ومنه قول الحجاج عند موته، لما أرجف به المرجفون، وشمت به الشامتون، وسمع بعض الأقوام يحلفون إنه لمن أهل النار، فقال منشدا **. (من بحر البسيط)**:

يَا ربّ قَدْ حَلَفَ الأَعداءُ واجتَهَدُوا ... أيمَانَهُم أَنَّني من ساكِنِي النَّارِ

أيَحْلِفُونَ عَلَى عَميَاءَ وَيْحَـــــــهُم ... مَا عِلمُهمُ بعَظيمِ العَفْوِ غفَّارِ[1]

(والأعماء)، بالفتح والمد: ما لا يهتدى فيه من الأرضين. و**(يقرو)**، أي: يتبع كيشعر، ومنه استقراء[2] الكلب على الصيد، وهو الإشلاء.[3] **عدى**، بالفتح والقصر: جهة الشيء ووجهته وطريقته، ومنه العُدْوَتَان. و**العداء**، بالفتح والمد: ما لا بد منه، أو ما لا متجاوز عنه، تقول: عَدَتْكَ حالي، أي: جاوزتك ولم يصبك شؤمها.

والمعنى: إن الذي ينتجع الأرض التي لا يُهتدَى فيها مماثل للشخص الأعمى في عدم الهداية، فلا تترك طريق الهدى فما عن ناحيته بد لسالك، وإلا فقد تورط في المهالك.

والبيت مقتبس من قوله تعالى: **{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: 9]**. علَّمنا الله من العلوم ما يحصل به الانتفاع والارتداع آمين.

الإعراب: كالأعمى: جار ومجرور في محل رفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: الضال كالأعمى، أو الذي يتتبع ما لا يهتدي إليه كالأعمى، والذي يترك طريق الهدى عمدا كالأعمى، فعلى كل الوجوه هو خبر، إما لمبتدأ محذوف، أو للذي فيكون خبرا مقدما، و**الذي**

---

[1] – البيتان منسوبان لعبيد بن أيوب العَنْبَرِيّ كما في الدر الفريد وبيت القصيد للمستعصمي 279/11. وفي منتهى الطلب من أشعار العرب للبغدادي ص108، ذكرهما ضمن قصيدة منسوبة إلى عبيد أيضا مطلعها:

"ليت التي سخرت مني ومن جملي* ذاقت كما ذقت من خوف وأسفار..."

وقد يكون الحجاج تمثل بالبيتين ولم ينشئهما.

[2] – قال الأزهري في تهذيب اللغة 207/9 "يُقَال: أقريته، أَي: جعلته يقرو الْمَوَاضِع يتتبّعها وَينظر أحوالها. ثَعْلَب عَن ابْن الأعرابيّ: أقْرَى: إِذا لَزم الشيءَ وأَلحَّ عَلَيْهِ".

[3] – إشلاء الكلب إغراؤه بالصيد ومنه قول القائل: أَتَيْنا أبا عَمرٍو فأشْلَى كِلابَهُ ... عَلَيْنا فكِدْنا بين بَيْتَيْهِ نُؤْكَلُ" وقيل الإشلاء خاص بالشاة ونحوها قال ابن السكيت في إصلاح المنطق ص122"إنما الإِشْلَاء الدعاء، يقال: أَشْلَيْت الشَّاة والنَّاقة، إذا دَعَوتَهَا إليك بأسمائها؛ لتحتلبها".

يقرو: مبتدأ مؤخر. و**الأعماء**، بالمد: مفعول **ليقرو**. وفاء **فلا تدع**: سببية، **ولا تدع**: جازم ومجزوم. و**ما**: نافية. و**عداه**: جار ومجرور، ومضاف إليه. **وعداء**: اسم ما، على لغة تميم، لأنهم لا يبطلون عملها على اسمها، بخلاف سُلَيم وأهل الحجاز، فعلى مذهبهم **عداء**: مبتدأ مؤخر، **وعن عداه**: خبر مقدم، ولذلك سوغ الابتداء بالنكرة لتخصيصها بالنفي وحرف الجر.

قال الناظم رحمه الله:

57-[وَرُمْ رَاحَةَ الأَنْسَى وَالانْسَاءَ رَاعِهَا لَنَسْيًا وَنَسْيًاءً فَذَاكَ وَفَاءُ[1]].

قوله: (**ورم**)، أي: حاول تسكين وجع المريض الذي يشتكي عرق **النسا**.[2] وراع **الأنساء**: أي، التافه الحقير المُعّرَض لأن ينسى في حال كونه لذي ضرورة، **كنسيا** و**نسياء** مثلا، فذلك، أي: رومك راحة المبتلى، وكونك فيما قل من حاجته مشمرا فضلا عما جل. و(**الأنسى**): وصف لرجل مصاب بداء عرق النسا، فتقول في ذلك: رجل نسئ، وامرأة نسياء. وقوله: (**لنسيا**): بالقصر: أي، فقير معدم، وكذلك إذا كان **لنسياء**، بالمد، وهو جمع نسئ، وهو الضعيف المحتقر الذي لا حيلة له، فقيامك واجتهادك في الحقير من أمورهم فضلا عن الخطير وفاء بحق الصحبة، وقياما بواجب الفتوة، فإنك إذا كنت رحيما بذي العاهة والضعيف، ومن لا اعتناء به وكنت في عونهم واهتممت بالحقير من شأنهم فضلا عن الخطير، كنت من الذين خلقهم الله لمنافع عباده، وأمدهم بأمداده، فإليهم يلجأ الضعيف والشريف. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْخَلْقُ عِيَالُ اللَّهِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ»[3]

الإعراب: **رُم**: فعل أمر من رام، كقام. **راحة**: مفعول به. **الأنسى**: مضاف إليه ما قبله. و**الأنساء**، بالمد: منصوب بالاشتغال، تقديره: راع **الأنساء**. **وراعها**: فعل أمر، والضمير مفعول

---

[1] -بنقل الحركة في الأنساء.م.

[2] -النَّسَا، بالفتح مَقْصُورٌ بِوَزْنِ العَصا، عِرْق يخرج من الوَرِك فيَسْتَبْطِنُ الفخذين، ثم يمر بالعُرْقوب. لسان العرب. (فصل النون). وقد سبق تعريفه أيضا لكن المكرر أحلى كما يقال.

[3] - شعب الإيمان للبيهقي ح:7046. وفي لفظ "أحب العباد إلى الله تعالى أنفعهم لعياله» وقد حسن الألباني الرواية الأخيرة كما في صحيح الجامع ح:172.

به. و**لنسيا**: مجرور متعلق براعها. و**نسياء**، بالمد: معطوف على **نسيا**. **فذاك**: اسم إشارة في محل رفع على الابتداء. **ووفاء**: خبره.

***

لما انتهى كلامه على المفتوح قصرا ومدا، مع تقديم المقصور، وتأخير الممدود، شرع يبين ما يفتح فيقصر، ويكسر فيمد مع اختلاف المعنى، فلا مد مع فتح، ولا قصر مع كسر، **فقال رحمه الله:**

باب: ما يفتح فيقصر، ويكسر فيمد مع اختلاف المعنى

58-[طَلاً وَطِلاَءَ دَعْ وَلاَ تَصْحَبَنْ لَعىً فَإِنَّ نُفُوسَ الأَشْرَهِينَ لِعَاءُ].

فالطلا، بالفتح والقصر: الصغير من كل شيء، وقيل: ولد الغزال خاصة، وقد وضعت العرب لكل صغير من أنواع الحيوانات اسما يختص به، فولد الإنسان: صبي. وولد الأسد: شبل. وولد النمر: ردع[1]. وولد الطير: فَرْخٌ. إلا النعامة، فولدها: رَأْلٌ. وولد الفيل: نَوص. وولد الخنزير: خِنَّوْصٌ. وولد الظبي: خَشْفٌ. وولد الكلب والذئب والسبع، والضبع والدُّب: جروٌ. وولد الأرنب: خِرْنَق. وولد البقرة: عجل إنسية كانت، أو وحشية. وولد الناقة: سَقْب. وولد العنز: جدي. وولد الضأن: خروف. وولد الفرس: فَلُوٌ. وولد الحمار: جحش. ومع الفرس بغل.

والطلاء، بالكسر والمد: الذي يربط به، **الطلا،** بالقصر. **واللعى،** بالقصر والفتح: الرجل الشره. **واللعاء،** بالكسر والمد: جمع لَعْوة، وهي: الكلبة الحريصة على الأكل. فكأنه يقول: اترك الطلا لتستغني عما يحتاج إليه من الطلاء، ولا تصحب صاحب شره، فإن نفوسهم كلاب حريصة، ويخشى عليك من خلطتهم أن ترجع نفسك إلى أصلها، فإن من شأنها أن تحن إلى سربها، وتضيق ذرعا بنقلها عن حزبها، فإنك إن أعطيتها في الانفساح شبرا طلبت منك ذراعا، وإن أعطيتها ذراعا طلبت منك باعا.

[1] – ويسمى: الهرماس كما قال ابن الأعرابي. تهذيب اللغة 277/6.

وهذا البيت مشتمل على النهي عن اتخاذ الولد[1] ليجتنب بذلك النكاح الذي هو سبب الولد، وهما سبب ثقل المؤونة والشغل عن الله إلا من عصم الله، إذ البيت مقتبس من قوله تعالى: **{إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} [التغابن: 15]**.

الثاني: النهي عن صحبة الحريص وخلطته، لخبر: «**المرءُ على دينِ خلِيلِه، فاخْتَرْ منْ تُخالِل**».[2]

قال الناظم رحمه الله[3]:

61-[وَإِنَّ صَدَى مَنْ لاَ صِدَاءَ لَهُ أَذىً وَإِنَّ الْغَرَا بِاللَّهْوِ فِيهِ غِـرَاءُ].

الصدى، بالفتح والقصر: ما يرجع إلى المتكلم من صوته عن الجبل، ويطلق ويراد به السواد، قال كعب بن مالك:"**إن أخا الحرب أصدى اللون مهزول...**" و**الصدى** أيضا: صدأ الحديد

---

[1] – أو هو نهي عن الانشغال به عما لا ينبغي من الطاعات والسعي في الخيرات وذلك المعنى موافق لما تضمنته الآية بعد ولا يقتضي ذلك نهيا عن النكاح وابتغاء الولد فقد أرشد الشارع إلى ذلك كما في الحديث "تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم" ابن حبان.ح: 4056.

[2] –أخرجه أحمد في مسنده، ح: (351). وفي المستدرك على الصحيحين للحاكم ح: (7320). وصححه الذهبي.

[3] –هناك بيتان قبل هذا البيت في بعض النسخ، ولم يتعرض لهما الشيخ رحمه الله وهما:

59 . وَتَأْبَى طَلى الأسد الطِّلاَء فَلنْ تَرَى جَدَى الدَّهْرِ طَلْواً يَقْتَفِيهِ طِلاء.

60 . مُطِيعُو الطَّلاَ مِثْلُ الطِّلاَءِ فَلاَ مِرىً جَداً بَلْ كَمِثْلِ الضَّأْنِ هُنَّ جِداءُ.

والمعنى: أن **طلى الأسد** أي صغارها، أو الأسد ذاتها من باب إضافة الشيء إلى موافقه فيكون **طلا الأسد** أي شخصها، تأبى **الطلاء** بالمد والكسر، وهو: ما يطلى به من قطران، فتأبى ذلك؛ لأنه يضرها ولا ينفعها، ومن باب أولى أسد الرجال وذو الشهامة فلا يأتون ما يدنس أعراضهم، كاتباع الهوى المهلك، فهو عدو واتباع العدو حماقة لا تقبلها الحيوانات فيكف بذوي الألباب. **وجدى الدهر**: آخره، و**الطلو** القانص كالذئب وغيره، و**طلاء** بالمد والكسر يعني: الطلوة بالكسر وهي الصغيرة من الوحش. فلن تجد حيوانا قانصا مفترسا تتبعه الوحوش لتربصه بها وعداوته لها.

و**الطلا** بالقصر والفتح في البيت الثاني الهوى، و**الطلاء** بالمد والكسر، جمع طلو وهو القانص، و**بلا مرى** أي: بلا شك. و**الجدا** بالقصر: المطلب فهو: مفعول لأجله، أي **مطيعو الطلا** لأجل الجدا مثل الطلاء أو **الجِداء**. و**الجِداء** بالكسر والمد جمع جدي وهو ولد المعز، أي أن من يطيعون الهوى طلبا للنفع فيه كمثل الحيوانات التي لا تعقل، بل هم كمثل الضأن أو صغار المعز في خفة العقل، بل البهائم أعقل منهم لأنها لا تتبع عدوها وتحذره وتخشاه.

والنحاس، و**الصدى** أيضا: شيء كانت تقوله العرب وهو أن الميت إذا مات انتقلت روحه إلى طائر أو حية بفناء القبر، فإذا رأى ما يحب صاح، وفي ذلك يقول شاعرهم[1]. **(من بحر الطويل)**:

ولوْ أنّ لَيلَى الأخْيَليّة سلّمتْ ...عليَّ ودُوني جنَـــــدْلٌ وصـفَائـحُ

لسَلَّمتُ تسليمَ البشاشَةِ أوْ زَقا ... إليها صَدىً من جانبِ القَبرِ صَائِح.

ويطلق ويراد به الظمأ، ويطلق ويراد به الحب. و**الصِّداء**، بالكسر والمد: المماراة كالمصاداة. و**الغَرى**، بالقصر والفتح: الوُلُوعُ بالشيء. و**الغِراء**، بالكسر والمد: مصدر غاريت بالشيء لاحجت[2] به أو عليه، قال كثير **. (من بحر الطويل)**:

إذا قُلتُ مهلا، غارَتِ العَيْنُ بالبُكا ... غِراءً، ومَدَّتها مَدامِعُ حُفَّل

و**الغِراء** أيضا: الموالاة بين الشيئين. و**الغِراء** أيضا: اللصاق، ويطلق ويراد به الملازمة. فكأنه يقول إن حكاية صوت الشخص الذي لا يوالي الناس ولا يؤالفهم أذىً له ولهم:

. أما له، فإنه لا أمان له منهم لسوء صنيعه بهم، فيرتاع لكل صوت سمعه، وإن كان حكاية صوته عند الجبل.

. وأما لهم، فإنهم لم يتعودوا منه إلا قبح المعاملة، فإذا سمعوا صداه تأذوا منه، لأن رؤية المؤذي كسماع صوته، فإنهما يذكران إذايته، وفي ذلك يقول المتنبي. **(من بحر الخفيف)**:

واحتمالُ الأذى ورؤيـةُ جـانيه غِـذاءٌ تَضْوى بـه الأجسـامُ.

قوله: (وإن الغرا باللهو)، أي: الوُلُوعُ باللهو فيه ملامة، إذ الوُلوُعُ باللهو يستدعي الانكباب عليه وعدم الانفكاك عنه، إذ النفس الأمارة بالسوء لشدة شرهها وحرصها إذا نالت شيئا من مطلوبها قوي شرها، واشتدت نهامتها. هذا إذا ظفرت به، وأما إذا لم تنل منه شيئا، فإنها لا تزال تتحسر عليه، وتحن ولو بعد حين إليه.

---

[1] – هو توبة بن الحميّر. كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة 437/1.

[2] – هكذا في الأصل ولعلها لاججت، قال ابن منظور في اللسان فصل الغين المعجمة "وغارَيْتُه أُغَارِيه مُغَارَاةً وغِراءً إذا لاجَجْتَه".

فعلى هذا يكون البيت مقتبسا من قوله تعالى: **{وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المنافقون: 4]**؛ لأن البيت إنما جيء به في نعت المنافقين.

قال الناظم رحمه الله:

62-[أَخَا الدِّينِ أَوْلَى بِالإِخَاءِ فَذَا نَدىً أَجِبْهُ إِذَ مَا كَانَ مِنْهُ نِدَاءُ].

قوله: (أخا الدين): مفعول ثان لاتخذ، تقديره: اتخذ أخا الدين أخا، فهو **(أولى)**: خبر لمبتدأ محذوف، و**بالإخاء** متعلق بأولى. و**الإخاء**، بالمد: المصافاة في الله، والأثرة على النفس، وهي سنة متبعة وقاعدة من قواعد الإسلام معتبرة، سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مهاجرا، ومعه من أسلم من قومه، فآخى بين كل رجلين رجل من المهاجرين، ورجل من الأنصار، وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة صدرا من الإسلام فنسخ التوارث بها، وبقيت المصافاة.

يقال: آخاه وواخاه، وآخوته وآخيته أخوة وإخاء، ومؤاخاة، فهو مؤاخ. وإنما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه؛ ليشد بذلك من عضدهم، ويذهب به عنهم وحشة الغربة، ومفارقة الأهل والوطن، وليحرك به من نشاطهم إلى الجهاد.

قوله: **(فذا ندى)**: منصوب على الاشتغال، أي: أجب **ذا ندى**، أي: صاحب كرم أجبه. **وإذا**: ظرف لما يستقبل، وما: زائدة توكيدية. و**كان**: فعل ماض ناقص. و**نداء**، بالكسر والمد: اسم كان، وخبرها المجرور قبله.

والمعنى: إذا ناداك الكريم، فأجبه ولا تخيب نداءه، فإنه إنما يدعوك إلى فضل أو فضيلة، فهو خليق بأن يجاب نداؤه؛ لأن " **السخي قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد عن النار**". كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.[1] فمن هذه أوصافه خليق أن يُؤاخى، وفي مثل ذلك يقول الشاعر[2]. **(من بحر البسيط)**:

---

[1] – أخرجه الترمذي في سننه، ح:1961. وقال الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي: ضعيف جدا ح:(154)، وانظر ضعيف الجامع الصغير ح:3341.

[2] – هو: زُهَيْر بن أبي سلمى يَمْدح هَرِمَ بنَ سِنان.

وإِنْ دعاهُ خَلِيلٌ يومَ مَسْغَبَةٍ ... يقُولُ لا غائِبٌ مالِي ولا حَرِمُ.

قال الناظم رحمه الله:

63-[وَأَهْلَ اللَّخَا اهْجُرْ وَاللِّخَاءَ اتَّبِع بِهِ وَخَا السَّلَفِ الْمَرْضِي مِنْهُ وِخَـاءُ] .

قوله: (أهلَ اللَّخا)، بالقصر والفتح: كثرة الكلام بالباطل. والزم **اللِّخاء**، بالكسر والمد: أي، العطاء في ذات الله وما يصون العرض والمروءة.

قوله: (اتبع به) سبيل **(السلف)** الصالح، وهو **(وخا)**، بالقصر والفتح: أي، ما يرضى منه. **(وِخاء)**، بالمد والكسر: أي، مؤاخاة ومصافاة.

وهذا البيت تتميم للبيت قبله وهو من باب التضمين المجازي؛ لأنه حض على الكرم بقوله: الزم **اللخاء** بالمد: تلميحا لقوله صلى الله عليه وسلم: «**شرُّ الناس ثلاثةٌ: غنيٌ بخيلٌ، وشيخٌ فاسقٌ، وفقيرٌ متكبرٌ**».[1]

وفي البيت اللف والنشر[2]المعكوس. ومن هذا النمط قول أبي الطيب يمدح شجاع بن محمد الطائي . **(من بحر الكامل)**:

وصُنِ الحُسَام فلا تُذِلْهُ فإنَّهُ ... يشكُو يَمِينَكَ والجَمَاجِمُ تَشْهَدُ

يَبِسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهْوَ مُجَرَّدٌ ... عَنْ غِمْدِهِ فَكأنَّمَا هُو مُغْمَدُ

---

[1] – لم أقف عليه بهذا الفظ، لكن جاء في صحيح مسلم ح: 107"عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم – قال أبو معاوية: ولا ينظر إليهم – ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر " والعائل هو الفقير.

[2] –اللف والنشر من المحسنات، ودرجات التحسين، على وجوه مخصوصة، كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، وهي قسمان: قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللفظ، فمن القسم الأول: المطابقة، وهي أن تجمع بين متضادين كقوله:

أما والذي أبكى وأضحك والذي *** أمات وأحيا والذي أمرُه الأمر.

ومنه: اللف والنشر، وهي أن تلف بين شيئين في الذكر ثم تتبعهما كلاما مشتملا على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كلا منهما على ما هو له كقوله عز وعلا: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} [القصص: 73]. مفتاح العلوم لأبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي 1 / 423 . 425.

ثم قال الناظم رحمه الله:

64-[وَكُنْ ذَا رَدىً لاَ فِي رِدَاء وَلا أذىً وَحِدْ عَنْ دَناً لاَ يَدْنُ مِنْكَ دِنَاءُ].

قوله: (وكُنْ ذا ردىً): صاحب **ردى**، بالقصر والفتح: أي، زيادة. **(لا في رِدَاءٍ)**، بالكسر والمد: أي دَيْن، أي: كن صاحب زيادة في غير الدَّين والأذى لا فيهما؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان كثيرا ما يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من المغْرم والمأْثم**"، قيل يا رسول الله، ما لنا نسمعك كثيرا تتعوذ من المغرم؟ **فقال صلى الله عليه وسلم: إذا غَرِم الرجلُ كذب فخان، ووعد فأخلف**».[1]

نعم حملُ الدّيْن لا يُذَم على الإطلاق؛ لأنه قل من مات من السلف إلا وذمته عامرة من الديون. وكانت عائشة رضي الله عنها لا تقضي دينا إلا حملت مثله، فقيل لها في ذلك، فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من استَدَانَ دينا في غير إسْراف، لم يزل في ذمّةِ الله حتى يقضيه، وأُحِبُّ أن أكون في ذمة الله**».[2]

قوله: **(وحد)**: أي، مل عن **(دنى)**، بالفتح والقصر، أي عن قلة وإقتار. قال صلى الله عليه وسلم: « **جهدُ مُقِل كثيرٌ** ».[3] وفي مثل ذلك أنزل الله قوله في مدح أبي طلحة وزوجته، وجميع الأنصار: **{وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } [الحشر: 9]**. فذلك أدل دليل على سماحة النفس والكرم الغريزي، قال الشاعر[4] **. (من بحر الكامل)**:

لَيْسَ العَطَاءُ من الفُضُولِ سَمَاحَةً حَتَّى تَجُودَ ومَا لَدَيْكَ قَلِيلُ.

---

[1] – أورده البخاري في صحيحه بلفظ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ»، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ المَغْرَمِ؟ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ». ح: 2397. ومسلم، ح: 589.

[2] .– لم أقف عليه بهذا اللفظ لكن ورد في معناه أثر في التخريج الصغير لابن المبرد الحنبلي منسوبا لأمالي أبي الحسن القزويني ح: 1012 "مَنِ ادَّانَ دَيْنًا يَنْوِي قَضَاءَهُ، فَهُوَ فِي ذِمَّةِ الله"، وفي صحيح البخاري ح:2387"«من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله».

[3] – جاء في سنن النسائي ح:2526"...قِيلَ: فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «جُهْدُ الْمُقِلِّ»... وصححه الألباني.

[4] – هو: المقنع الكندي، كما في شرح الحماسة للمرزوقي 1734/4.

قوله: (**لا يَدْن منك دِناء**)، بالكسر والمد: جمع دنا، وهذا دعاء للمخاطب، أو هو نفسه، لأنه جرد من نفسه شخصا، بأن لا يقرب من دنا؛ لأن قرب الدنا فضلا عن الدناء يورث الدناءة، فحينئذ يخلع جلباب الحياء عن وجهه فلا يبالي بما ارتكب ولا ما اكتسب، فيمتطي بِرذَون "لا أبالي"، فما هو في المعالي، المتوسط ولا التالي، فيخسر مع الخاسرين، ويرتبط بربقة المارقين.

قوله: (**ولا أذى**) عبارة عن الغمز واللمز والهمز، وهي أخلاق الخبثة الضعفة من المنافقين واليهود، ومن لا خلاق له من فسقة المسلمين. قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: **{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي} [الصف: 5]**. وكان صلى الله عليه وسلم: إذا أوذي في الله قال تأسيا وتسليما: «**رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**».[1]

قال الناظم رحمه الله:

65-[وكُنْ كَأَباً فِي الله نَاءٍ إِبَاؤُهُ ذَرَاهُ نَجاً جَادَتْ عَلَيْهِ نِجَاءُ].

قوله: (**وكن كأبا**) أي مثل: **أَبا** بالفتح والقصر، وهذه لغة شاذة؛ لأن الأسماء الخمسة أوجه الإعراب فيها بالحروف لا بالقصر إلا بشرط الإضافة، وإنما سمع قول من قال بقصرها على لغة هذيل لاستدلاله بالبيت وهو قوله[2]:

إن أَبَاهَا وَأَبا أَبَاهَا ... قد بلغا فِي الْمجد غايتاها

أي **كن** على عباد الله في الله موصوفا بالشفقة والرحمة، كما أن الأب كذلك على بنيه. قوله: (**نَاءٍ**): أي بعيد، ونأى: أي بعد. (**إِبَاؤُه**)، بالمد والكسر: أي بعد امتناعه، أو نأت داره

[1] – متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة، منها: «رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ». (باب غزوة الطائف) ح: 433. ومسلم، بلفظ: " يرحم الله ...إلخ ".(باب إعطاء المؤلفة قلوبهم ..). ح: 1062.

[2] – هو: أبو النجم العجلي كما في ديوانه ص227. ووجه الاستشهاد من البيت أنه ألزم قوله "أبا" وهو من الأسماء الستة الألف في حالة الجر"أبا أباها" على لغة هذيل وبني الحارث بن كعب الذين يلزمونه الألف في الحالات كلها، وعلى هذا تتوجه قراءة من قرأ: "إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ" [طه: 63].

أو مكانه الذي يستقر فيه لأجل شفقته عليهم وكف أذاه عنهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تزاوروا ولا تجاوروا**»[1].

قوله: (**ذَرَاهُ**): أي كنفه ومأواه. (**نَجا**). بالفتح والقصر، أي شجرة دحداحة[2] لاكتفائه باليسير ولتعففه عن المطاولة والبنيان. ويطلق **النجا** أيضا ويراد به جمع نجاة وهي الغصون الناعمة. قوله: (**جادت عليه**)، أي على ذلك **النجا** الذي هو **ذَرَى الأَبَا**. (**نِجَاء**)، بالكسر والمد: أي صبت عليها سحابة، وواحد **النجاء** نجو، وهو الذي نماؤه من السحاب.

أي: لتكن شفيقا على خلق الله في الله بمثابة الأب من ولده، واعتزلهم من الشفقة، واقتصر على ما لا بد منه مما يواريك من الحر والبرد كأغصان الأشجار التي أصابتها الأمطار.

والبيت مقتبس من قوله تعالى: **{قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ}** [النساء: 77]. يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم وعظ أصحابه فقال لهم: «الدنيا قليل، ولم يبق منها إلا قليل ذهب صفوه وبقي كدره؛ فلا يفتنكم قليل ذهب صفوه عن كثير دائم»[3]، ويكفي من عظمة نعيم الآخرة أن سماه الله كبيرا فقال: **{وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا}** [الدهر: 20] وأنت وشيك الارتحال إليه، سريع الانقلاب إليه.

---

[1]– هذا الحديث ذكره ابن عبد البر رحمه الله في بهجة المجالس ص 59 بدون إسناد، وبصيغة التمريض، فقال: رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال للقرابات: " تزاوروا ولا تجاوروا، وتهادوا؛ فإن الهدّية تثبت المروءة، وتستلُّ السّخيمة". وذكره ابن الخطيب في روض الأخيار ص180. من كلام عمر رضي لله عنه. ولم أقف عليه في شيء من كتب الحديث. وذكره الأبشيهي في المستطرف ص38 في فصل " أمثال العامة والمولدين ". ومجاورة الصالحين يرجى نفعها.

[2] – قال ابن سيده في المخصص 347/1: "والدَّحْدَاحة – القصيرة وَرجل دَحْداحٌ، قَالَ أَبُو عَليّ، وَقد يُقَال للرجل دَحْداحَة". وقال السيوطي في المزهر 423/1.: " وفي الإبدال لابن السكيت: الدَّحْدَاحُ والذَّحْذَاح: القصار الواحدة دَحْداحةٌ وذَحْذاحةٌ". وأما "نجا" فقد قال الجوهري في الصحاح 2502/6: " والنَجاةُ: الغصنُ، والجمع نَجاً."كما يطلق ذلك على الربوة والمرتفع من الأرض ويحتمله المعنى هنا قال الفراهيدي في العين 186/6: "والنّجاةُ: النَّجوةُ من الأرض، أي: الارتفاع" وكذا في الجمهرة 497/1 "والنجوة: الربوة من الأَرْض".

[3] – لم أقف عليه لكن في الأثر عن عبد الله بن مسعود موقوفا " إن الله تعالى جعل الدنيا كلها قليلا وما بقي منها إلا القليل كالثغب شرب صفوه وبقي كدره." ذكره المتقي في كنز العمال ح:6099. وله رواية عند البخاري ح:2964.

قال الناظم رحمه الله:

66-[وشُدَّ الْمَطَا وارْعَ الْمِطَاءَ ولاَ يَخِبْ لِمُعْلِي وَعىً يَرجُو نَدَاكَ وِعَاءُ]

قوله: (**وشُدَّ الْمَطَا**): أي قو ظهرك برعاية الود القديم، أو شد ظهورهم برعاية ودهم وعهدهم القديم، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ** »[1] أي: يموت. **فالمطا**، بالفتح والقصر: الظهر، ولذلك سميت المطية مطية؛ لأن راكبها يمتطي ظهرها، وهو من باب تسمية الشيء باسم ملازمه، وإنما يقوى الرجل ويعز إذا كان كلما التفت إلى ظهره رأى أعوانه وإخوانه وراء ظهره يتبعونه أينما سلك، قال الله تعالى: {**سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ**}[طه: 31]، ولذلك سميت المظاهرة مظاهرة لأن كلا منهم يحمي ظهر صاحبه عند الهيجاء أو عند عيبته، قال الله تعالى: {**وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ**}[التحريم: 4].

ويحتمل قوله: (**وشُدَّ الْمَطَا**): معنى آخر غير ما تقدم ذكره، وهو أن يشد ظهر بعيره، ويستعمل الرحلة لنيل الأوطار، واقتفاء الأخطار. قال بعضهم:[2] (**من بحر الطويل**)

إذا خِفْتَ ضِيقاً أوْ ذَهَابَ مَرُوءَةٍ ... فَسَافِرْ فَفِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ

إزَالَةُ هَمٍّ وَاكْتِسَابُ مَعِيـــــــشَةٍ ... وَعِلْمٌ وَآدَابٌ وَصُحْبَةُ مَاجِدِ

وقال صاحب لامية العجم:[3] (**من بحر البسيط**)

لو أنَّ في شَرَفِ المأوى بُلوغَ مُنَىً ... لم تَبْرِحِ الشّمسُ يوماً دَارةَ الحَمَلِ

وقال غيره:[4] (**من بحر البسيط**)

وَالتِبرُ كَالتُرْبِ مُلقىً في أَماكِنِهِ ... وَالعودُ في أَرضِهِ نَوعٌ مِنَ الحَطَبِ

---

[1] – مسلم ح:2552.م. بتصرف.

[2] – هو: الشافعي رحمه الله كما ذكر السفاريني في غذاء الألباب شرح منظومة الآداب 447/2. والشطر الأول فيها هو: تَغَرَّبْ عَنْ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَا..." وتنسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أيضا.

[3] – هو: الطغرائي وهو من لاميته المشهورة كما في ديوانه بشرح التبريزي 216/1.

[4] – هو: الشافعي رحمه الله من قصيدة تنسب إليه كما في ديوانه ص24.

قوله: (**وارع**): فعل أمر من رعى. و**المِطَا**، بالمد والكسر: مفعول به، وهو معدول من المواطأة؛ لأن الأصدقاء تتواطأ أهواؤهم وآراؤهم كما تتواطأ وتتعاضد قواهم. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «**أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِن رَمَضَان**»[1].

تقول: تواطأ مواطأة وتواطؤاً، وقوم مِطَاء: إذا وصفتهم بالتواطؤ والمواطأة كما تقول: رجل مهداء، وقوم مهداء، ورجل معطاء ورجال مِعْطاء، ورجل مِسْقام إذ كثر سقامه.

والمعنى: **وارع** الأصدقاء في سرك وجهرك، وفي حضورك وغيبتك، (**ولا يخب**): من الخيبة، وهي خلف الرجاء والأمل، أي لا يخب لشخص **معل** صوته في حال كونه يرجو فضلك (**وِعَاءٌ**): فاعل، وهو أحد الظروف. و**الوَعَى**، بالفتح والقصر: رفع الصوت، وهو مقلوب عوى.

فأعط من رفع صوته لك بالسؤال بأن أعلن حاجته لك وأظهر فاقته ملء وعائه، ولا ترده خائبا، فيبقى وعاؤه خاويا، وكفه صفرا من مكارم مواهبك، فإن ذلك مما يخل بالمروءة ويبطل الفتوة ويذهبها رأسا.

قال الناظم رحمه الله:

67-[وَغَيْرَ الشَّوَى هَيِّءْ شِوَاءً لِطَارِقٍ يَرُومُ ذَرىً فِيهِ سَلاً وسِلاءُ].

(**وغيرَ**): مفعول مقدم **لهيء**. و**الشَّوَى**، بالفتح والقصر: هنا أرذل المال كالمريض والشارف والعجفاء والزَّمِن[2] وما لا منفعة فيه.

قال الشاعر[3]: (**من بحر الطويل**)

أَكلنا الشَّوَى حتَّى إذا لم ندعَ شَوًى ... أَشَرنا إِلى خَيْراتِها بالأَصابِعِ

---

[1] – البخاري ح:1158 بلفظ: «أرى رؤياكم قد تواطأت في العشر الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها من العشر الأواخر».

[2] – الضعيف لكبر وهرم ومرض. قال ابن سيده في المخصص 471/1" الزَّمانَة – العاهَة وَقد زَمِن زَمَناً وزَمَانةً فَهُوَ زَمِنٌ وَالْجمع زَمْنُونَ وزمنى".

[3] – هو: أبو يزيد يحيى العقيلي كما ذكر ابن قتيبة في المعاني الكبير في أبيات المعاني 397/1.

أي أكلنا الأشرار أولا حتى أفنيناها فتعدينا إلى الأخيار صونا لأعراضنا ومروءاتنا. **والشِّواء،** بالكسر والمد: هو اللحم ينضج بالفوار دون اللهب والمَلَّة فإنه يقال لذلك الصَّلْيِ، وأما السّمِيطُ فهو أن يزال الشعر أو الصوف بماء مسخن ثم يجعل في الفرن حتى ينضج، فهو أطيبه وألذه، إلا أنه من أطعمة الرفاهية لما فيه من السرف؛ وهو إتلاف الجلد لاحتياج الناس إليه في اللباس والبُسُط. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يأكل سميطا ولا سميدا وهو الخبز المرقق المغربل[1].

والذَّرَى: تقدم[2]. و**السَّلَا،** بالقصر والفتح: مصدر **سلا** كدعا، و**السِّلاء،** بالكسر والمد: السمن فكأنه يقول: هيء ويسر وأعِدّ لمن طرقك من شخص قاصد محلا فيه سلو لنفسه وشواء أي لحما مشويا من خيرات مالك لا من شراره **كالشَّوى** ؛ فإن الله لا يقبل إلا طيبا، فجد بأنفس ما عندك على من قصدك لا برده ؛ فإن ذلك من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم؛ لأن الفتوة تقتضي إنزال الطارق والأضياف على قدر أقدارهم، وبحسب تفاوتهم في معائشهم، ولذلك وصف الناظم الطارق الذي له **الشِّواء** غير **الشَّوَى** بكونه يروم فيه **سَلا** و**سِلاء**. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «**أمرت أن أنزل الناس منازلهم**»[3].

وهو يشير بقوله: "**وغير الشَّوى هيء شِواء لطارق**..."، إلى وجوب الضيافة، وليس من أداء واجبها إشباعه فقط بل لا بد من إكرامه وكرامته، فالكرامة خدمته بالنفس؛ كإنزال رحله، ورعي دوابه، والمبادرة إليه قبل النزول، والترحيب به، وبسط الوجه، كما قال حاتم بن عبد الله: **(من بحر الطويل)**

---

[1] – روى البخاري في صحيحه ح:5421 من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – قَالَ: "لَمْ يَأْكُلِ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – عَلَى خِوَانٍ حَتَّى مَاتَ، وَمَا أَكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا حَتَّى مَاتَ". وفي رواية لَهُ: "وَلاَ رَأَى شَاةً سَمِيطًا بعَيْنِهِ قَطُّ".

[2] – جاء في شرح البيت :136." والذرى بالضم والقصر: جمع ذروة، والذروة بالضم والكسر: ما علا كل شيء, الذراء بالمد والكسر جمع ذرى، وهي الحصون التي يلجأ إليها ويتمنع بها. والمنعة حيث كانت يقال لها ذراء، وإذا **فتح فإنما هو ذرى** الشجرة مما يترفق به للدفء ونحوه".

[3] – حديث حسن رواه أبوداود وابن خزيمة والبزار والبيهقي في الأدب ورواه مسلم تعليقا بلفظ: "أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم " 4/1 مسلم المقدمة، وأورده السخاوي تحت رقم 179 وقال وبالجملة فحديث عائشة حسن. م. باختصار.

أُباسِطُ ضيفي قبلَ إنزالِ رحْلِه ... ويُخصِبُ عندي والمحلُّ جَدِيبُ

وقال:[1] **(من بحر الطويل)**

وإني لعبدُ الضيفَ ما دامَ نازلاً ... ولا شيمةَ لي غيرَها تُشبهُ العبْدا

قال الشافعي: أربعة أنواع من الخدمة لا يتولاها إلا كريم ولا يأنف عنها إلا لئيم: خدمة الشيخ، وخدمة الوالد، وخدمة الضعيف، وخدمة الفرس.

ومن كرامته أن يُبدأ بالسلام، ثم بالطعام ثم بالكلام، وقد أرشد الله تعالى إلى ذلك بصنيع أول من سن القِرى وهو إبراهيم الخليل عليه السلام، قال الله تعالى: {**فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ**} [الذاريات: 27/26] فإنه بعدما سلم عليهم ورحب بهم راغ بأن أخفى عنهم ذهابه إلى بيته لئلا يخجلهم فجاءهم بعجل سمين محنوذ.

والبيت مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم: «**من كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليُكْرِم ضيفَه**»[2].

ثم قال رحمه الله:

68-[فَكَمْ ذِي غَشىً أَضْحَى غِشَاءَ مُهَنّدٍ صَلَاهُ لِكَيْ يَخْتَارَ مِنْه صِلَاءُ].

قوله: (**فَكَمْ ذِي غَشىً**)، **كم**: اسم عدد ملازم للإضافة. **ذي** بمعنى صاحب **غشى**، بالفتح والقصر: أي فرس سابل الغرة، وذلك من علامة يُمنِه وجودته وعتاقته. قال ابن دريد في مقصورته: **(من بحر الجز)**

كأنما الجوْزَاءُ في أرْساغِهِ ... والنجمُ في جَبْهتهِ إذا بَدا

---

[1] – ينسب لحاتم الطائي كما في أشعار الشعراء الستة الجاهليين ص127، لكن عجزه: ...وما في إلا تلك من شيمة العبد" كما ينسب للمقنع الكندي من قصيدة له كما ذكر أبو علي القالي في أماليه 281/1 قال: "وقرأت عَلَى أَبِي بَكْرِ بن دريد للمقنع الكندي: يعاتبني فِي الدين قومي وإنما ... ديوني فِي أشياء تكسبهم حمدا....".

[2] – جزء من حديث متفق على صحته رواه الشيخان ...م. باختصار.

والفرق بين الغُرة والغشوة والدينار والرُّثْمة هو أن الغرة ما بلغ الأنف من بياض الوجه أو كاد، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: لما قيل له: كيف تعرف أمتك من بين الأمم؟ قال: «**إنهم يُبْعثون من قُبورهم غُرا مُحجّلين من آثار الوُضوء**»[1]، فالغرة في حقهم شعاع نوراني يغشى وجوههم، وقيل نور أبيض كالغرة يتميزون به كبياض يد موسى.

و**الغشْوة**: ما غشّى وجه الفرس أو البعير حتى يعم الوجه كله والمِشْفَرينِ. والرُّثْمة: بياض يخص المشفرين أو أحد المشفرين فقط. والدِّينار: بياض مدور يكون قدر الكف أو دون ذلك، وهو أحسن الأصناف عند العرب.

قوله: (**أضحى**): من أخوات كان، اسمها (**صَلَاه**)، وخبرها (**غِشاء**)، بالكسر والمد، أي: صار **صَلا غِشاء**، أي غمدا لسيف مهند، فمهند نعت لسيف المحذوف، كقوله تعالى: **{أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ}** [سبأ: 11] أي دروعا سابغات، **المهند**: الذي سُقي مرة بعد مرة مع انتخاب حديده المُصاغ منه حتى يترطب ويلين بحيث إذا أثبته ثم أطلقه يرجع إلى حاله قبل العطف، وإن بقي معوجا فرديء، وإن بقي فيه حنو فعيبه بقدر ذلك، وأفضلها وأشرفها الهندوانية التي تصنع بالهند لكونها تقطع الحديد، إلا أنها إذا ضرب بها في يوم بارد تحطمت متُونها.

و**الصَّلى**: واحد الصلوين، وهما ما عن يمين الذَّنَب ويساره. و**الصِّلاء**، بالمد والكسر: المشوي بالمَلّة[2].

فالمعنى: كأنه يقول: كثير من فرس فارِهٍ **كالأغشى** صار **صَلاه غِشاء** لسيف مهند عَرْقَبَه به فغشاه وغطاه، **صَلاه** لأجل أن يختار من لحم ذلك الفرس **صِلاء**؛ فعل ذلك جودا وكرما.

ومراد الناظم الحث على الجود بأنفس الموجود، والترغيب في إفراغ الجهد في ذلك على الوجه المحمود عملا بما عليه أرباب الإدارة الذين قصروا المقصود على رضا الرب المعبود ومالك المعدوم

[1] – متفق عليه بلفظ "إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء". م. باختصار.

[2] – قال الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه العين 324/8:" المَلَّةُ: الرَّماد والجَمْر: يُقال: مَلَلْتُ الخَبْزةَ أَمُلُّها في المَلَّة مَلاًّ فهي مملولة، وكلّ شيءٍ تَمُلُّهُ في الجمر فهو مملول".

والموجود، لنكون من أهل السعود، الموفين بالعهود، القائمين على الحدود، الذين أحلهم تواجدهم[1] جنة الوجود، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم قال رحمه الله:

69-[وَذَاتَ الْحَذَا اصْنَعْ مِنْ نَجَاهَا حِذَاءَ ذِي وَجِيً واغْتَنِمْ صَوْماً فَفِيه وِجَاءُ]

قوله: (**وَذَاتَ الْحَذَا**): أي اعمد إلى بقرة ذات **حَذا**، بالفتح والقصر، وهو مصدر **حذيت** البقرة أو الناقة: إذا انقطع سلاها في بطنها، فاصنع من **نَجَاهَا** أي جلدها **حِذَاءَ** شخص صاحب **وَجيً**، بالقصر: مصدر **وجِي** الرجل، بالكسر: اشتكى باطن قدمه، فإن زاد فهو حفيً[2]. **والحِذاء**، بالمد: النعل، **واغتنم صوما**، فذلك الفعل والصوم **وجاء**، بالكسر والمد: أي رَضُّ الأنثيين من غير نزع لهما من محملهما، فقطعهما خِصاء. قال مالك بن المرحل في نص الفصيح له:[3] (**من بحر الرجز**)

وقَدْ خَصَيْتُ الفَحْلَ والخِصَاءُ ... أنْ تَنْزَعَ الخُصْيَيْنِ والوِجَاء

أنْ يتُرْكَا هُنَاكَ بَعْـــــدَ رَضِّ ... يَنُوبُ عَنْ نَزْعِهِمَا وَغَضِّ

---

[1] – أصل التواجد أن يرى الإنسان من نفسه الوجد أي الفرح أو المحبة أو الحزن ولعل المقصود هنا به حبهم لله وفرحهم بلقائه.م. بتصرف.

[2] – قال ابن السكيت في إصلاح المنطق ص136:" هذا رجل حَفٍ، إذا رقت قدماهُ من المشي، وقد حَفِي يَحْفَى حَفَىً، مقصور".

[3] – هو: نظم لفصيح ثعلب نظمه ابن المرحَّل المالقي الأندلسي في ألف وثلاثمائة بيت ونظمه ابن أبي الحديد في ثمانمائة بيت. لكن نظم ابن المرحل أكثر شيوعا وتداولا ولا سيما في بلاد شنقيط وللشيخ محمد سالم عدود رحمه الله تصويبات وزيادات عليه طبعت معه وميزت عنه بلون ومما يقول ابن المرحل في مقدمة نظمه:

"وبعد هذا فجرى في خاطري* من غير رأي نادب أو آمر

أن أنظم الفصيح في سلوك* من رجز مهذب مسبوك..."

ومن تصويبات الشيخ عدود قول الناظم "قال ولا يقال فيه نعسانْ* كما يقال في النظير وسنان" من بحر السريع فقال عدود "قال ولا يقال نعسان ولـــــكن ناعس وغيره قد قللا" فأشار بقللا إلى أن غير ثعلبة قلل إطلاق نعسان ولم يمنعها.

وقد وقع في الحديث: قال صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ لم يستَطِعْ منكم الباءَةَ فعليه بالصوم فإنه له وِجَاء**»[1]؛ لما فيه من قطع مادة الشهوة بالاستقلال عن الأكل والشرب.

وإنما يكسر الصوم سَوْرَة الشهوة بالطُّولِ والإدمان عليه، وأما أول مرة فلا تزداد الشهوة به إلا إيقادا لما في ذلك من تجفيف الرطوبات التي من شأنها أن ترخي العصب وتكسر سَوْرة الحرارة الغريزية، كما في كتاب المدخل.[2]

قوله: (**وذاتَ الحَذَا**): عبارة عن الدنيا؛ لأن قطع السلى من المرض المخوف إذ قلما أنتن في جوف البهيمة فسلمت. قال ابن دريد: (**من بحر الرجز**)

ولا أقولُ إنْ عرتَني نكبةٌ ... قولَ القنوطِ انقدَّ في البَطْن السَّلَى

وإذا كانت الدنيا كذلك فاتخذ من **نَجاها حِذاء** للعمل ومن لحمها زادا لبلوغ الأمل، واقطع شهواتها التي هي كأحلام النوم بالزهد فيها والرغبة عنها، فذلك المقصود بالصوم، تكن من المفلحين وتلحق بالقوم، وإلا فأعد جلبابا للتوبيخ واللوم.

ثم قال رحمه الله:

70-[وكُنْ لِوَزىً هَابَ الوِزَاءَ مُؤَمّناً فَشَرُّ البَرَى مِنْهُ الكِرَامُ بِرَاءُ]

(**كن**): فعل أمر من الكون، وخبره (**مُؤَمّناً**)، واسمه مستتر وجوبا. (**لِوَزىً**): جار ومجرور متعلق **بكن**، وهو القصير الهلب من الدواب، والضعيف من الرجال، ومن لا قرن له، وهو بالزاي المعجمة مع فتح وقصر. (**هَابَ**): فعل ماض، وضمير فاعله المستتر عائد على **وَزى**. (**الوِزَاءُ**)، بالكسر والمد: الأقوياء، وهو مفعول **هاب**.

---

[1] – متفق عليه ولفظ البخاري" من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " والوجاء أصله رض الأنثيين وأطلق على الصوم مجازا؛ لأن كلا منهما مذهب للشهوة .م. باختصار.

[2] – المدخل لأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج المتوفى: 737هـ وقد قال في مقدمة كتابه " وسميته بمقتضى وضعه كتاب المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها.".

قوله: (**فَشَرُّ البَرَى**). **فشر**: مبتدأ، و**البرى** بالفتح والقصر: مضاف إليه ما قبله، و**الكِرامُ**: مبتدأ ثان، و**بِرَاءُ**: خبره. والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول. و**منه**: متعلق **ببراء**، **فالبرى** الخلق، ومعناه: فشر الخلق منه الكريم **بِراء**، جمع بريء وبَرَاء[1].

وقد وقع في الحديث الصحيح أن «**من شَرِّ الناسِ مَن تركَه الناسُ اتقاءَ فُحشِه**»[2]، أي داراه الناس وغمضوا عنه عيونهم اتقاء ما يصدر منه، ونزاهة عن فحشه؛ لما يستخرجه النصح والزجر منه، مما هو شر مما كان عليه، وهو من الذين إذا قيل له: اتق الله أخذته العزة بالإثم، فحسبه مؤدبا وزاجرا ومستعتبا جهنم وبئس المصير؛ إذ لا دواء له غيرها.

ثم قال رحمه الله:

71-[وَحَاذِرْ كَهىً مِنْ ذِي كِهَاءَ عَلَى قَرىً وَمَا هَمُّهُ إلّا لُهىً وقِرَاءُ]

قوله: (**وحاذر**): فعل أمر **حاذر**. (**كهى**)، بالفتح والقصر: مفعول **حاذر**، أو منصوب بنزع الخافض، أي: **حاذر** أن تكون كذي **كهى**، و**الكهى**: مصدر **كَهِي** الرجل، بالكسر إذا كان جبانا مخلعا. و**الكِهاء**، بكسر الكاف والمد: المفاخرة بعظم الجسم، وذلك من شأن من لا خلاق له، قال الشاعر[3]: (**من بحر الوافر**)

تَرى الرجلَ النّحيفَ فتَزدَريهِ وتحتَ ثيابِه أسدٌ هَصُور

ويعجبُك الطريرُ فتبتليهِ ويخلفُ ظنَّك الرجلُ الطريرُ

---

[1] – أهل الحجاز يقولون: أنا منك براء، وغيرهم يقولون: أنا منك بريء، قال الله عز وجل في لغة أهل الحجاز: {إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ}[الزخرف: 26] وفي غير موضع في القرآن: {وَإِنَّنِي بَرِيءٌ} [الأنعام: 19]، وهي لغة تميم وغيرها من العرب. انظر تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح لشهاب الدين المقري ص 182.

[2] – جزء من حديث متفق على صحته رواه الشيخان وغيرهما .م. باختصار.

[3] – ينسب البيتان لعباس بن مرداس كما في الحماسة 21/2.

و**الكِهاء**، المتقدم ذكره، مصدر كاهَى الرجلُ الرجلَ: إذا فاخره بعظم جسمه. و**القَرى**، بالفتح والقصر: الظهر، و**اللُّهى**، بضم اللام المشددة: جمع **لهية**، وهي العطية والمأكل. قال الشاعر[1]: "...واللُّهَى تفتح اللَّهَا"

و**القِراءُ**، بالكسر والمد: الحياض، جمع قرة.

ومعناه: احذر جبنا من ذي مفاخرة بعظم جسمه حال كونه مستلقيا على ظهره وقفاه، وليست له همة إلا فيما يأكل ويعطى، أو فيما يشرب منه من الحياض، أو يمرح فيه من الرياض، فهو بهيمة في صورة إنسان، كما قال الشاعر[2]: (من بحر الكامل)

أبنــيّ إنّ منَ الرجَــالِ بهِيــمةً في صُــورةِ الرّجُل الفطينِ المبصِر

فَطِــنٌ بكُــلّ مُصــيبةٍ في مَاله وإذا يُصــاب بدينــه لم يَشْعُــــر

جعلنا الله ممن جمع له خير الدنيا والآخرة وعافيتهما، آمين.

ثم قال رحمه الله:

72-[وكُلَّ مَلاً بُدَّ الْمِلَاءَ رِضًى وَذَا خَلًا دُمْ فَطَوْعٌ لَا يَدُومُ خِلَاءُ]

قوله: (**وكل ملا**): **الكل**: لفظ موضوع للعموم، **الملا**: أحد الملوين: الليل والنهار. و**المِلاء**، بالكسر والمد: جمع مليء، أي غني. (**بذ**) بالذال المعجمة: أي غلبهم وفاقهم، ويضبط بضم الباء وفتح الذال، ويجوز ضمها وكسرها، كما هو الشأن في الأمر من الثلاثي المضاعف كلذوا

---

[1] – هو: أبو إسحاق ابن خفاجة المغربي وقد أنشد ابن عباد:

" لَئِنْ جادَ شِعْرُ ابْنِ الحُسَينِ فَإِنَّما ... بِقَدْرِ العَطايا واللُّها تَفْتَحُ اللَّها

تَنَبَّأ فِي نَظْمِ القَرِيضِ وَلَوْدَرَى ... بِأَنكَ تَرْوِى شِـــــــعْرَهُ لَتَأَلَّها "

انظر خريدة القصر ص 95. وينسب البيتان لعبد الجليل بن وهبون المرسي كما في بدائع البدائه ص 209. وقال أبو سعيد القصار في جعفر بن يحيى: لابن يَحيى مآثُر ... بلغتْ بي إلى السُّهَا جادَ شِعْري بجُوده ... واللُّهي تَفتح اللَّها" انظر المطرب من أشعار أهل المغرب ص 118. والجملة مثل سائر.

[2] – سبقت نسبتهما في شرح البيت 18.

وشذوا. **وكلَّ**: منصوب بالظرفية. و**خلا**[1]: الكلام الحسن. و**الخِلاء**، بالكسر والمد: مصدر خلأت الناقة، وهو فيها بمثابة الحران. ومنه ما في الحديث: خلأت القصوى، وهي ناقة النبي صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم: «**ما خَلَأَتْ القَصْوى وما هو لها بخُلق ولكن حبسَها حابسُ الفيل**»[2]، الخلاء أيضا: المشاركة.

والمعنى: وكل واحد من الليل والنهار غلب الأغنياء والأقوياء وأهل العيافة والتنجيم وفاقهم، فإنما ينبغي لك حينئذ الرضى بما قدر لك والتسليم لأمر الله؛ فينتج لك ذلك الرضى في كل وقت بما يوافقه. ودم صاحب كلام حسن. فطوع لا يدوم **خِلاء**: أي فذلك الطوع لا يدوم، فكأنه لم يفعل أولا. فإن العمل إذا صنع ثم قطع فكأنه لم يفعل، وذلك مما يفسد النفس، ويحملها على الفشل والرعونة والكسل، إذ النفس كالناقة التي تخلأ قلما تحمل عليها بعد المتاركة.

فالكلام دعاء مفرغ في قالب الخبر؛ **فالمَلا**: مضاف إليه ما قبله. و**بُذ**: فعل ماض. و**المِلاء**: مفعوله. وفي البيت تعقيد وتقديم وتأخير، فدم: فعل أمر بمعنى الدعاء حال كونك ذا **رضى** وذا كلام حسن بما يجري به الملوان من المقادير، فسلم له حال كونك ذا **رضى**. **فرضى** و**خلا**: حالان من ضمير دم. وطوع: مبتدأ. **لا**: نافية. **يدوم**: فعل مضارع، والجملة وصف لطوع، ومحله الرفع. وقال المبرد: لا محل لها لكونها اعتراضية بين المبتدأ وخبره، وإنما قصاراها أن تكون مسوغة للابتداء بالنكرة. و**خِلاء**: خبره.

ثم قال رحمة الله عليه:

73-[وَعِظْ نَفْسَكَ السّهْوَى لِسِهْوَاءٍ انْقَضَتْ وَعدّ لَقىً مَا حُدّ مِنْه لِقَاء]

قوله: (**عظ نفسك**): **عظ**: فعل أمر من وعظ يعظ وعظا: إذا ذكّر وأنذَر، ودعا من الغفلة إلى اليقظة ومن الجهل إلى المعرفة، ومن الكسل إلى الخدمة، ومن التواني إلى العزمة، إذا كان في

---

[1] – في الأصل كتب الملاء وهو بعيد وما ذكر في الشرح بعد يفيد أن المقصود هنا "خلا" بالفتح والقصر فقد قال" فدم: فعل أمر بمعنى الدعاء حال كونك ذا رضى وذا كلام حسن بما يجري به الملوان من المقادير، فسلم له حال كونك ذا رضى. فرضى وخلا: حالان من ضمير دم." هذا مع أني لم أجد هذا المعنى في شيء من كتب اللغة التي طالعتها ولا أن من معاني الملاء الكلام الحسن كذلك.

[2] – هذا جزء من حديث طويل في قصة الحديبية كما في صحيح البخاري ح: 2542.

السامع قابلية. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**منْ لمْ يَكُن له واعظٌ من نَفْسِه فلا واعِظَ له**»[1].

(**نفسك**): مفعول به والكاف[2] مضاف إليه ما قبله. (**السَّهوى**): نعت لنفسك، وهو مؤنث السهوان: الذي يسهو كثيرا. وفي المثل: "**كيف ترجو من الناس وعدا وهم بنو سهوان؟**" لأن أباهم آدم عليه السلام هو أول من سها. قال الله تعالى: {**فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**}[طه: 155]. قال الشاعر[3]: (**من بحر البسيط**)

فَلا تَلُم من نَسِيٍ في مُحَاوَرَةٍ فإنّ أولَ ناسٍ أولَ النّاسِ

و**السِّهواء**: ساعة من الليل معروفة، **فلسهواء**: جار ومجرور متعلق **بعظ**. **انقضت**: فعل ماض نعت **لسهواء**. **وعد**: أي اترك. **لَقى**، بالقصر والفتح: وهو ما لا يعبأ به من سفساف الأمور، والأرذال من الناس. و**اللِّقاء**، بالكسر والمد: من الملاقاة.

والمعنى: عظ نفسك الساهية كثيرا، أي حذرها وأنذرها وذكرها ما يزجرها عن انهماكها، وانتشلها من انتشابها في وَحَل الغي، وارتباكها في تُرّهات الزي، وكرر ذلك عليها لمضي كل ساعة من ليل أو نهار، وعد، أي احبس، نفسك عن كل لقى من الحقير الخسيس من أمور الدنيا، فإنه إن لم يكن في نفسك كذلك فهو في الحقيقة كذلك؛ لأن الدنيا بحذافيرها لا تساوي عند الله جناح بعوضة ؛ فما فات منها مما تحاوله قليل من قليل، وهون عليك ما لم تنل أمور دنياك بتحقيرك إياه وتصغير قدرها، بالإضافة إلى ما تطلبه تفتح لك بحول الله وقوته أبواب السلوك، وتصل إلى محل لا يصل إليه إلا الملوك، وما ذلك على الله بعزيز، وهو الذي يعلي الخسيس بإضافته إليه، ويخلع خلع العز والقبول عليه، لا حرمنا الله من ذلك. وإن لم نكن أهلا له، آمين.

---

[1]- لم أقف عليه لكن ذكر الحسين المروزي في زوائد الزهد ح: 1103، وأبو نعيم في الحلية 2/ 145، عن الحسن البصري. "إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظٌ من نفسه، وكانت المحاسبة من همَّته" وفي الحلية أيضا 318/7 ذكره مرفوعا من حديث عائشة "«من كان له واعظ من نفسه كان له من الله حافظ".

[2] – الكاف ليس في الأصل لكن لا بد منه ولعله سقط.

[3] – لم أقف عليه.

قال رحمه الله تعالى:

74-[وَكُنْ لِخَفَا النَّجْوى خِفَاءً يَقِي جَوىً فَبِالصَّوْنِ لِلنَّجْوَى تُصَانُ جِوَاءُ]

فالخَفا، بالقصر: الشيء الخفي. و**النجوى**: مشتقة من طلب النجاة؛ لأن بصيانة السر تتحصل السمة[1]، وقيل: هي مشتقة من النجوة: وهي الأرض التي لا عمارة فيها؛ لأن المتناجيين يطلبان محلا خاليا من الناس. روي أنه ما أذيع سر إلا كانت إذاعته سببا للتلف قال الله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام: {**يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ**} الآية [**يوسف: 5**]، فلما أفشى يوسف رؤياه بمشهد امرأة يعقوب أخبرت امرأته إخوته، فحل به ما حل. ولقد أرشد الله أهل عنايته إلى كتمان السر وتبجيله، بما حكاه عن خلوته بصفيه وخليله، بمستوى وحيه وتنزيله، فقال: {**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**} [النجم: 10]. وفي الحديث: «**استعينُوا على قَضَاءِ الحوائج بالكِتْمان فإنّ كُلَّ ذِي نِعمةٍ محسودٌ**»[2].

قوله: الخفاء، بالمد: الغطاء، بالغين المعجمة، من أي شيء كان، وهو خبر كن.

والجَوَى: هنا النتن،[3] وكنَّى به عن قبح إفشاء السر ودناءة صاحبه، وعدم نظره إلى عواقب إفشاء السر، وما يؤول إليه من المفاسد، وأراد الناظم بذلك لازم معنى النتن من القبح وسوء الطوية والبعد عن مكارم الشيم، ويصح أن يكون لفظيا، **فالجوى** استعارة لإفشاء السر، **والجِواء** بالمد والكسر: جمع جواء وهو المكان المطمئن[4] وخصهما على ما قاله؛ لأن سكناه إنما يكون في المصالحة والمهادنة.

يقول: وكن للسر الخفي غطاء، كفى ذلك الغطاء قبح إفشاء السر، فبالصون للسر من الإفشاء، أي: بكتمانه تصان **جواء**، ويدوم الأمن والمصالحة والحياء، وتنأى عن الساحة

---

[1] – هكذا في الأصل ولعلها السكينة والطمأنينة.

[2] – رواه الطبراني وأبو نعيم بسند ضعيف.م. باختصار.

[3] – يطلق الجوى أيضا على الداء قال الخليل في كتابه العين 196/6:" الجَوَى: مقصور: كل داءٍ يأخذُ في الباطن لا يستمرأ معه الطعام".

[4] – ويطلق الجواء بالفتح والمد على الفرجة بين محلة القوم وسط البيوت، تقول: نزلنا في جواء بني فلان. كما ذكر الخليل أيضا.

الأعداء، وتتآلف الأهواء، وتقل بسبب ذلك الشكوى والشكواء.[1] ويرفع البلا والبلواء، وتكثر الآلاء، وتزول **اللأواء**[2] وتقطع الشحناء، وتحل مكان الضراء السراء، وتنجلي الأزمات وتحل مكانها السراء، جعلنا الله ممن يسره لليسرى، وفتح عليه باب الذكرى، وأصلح له الدنيا والأخرى.

قال رحمه الله:

75-[تَوَقَّ الرَّدى وَالْبَسْ رِدَاءً مِنَ التُّقَى لَعَلَّ الشَّفَا يُلْفَى لَدَيْهِ شِفَاءُ].

قوله : (**توق**)، أي: احترز من (**الردى**)، أي: الهلاك مصدر رديَ، بالكسر إذا هلك، **والبس رِداء** كائنا **من التقى، لعل الشَّفا**، بالقصر والفتح: وهو طرف كل شيء، والمراد به هنا آخر العمر، يوجد عنده **شِفاء**، بالمد والكسر، أي : برء أو ما يقع به البرء من الأدوية وشبهها؛ **فالردى** هنا كناية عن المهلكات من الذنوب الموبقات، أو ما يجر إليه من الأهواء والانكباب على الشهوات؛ فإذا لبست درع الصيانة وجعلت على رأسك بيضة الأمانة، وأخذت بشمالك جُنَّة التقوى، وهززت بيمينك مصارع التوكل والنجوى، فقد أخذت أهبة النجاة من المهالك، وسلكت أنجح المسالك. قال الشاعر[3]. **(من بحر الطويل)**:

وجُزَّ بسيفِ العِز سوفَ ولا تكن وإياكَ عَلَّ فَهْي أخطر عِلَّةِ.

والبيت مقتبس من قوله تعالى: **{وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ} [الأعراف: 26]**؛ لأنه أستر للعورات، وأدفع للروعات، وأنفع في الماضي والآت؛ لقوله تعالى: **{ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ**

---

[1] – الشكواء بالمد: المرض. م. ولم أجده في شيء من كتب اللغة التي طالعت.

[2]–. اللأواء: الشدة والضيق.م.

[3] – البيت ينسب لابن الفارض كما ذكر إسماعيل الخلوتي في روح البيان 435/2. لكن صدره:

وَكُنْ صَارِمًا كَالْوَقْتِ فالمقْتُ في عَسَى ..." وذكره غيره ضمن أبيات في الحث على اغتنام الوقت غير منسوبة وهي:

وخُذ مِن قَرِيْبٍ واسْتَجِبْ واجْتَنِبْ غَدًا ... وشَمِّرْ عن السَّاقِ اجْتِهَادًا بِنَهْضَةِ

وَكُنْ صَارِمًا كَالْوَقْتِ فالمقْتُ في عَسَى ... وإيَّاكَ مَهْلا فَهْيَ أَخْـــــطَرُ عِلَّةِ

وسِرْ زَمنًا واغْمَضْ كَسِيْرًا فَحَظُّكَ الـ ... بَطَالَةُ مَا أَخَّرْتَ عَزْمًا لِصِـــــــحَّةِ

وَجُذَّ بسَيْفِ العَزْمِ سَوْفَ فإنْ تَجُدْ ... تَجِدْ نَفَسًا فَالنَّفْسُ إنْ جُدْتَ جَدَّتِ".

الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم: 72]، وقوله: **{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: 2، 3]** أمدنا الله باليقين، وجعلنا من حزبه المتقين.

ثم قال رحمه الله:

76-[وَشِبْهُ الْهَجَا أَهْلُ الْهِجَاءِ فَلاَ تَطِرْ[1] حَجَا مَعْشَرٍ هُمْ بِالْهِجَاءِ حِجَاءُ].

قوله: (وشبه الهجا): فيه تقديم وتأخير، وترتيبه: أهل **الهجاء**، أي: أصحاب **الهِجاء**، **شبه الهَجا**، وهي الضفادع؛ لأنهم ينطقون ويصوتون بغير فائدة، كالضفادع في الماء، بل الضفادع خير منهم؛ لأنها ترفع أصواتها بذكر الله إلا أنها لا تُفْهَم. **فالهِجاء**، بالكسر والمد: المشاتمة بالأشعار على وجه المبالغة. وهو مما لا ينبغي شرعا ولا عادة.

والحَجا، بالفتح والقصر: الناحية. ويطلق ويراد به الولوع بالشيء و**الحِجاء**، بالكسر والمد: جمع **حجا**: العقال، **والحجاء** أيضا: الفرج، وتصح إرادته هنا بأن يكون المعنى هم فروج، أي مثلها في الاستقذار.[2]

كأنه يقول: أهل المشاتمة بالأشعار في الأشرار شبه الضفادع، فلا تحم حول ناحية معشرهم، وهم مولعون بالمشاتمة بالشعر. **فلا تطر**: يقال: طاره يطوره طورا: حام حوله.[3]

وهذا حيث لم يكن الهجو محمودا، وهو على قسمين: محمود ومذموم:

فالمحمود منه: ما كان في توهين الشرك وذم أهله، وتحقير الفجور وشتم أهل الشرك.

والمذموم: ما كان في شتم أعراض المسلمين، وهتك أستارهم وحرماتهم، والتفكه بلحومهم، وهذا حرام بلا خلاف، وقبيح ويجرح أهله، لكنه ينبغي تعلمه تدريبا وتفصحا واستعدادا لرد

---

[1]- البيت يروى أيضا "فلا تكن" بدل تطر.

[2] - يطلق الحجاء على العقال كما ذكر بعد ويطلق أيضا على المعاركة أيضا كما ورد في معجم متن اللغة 38/2. وإن كان كذلك فحمل الحجاء هنا على المعاركة غير بعيد فأهل الهجاء يتعاركون بالشتم وبما لا يليق فدع سبيلهم وتجنبهم.

[3] - هذه الفقرات كان فيها تقديم وتأخير وعدم ترتيب في الأصل فاجتهدت في إعادة ترتيبها حسب المعنى وسياق الكلام وسباقه. وأما الطور ففي المخصص ج502/1"وَلَا أَطُور بِهِ - أَي لَا أقْرَبه، صَاحب الْعين، الطُّوَار - مَا كَانَ على حَذْو الشيءِ أَو بِحِذَائِهِ وَقد طارَ حوْلَ الشيءِ طَوْراً وطَوَاناً - حامَ، ابْن دُرَيْد، جَوَار الدَّار كطَوَارها...".

مثله إن وقع من أهل الكفر والفجور؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «**من تعزَّى عليكم بعزاء الجاهلية فأعضُّوه بِهَنِ أبيه ولا تكنوا**».[1]

وإنما ينبغي تعلمه لما فيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة، وليس الهجاء دليلا على إساءة المهْجُوِّ ولا على صدق الشاعر فيما رماه به. فما كل مذموم بذميم، وقد يُهجى الإنسانُ بهتانا وظلما وعبثا وإرهابا. قال المتوكل لأبي العيناء: إلى كم تمدح الناس وتذمهم ؟! قال: ما أحسنوا وأساؤوا. وقد رضي الله تعالى على عبده أيوب فقال: **{نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص: 30]**. وغضب على عبد فقال: **{مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ[2]} [القلم: 12 13]**.

ثم قال رحمه الله:

77-[عَلَى الْغِرِّ يَخْفَى ذُو الْفَرَى لِفِرَائِهِ وَذِي الدَّارِ وَالنَّوْكَى فَلاَ وَفِلاَءُ].

(**الغِر**): الذي لا تجربة له بالأمور. و**الفَرى**: الدَّهِش، مصدر فرِي، بالكسر. **والفِراء**، بالمد والكسر: جمع فَرْوَة بمعنى ثروة[3]، وهي كثرة المال. **والنوكى**: الحمقى.

والفَلا، بالفتح والقصر: جمع فلاة. و**الفِلاء**، بالمد والكسر: جمع فُلْو: وهو ولد الحمار.

يقول: على **الغر** يخفى دهش صاحب الدهش لكثرة ماله، لا على غير **الغر** فلا يخفى عليه؛ وهذه الدار، أي: دار الدنيا، كالخلاء إذ لا يحصل فيها على طائل والحَمْقَى رُتّع فيها لقصور همهم عليها واكتفائهم بزرجونها[4] كجحوش الحمير في الفلوات يأكلون فيشبعون، ثم يروثون فيمرحون.

يعني أن كون الحمقى في هذه الدار يشبه كون **الفِلاء** في الخلاء؛ لأن هممهم مقصورة على الأكل والشرب ونزو بعضهم على بعض، فإذا أحسوا بخطر نفروا فتفرقوا، فإذا غاب عنهم رتعوا

---

[1]- رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، وأورده صاحب الكشف تحت رقم: (2437). م.

[2] .-الزنيم: الدعي. م.

[3] - قال السرقسطي في الدلائل في غريب الحديث 452/2:" قَالَ الزِّيَادِيُّ، عَنِ الْأَصْمَعِيِّ، الْفَرْوَةُ: الْمَيْسَرَةُ وَالْغِنَى، يُقَالُ: فُلَانٌ ذُو فَرْوَةٍ، وَالْفَرْوَةُ فِي الْمَالِ، وَالثَّرْوَةُ فِي الْعَدَدِ".

[4] - الزرجون: صبغ أحمر، والمراد: الزخرف، والكلمة فارسية.م.

حتى يؤخذوا في غراتهم أو مأمنهم. ومن أعظم النوكى أهل **الفَرى** لأجل **الفِراء**؛ لأن لهم شبها **بالفِلاء** في **الفَلا**.[1]

تنبيـه: أفاد الإتيان بقوله: (**وذي الدار** ...) إلى آخره، عقب ما ضمن تقديم حالهم من عدم فَراهم لأجل فِراهم تنبيها على غير **الغر**، وهذا يقال لختم التنبيه به.

وقد تضمن نكتة يتم المعنى بدونها، وتلك النكتة هي تمثيل حالهم في الدنيا بحال **الفِلاء**.

وفي البيت من البديع الاقتباس لتضمنه قوله تعالى: {**كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ**} **[المدثر: 50، 51]**.

ثم قال رحمة الله عليه:

78-[يَرَى ذُو الْحَنا ذَات الْحِنَاءِ فَيَرْتَجِي حَظىً بَاطـلاً وَالْحَادِثَات حِظاءُ].

قوله: (**يرى ذو الحَنا**)، أي: يبصر المرء صاحب الحنا؛ أي: انحناء الظهر من الكبر المرأة صاحبة **الحِناء**، بالمد والكسر: أي التي تشتهي الفحل، وهو مصدر حَنِيَت الشاة: إذا اشتهت الفحل، فيرتجي ذو **الحَنا** بسبب رؤيته **ذات الحِناء**، **حَظىً**، بالفتح والتخفيف والقصر: أي، ظفرا منها بمراده، وهو مصدر حظِي بالشيء، بالكسر: إذا سعد به باطلا؛ لأن حوادث الدهر قد تحول بينه وبين ما رجاه وقد بين ذلك بقوله: (**والحادثات حِظاء**)، أي: سهام مصيبة له قبل أن ينال ما ارتجاه.

وجملة قوله: (**والحادثات حظاء**)، تذييلية لا محل لها من الإعراب؛ لأنها أكدت مفهوم قوله: (**باطلا**)؛ لأن ذلك يفهم أنه لا يدرك ما ارتجاه لمانع، وإلا كان حقا لا باطلا، وفي ذلك نظر؛ لأن الجملة بحسب هذا أنها ليست تذييلية فتكون حالا من فاعل ارتجى.

[1] – في الأصل كتب في بالفلا في الفلاء ومعناه غير مستقيم، ولعله خطأ من النساخ في كتابة الهمزة في الثانية لا الأولى.

والبيت مفرغ في قالب التمثيل. وذو **الحَنا** عبارة عن طلب الدنيا، وهو مع قرب أجله يحاول كل ما دعاه إليه هواه، ولو كان لا يصل إليه بحال؛ وإن نواه لتغطية غُبارِ حُبه شعاعَ بصيرته ولُبه. قال صلى الله عليه وسلم: «**حُبُّكَ الشيءَ يُعمي ويُصم**».[1]

وذات الحِناء هي الدنيا؛ لأن الله خلقها مهيأة لآدم وبنيه، فالمؤمن يتزود، والكافر يأكل ويتمتع، والمنافق في ريبه يتردد، والفاسق في غفلته يجهد، ولغيره يسعى ويحفِد.

ثم قال رحمه الله:

79-[وَمَا مِنْ تَوىً يُنْجِي التِّواءَ وذُو النَّوَى فَلَيْسَ بِمُـدْنٍ مـا نـوَاهُ نِوَاءُ]

قوله: (**وما من توى**): **فما**: نافية، و**من**، حرف جر يدل على التعميم، كقوله: {**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**} [**هود: 6**]؛ لأن إتيانها بعد **ما** النافية يكسبها التعميم ويورثها العموم، كما في مختصر ابن الحاجب. و**التوى**، بالقصر والفتح: الهلاك. **والتِّواء**، بالكسر والمد: سمة من سمات الإبل كانت تفعله العرب في الجاهلية تدفع به إصابة العين. و**النَّوى**، بالقصر والفتح: ما ينوي المسافر بلوغه من سفره، وقد يعبر به عن البعد، ويطلق ويراد به الفرقة، ويطلق فيراد به المناوأة وهي معالجة الشيء ومكابدته. و**النِّواء** بالكسر والمد: جمع ناو، وهو: السمين من الإبل وغيرها، ومن استعماله في سمن الإبل قول الأنصارية لحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه: (**من بحر الوافر**)

أَلَا يَا حَمْزُ لِلشُّرُفِ النِّوَاءِ ... فَهُنَّ مُعَـــقَّلَاتٌ بِالْفِنَاءِ

ضَعِ السِّكِّينَ فِي اللِّبَّاتِ مِنْهَا ... وضَرِّجْهُنَّ حمزةُ بالدماء

و**من**: متعلقة **بينجي**. **ونِواء**، آخر البيت: اسم ليس. و**بمدن**: خبره، والباء زائدة فيه. وجملة (**ليس بمدن**...) إلى آخره خبره مبتدأ وهو: (**ذو النَّوى**).

[1]- هذا الحديث رواه أبو داوود موقوفا ومرفوعا، وسكت عنه،كما رواه أحمد وقد قال القاري بعد أن ناقش طرقه: فالحديث إما صحيح لذاته أو لغيره مرتق عن درجة الحسن لذاته وإن لم يثبت مبناه أهـ.م. بتصرف واختصار.

والمعنى: وما ينجي الوسم الذي في الجمل والناقة صاحبه مما قضى الله عليه من إصابة العين وغيرها من الآفات. قال الشاعر[1]: **(من بحر الكامل)**

وإذا المَنِيّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَها ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ

وصاحب البعد لا يقرب منه النوى الذي نواه إبل سمان إذا لم يقدر له على ذلك. فبان من هذا أن الاعتماد على سبب من الأسباب أو موجود من الموجودات مع إهمال الحقيقة وإغفال أمر الله مخل بالسلوك مفسد للعقل.

ثم قال رحمه الله:

80-[وَمَا كُلُّ مَأْتىً ظَنَّ مِئْتَاءَ رِفْقَةٍ وَلَا لِأَلَىً كُلُّ الإِلَاءِ تُـهَـــاءُ]

(المأتى)، بالقصر والفتح: المذهب. و**المِئتاء**. بالكسر والمد: الطريق والمهيع المؤثر بكثرة السالكين. و**الأَلى**، بالفتح والقصر: من أَلِي الحيوان: إذا عظمت أَلْيَتُه[2]. و**الإلاء**، بالمد والكسر: جمع أَلْيَة.

وكأنه يقول: ليس كل مذهب سلكته الرفاق فتأثر بسلوكهم فصار مهيعا بمنج من سلكه من التلف بمجرد كونه مسلوكا، وكذلك أيضا ليست كل ألية عظيمة **تُهَاء**: فرب **ألية** عظيمة شحمها رذل وعظمها به آفة وعلة، فأكلها قد يحدث داء عضالا. يقال هاء الأمر، ويهاء، ويهيء: أخذ له أهبته كتهيأ له، وهو من غريب اللغات[3] ولو جاء به صاحب القاموس كذلك،

---

[1] – هو أبو ذؤيب الهذلي من قصيدته المشهورة في رثاء بنيه ومطلعها:

" أَمِنَ المَنُونِ وَرَيبِها تَتَوَجّعُ؟ ... والدّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِـــــبٍ مَنْ يَجْزَعُ

قَالَتْ أُمَيْمَةُ: ما لِجِسْمِكَ شَاحِباً ... مُنْذُ ابْتُذِلْتُ وَمِثْلُ مَالِكَ يَنْفَعُ

فَأَجَبْتُها: أَمّا لِجِسْمِي إنّهُ ... أَوْدَى بَنِيّ مِنَ البِلاَدِ، فَوَدّعُوا..." انظر الجمهرة ص536.

[2] – هي: لحمة العجز أي الورك وتجمع على أليات وعلى إلاء كما ذكر بعد. انظر إكمال الإعلام بتثليث الكلام لابن مالك 51/1.

[3] – قال الخليل بن أحمد في كتابه العين 103/4:" والهيئة للمتهيّء في مَلْبَسه ونحوه يُقال: هاءَ فلان يَهاءُ هيئة. وتقول: هِئْتُ لك، أي: تهيَّأت ... والهييءُ، على تقدير: فعيل: الحَسَنُ الهيئة من كلّ شيء."

فعلى هذا فالأصل: يهاء لها، فحذف اللام، وعدى الفعل بنفسه، فقال: **تُهاء**، بضم التاء: مبني لما لم يسم فاعله، وهو ضمير **لإلاء**، بالمد، أو ضمنه معنى تهيأ.

ثم قال رحمه الله:

81-[وهَذَا الْجَأَى فَانِي الْجِئَاءِ يَسُوسُه وَلِيقُ الدَّوَى لِلْكَاتِبِينَ دِوَاءُ]

(**الجأى**): بالفتح والقصر: هو الكميت من الخيل، وهو الذي يخالط حمرته سواد، وهو من أحب الشيئات [1] إلى العرب، قال الشاعر[2]: (**من بحر البسيط**)

يَا خَيْرَ مَنْ مَرِحَتْ كُمْتُ الْجِيَادِ بِهِ ... عَنِ الْهِيَاجِ إِذَا مَا اسْتُوقِدَ الشَّرَرُ

وقال قيس بن زهير في حرب داحس: لم يصبر معنا في حربنا هذا إلا الكميتات من الخيل وسمر النعم، وبنات العم.

و**الجأى**، بالفتح، وهو مصدر جَئِيَ الفرس فهو جأى: إذا كان أحمر إلى السواد. و**الجِئاء** بالمد والكسر: جمع جئاوة[3]: وهي غشاء القدر أو شيء يوضع عليه من جلد أو غيره. وقيل: **الجِئاء**: هو ما يكسوها، تقول: جأوت الشيء أجؤوه إذ كسوته. قوله: (**يسوسه**): يديره بالرياضة. و**الدَّوى**، بالفتح والقصر: جمع دواة، ووزن الدواة فَعَلَة بالتحريك كشجرة، وأصلها دوية، فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، واشتقاقها من الدواء لأن بها صلاح أمر الكتابة. و**لِيقها**: جعل الليقة فيها: وهو المداد، وقيل الليقة جمع المداد والصوف، مصدر ألقتها فهي مليقة، ويقال: ألقتها أيضا فهي ملاقة، ولا يقال لصوفتها إذا بلت، وقيل: ذلك يقال لها حيث خلطت بالمداد من غير بلل وإلا فهي صوفة. و**الدِّواء**، بكسر الدال والمد: مصدر[4] دوى

---

[1] – الشيئات: جمع شيئة: كل لون يخالف معظم لون الشيء.م.

[2] – هو: أبو جَرْوَلٍ زُهَيْرَ بْنَ صُرَدٍ الْجُشَمِي كما ذكر التنوخي في الفرج بعد الشدة. 7/2.

[3] – في الأصل جئات والصواب ما أثبت ففي المقصور والممدود لأبي علي القالي ص432:" قال يعقوب: جئاء القدر: وعاؤها وهو جمع واحدتها جئاوة.".

[4] – قال في مختار الصحاح باب دوى ص110:" وَقِيلَ الدِّوَاءُ بِالْكَسْرِ إِنَّمَا هُوَ مَصْدَرُ (دَاوَاهُ مُدَاوَاةً) وَ (دِوَاءً) وَ (الدَّوَى) مَقْصُورٌ الْمَرَضُ وَقَدْ (دَوِيَ) مِنْ بَابِ صَدِيَ أَيْ مَرِضَ"

الشيء كالمداواة إذا أصلح وأتقن، ويقال: دوى الشيء: إذا تم، ودوّى النهار: إذا اشتد حره، ودوى إذا صار له دوي كدوي النحل. وأما **الدَّواء**، بالفتح: فاسم ما يتداوى به.

ومعنى البيت: فهذا الفرس ذو **الجأى**، وهو الجون، جعله نفس الجأى مبالغة؛ لاشتداد جوأته حتى كأنه نفس **الجأى**، **يسوسه** فاني **الجأى** لا غيره، إذ تقديم الفاعل يدل على الحصر، وهذا إشارة إلى كرم صاحبه واشتغاله بإطعام الطعام لاستحضاره القدور لنضجه وأوعيته وهي **الجِئاء** إذ من عال آلة كلفها، والله يعين المرء على قدر همته ويجعل معونته على قدر مؤونته.[1]

و**ليق** الدوى مداواة للكاتبين لا لغيرهم، وهذا تنظير وتمثيل لكون الأشياء لمن هي له لا لكل أحد، إذ ليس الشبعان كالمتشبع، ولا المطبوع كالمتطبع، فإطعام الطعام ـ وإن كان من أشرف الشرف ـ فإنه من أصعب الكُلَف، فيحتاج إلى طبع غريزي في الكرم، وعِرْق ينزعه من آبائه القدم، وتدريب وعناية ربانية، وتربية تنشأ عنها، فاعتادها من غير تكلف ولا تشوف، تسوقه رغبة الأجر، وتقوده مخالفة الوزر.

وفي البيت من البديع الاقتباس، إذ هو مقتبس من قوله تعالى: {**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**} إلى قوله: {**قَمْطَرِيرًا**}[2] [**الإنسان: 8 ـ 10**] ثم قال تعالى في وصف ما أعد لهم: {**فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا**} إلى قوله: {**تَذْلِيلًا** } [**الإنسان: 11 ـ 14**]، فلم يأت سبحانه على عمل من الأعمال بعد التوحيد بمثل ما أتى به في إطعام الطعام لوجه الله الكريم، ولذلك اختاره لخليله عليه السلام كما قدمته ؟ قبل. عودنا الله على ما يرضاه ويرضيه عنا.

---

[1] – هناك حديث معناه يعضد ما ذكر أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ح:7703 " عن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: «إن المعونة تأتي من الله على قدر المئونة، وإن الصبر يأتي من الله على قدر البلاء». وقد صححه الألباني في صحيح الجامع ح:1919.

[2] القمطرير: الشديد من الأيام. م.

ثم قال رحمه الله:

82-[وَيَشْفِي الصَّهَا رَوْمُ الصِّهَاءِ وَبِالنَّهَا عَنِ الرَّيْثِ تُرْضِي الوَارِدِينَ نِهَاءُ]

قوله: (**ويشفي**): أي يبرئ. (**الصها**)، بالفتح والقصر: مصدر صهِي الجرح بالكسر: إذا نَدّ. و**الصِّهاء**: ذروة كل شيء، وهي جمع صهوة. و**النَّها**، بالفتح والقصر: مصدر نهِي عن الشيء بالكسر، بمعنى انتهى عنه. و**النِّهاء** بالمد والكسر: جمع نِهْيٍ، وهو الغدير، و**روم**: بالرفع فاعل يشفي.

والمعنى: يشفي روم الصهوات، أي قصدها ومحاولة نيل المراتب العلية، الجرح الذي نَدّ، وبالانتهاء أي الكف عن الريث: وهو البطء، تروي الواردين: أي الأشخاص الذين يردون الماء والحياض التي يردونها، بمعنى أنها تسعهم ويجدون فيها كفايتهم.

والمقصود الاغراء بطلب معالي الأمور والتصدر، فإن في ذلك شفاء للصدر، والتحذير من التسويف والوَنَى في فعل الخيرات خوفا من العوارض والعوائق، كما قيل[1]: (**من بحر الوافر**)

إِذَا هَبَّتْ رِيَاحُكَ فَاغتَنِمْهَا ... فَكُلُّ الخَافِقَاتِ لَهَا سُكُوْنُ

وإِن دَرَّتْ نياقُكَ فاحتلبْها... فَمَا تَدْرِي الفَصِيلُ لمنْ يَكُوْنُ

ثم قال رحمه الله:

83-[وَمَا بِالْفَضَا يُحْصَى الْفِضَاءُ وَقَلَّمَا يَهُونُ الْأَسَى إِنْ لَمْ تَرُمْهُ إِسَاءُ]

قوله: (**وما بالفضا**)، **فالواو**: للاستئناف، و**ما**: نافية بمعنى ليس. (**بالفضا**): جار ومجرور متعلق **بيُحْصى**. و**الفَضا**، بالفتح والقصر هنا: الآراء المختلفة. و**الفِضاء** بالكسر والمد: جمع فَضِيَّةٌ، وهو الماء الذي يجري على وجه الأرض. و**يُحْصَى**: أي يعد. و**الأسى**، بالفتح والقصر: يقال: أسوت الجرح: أصلحته. و**الإساء** بالكسر والمد: جمع آس، وهو الطبيب، كما قال الحطيئة العبسي في هجو الزبرقان بن بدر: (**من بحر البسيط**)

[1] – ينسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه كما في مجمع الحكم والأمثال لأحمد قبش: 79/3.

لَمّا بَدا لِيَ مِنْكُم عَيْبُ أَنْفُسِكُمْ ... وَلَمْ يَكُنْ لِجِراحِي مِنْكُمُ آسِي

أَزْمَعْتُ يأساً مُبِينا مِنْ نَوالِكُمُ ... ولَا تَرى طارِداً لِلْحُرّ كالْيَاسِ

فكأنه يقول: ليست تعد المياه الجارية على وجه الأرض بالآراء المختلفة والعزائم التي ليست مرتبطة، بل إنما تنال وتستخرج ويقدر على تمشيتها في البساتين والأشجار، والانتفاع بها بالآراء المتفقة، والعزائم التي ليست بمختلفة ولا مفتلة، وقلما يسهل إصلاح الجرح ومداواة المرض على من رامه من غير الآراء الصالحة وإيساء الأطبة الحاذقة. وهذا تمثيل.

والمعنى: أنه لا يصلح للدلالة على الطريق إلا من كان على بصيرة من مواردها ومصادرها، بحيث لا يتغير له رأي، ولا تنحل له عزيمة. فإن لم يكن كما ذكر هلك وأهلك. وكذلك أيضا لا يصلح لمداواة الأمراض إلا من كان آسيا عالما بالأدواء والأدوية التي تليق بالدواء، وإلا أهلك من يعالجه في الغالب. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " **يذهبُ العُلماءُ الأولُ فالأولُ، حتى إذا لم يبقَ عالمٌ اتخذَ الناسُ رؤساء جَهلة: فأفتوا بغير علم، فضَلُّوا وأَضَلُّوا** " [1].

يروى أن الجنيد رضي الله عنه كان يقول: "أخوف ما يخاف على هذ الأمة جهلة المتصوفة، وعلماء الألسنة جهلة القلوب: المتصوفة يضلون الناس بألسنتهم فيدعون من ضلالة إلى ضلالة أشد منها، وعلماء الألسنة جهلة القلوب يدعون إلى الضلالة بأقوالهم وأفعالهم، فتميل بهم أهواؤهم إلى ترك العمل بما علموا، فيغتر بهم الجاهل فيقول: إنه لم يفعل ذلك إلا لعلم عنده لم نبلغه". وقال ابن القاسم: كان مالك رحمه الله كثيرا ما يقول إذا سئل: لا أعلم. ولقد كان يقول ذلك في المجلس ثلاثين مرة.

فالحاصل: أن المقتدي بالجاهل كالمستدل بالأعمى، فأنى له الرشاد؟. والمقتدي بالفقيه الراغب في جمع الحطام، ولا سيما إن كان يأخذ الرشى، كالمستدل بمن به لمم من الجن فلا يزيده غير خبال. وإنما يرشد من ورث علم الرسول صلى الله عليه وسلم وأحواله ومقاماته.

---

[1] –حديث: " يذهب العلماء الأول فالأول الخ " متفق على صحته، ولفظه عند البخاري: " إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا " (كتاب العلم ـ باب كيف يقبض العلم) والله أعلم.م.

ثم قال رحمه الله:

84-[وَلَيْسَ جَوىً عِنْدْ الْجِوَاءِ أَثَارَهُ يُدَاوَى بِمَغْنىً فِي سَحَاهُ سِحَاءُ]

قوله: (**جوى**): اسم ليس، وجملة (**عند الجِواء أثارَه**): صفة له، و**يُداوَى**: خبر ليس.

و**الجَوى**، بالفتح والقصر: كل ألم باطن، وفعله جَوِي بالكسر، يجْوَى بالفتح. والمراد به هنا الشوق، والغرام،كما يقتضيه سياق البيت. و**الجِواء** بالكسر: كل واد واسع وقيل هو ما بين العُدوَتين من سهب واسع تخترقه السيول، وليس بواد بل هو رياض نقية وبقاع طيبة. تخترقها السيول وتثير مراعيها الذيول تُمْرِعُ على الطل، ولا تُقْلى بوخم ولا سل، رقيقة الترب، كثيرة العشب.

قوله: (**أثاره**) أي حركه وأهاجه. و**المَغْنى** بالغين المعجمة: المكان الذي غني أي عَمُر قال الله تعالى: {**كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ**} [**يونس: 24**] معناه: أنها خربت وعفى أثرها حتى كأنها لم تتقدم لها عمارة بالأمس. والمراد بالأمس ما مضى من الزمان وإن بعد العهد به، لا ما يسبق إلى الوهم، وهو ما قبل يومك هذا الذي أنت فيه. و**السَّحَى** بالفتح والقصر: جمع سَحَاة، وهي الساحة. و**السِّحَاءُ** بالكسر والمد: نبت حلو ذكي له نور أبيض إذا رعته النحل طاب عسلها.

فكأن الناظم يقول: ليس يداوي الشوق والحزن اللذين هيجهما عهد الجواء، أي ذكر ما عهد فيه من نيل الأوطار وجميل الآثار التي فيها قرة عينه، بالحلول في مكان قفر بنت في ساحته السِّحاء.

والمعنى أنه لا يُسلي الخسيس عن النفيس، فالدنيا لخستها لا تغني عن الآخرة لنفاستها، فجَواه إنما أثاره جِواء معاهد الجنة، وما أعد الله فيها لأوليائه، فلا يبرئه منه زَرَجُون هذه الدار التي ملئت بالأكدار، ولا راحة لمؤمن فيها دون لقاء ربه[1]، والظفر بمقتضى حبه.

[1] – أورد هناد في الزهد 71/1" قال:كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَأْخُذُ بِلِحْيَتِهِ وَيَقُولُ: " بَرَّحَ اللَّهُ اللِّحَى مَتَى الرَّاحَةُ مِنْهَا قَالَ: فَقِيلَ مَتَى الرَّاحَةُ مِنْهَا؟ قَالَ: إِذَا دَخَلْنَا الْجَنَّةَ ".

ثم قال رحمه الله:

85-[وَمَا ذُو نَسىً بَيْنَ النِّسَاءِ بِمُبْرِئٍ ذَوَاتِ طَناً أَشْفَتْ بِهِـنَّ طِنَاءُ].

قوله: (وما ذو نسىً)، أي: وليس صاحب نسىً بالفتح والقصر: مصدر نَسِيَ الرجل إذا اشتكى نساه، **فذو** إسم **(ما)**، **نَسىً**: مضاف إليه ما قبله. **(بمبرئ)**: خبره. **(بين النساء)**، ظرف ومضاف إليه ما قبله، والجملة خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو كائن بين النساء. والمبرئ من المرض الذي يشفي منه بالعلاج الموافق لدفع العلة من عقار وغيره. **والطَّنى** بفتح الطاء المهملة والقصر: التصاق طِحال البعير بجنبه من شدة العطش والييس، وليس هو خاصا بالبعير، بل يقال: **طنى** الإنسان، إذا عظم طِحاله من الحمى وغلبة الصفراء، وهو مصدر طنِي بكسر النون فيهما. و**الطِّنَاء**، بالكسر والمد: جمع طِنْء بالكسر والهمز: وهو بقية الروح، ومنه قيل: هذه حية لا تُطْنِي، أي: لا يعيش لديغها. قوله: **(أشفت)**: أشرفت على الموت.

فكأنه يقول: ليس رجل صاحب شكاية بوجع نَساه في حال كونه بين النساء قد أحطن به يمرضنه لشدة مرضه بمداو إبلا ذوات طَنى، أي: مطحولة[1]، أشرفت على الموت. فهو لأجل مرضه ودنفه وكونه بين نساء قد أحطن به لا يغني عن ذوات الطَّنى التي لم يبق فيها إلا بقايا من الأرواح، كيف وقد شُغل بنفسه، وقد دنا من مُوارَاتِه في رمسه، وحيث عجز عن مداواة نفسه، فعجزه عن علاج غيرها أحرى.

والكلام مفرغ في قالب التمثيل، فهو كناية عمن يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ثم يقتحمه، إذ لسان الحال أصدق من لسان المقال، فغاية أمره ونهيه بهما الازدراء لنفسه.

قال الشاعر[2]. **(من البسيط)**:

يَا أَيُّهَا الرَّجلُ المُعلمُ غَيْرَه ... هَلا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَعليمُ

---

[1] – قال الجوهري في الصحاح باب طحل 1750/5:" وطَحَلْتُهُ، أي أصبتُ طِحالَهُ، فهو مَطْحولٌ. وطَحِلَ بالكسر طَحَلاً: اشتكى طِحالَهُ. وطَحِلَ الماءُ، إذا فسَدَ وتغيّرت رائحتُه".

[2] – تنسب لأبي الأسود الدؤلي من قصيدة طويلة مطلعها: حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداءٌ له وخصوم..." ذكر ذلك الشيخ علي الطنطاوي في فكر ومباحث ص99 وأوردها الماوردي في أدب الدنيا والدين غير منسوبة.

ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَا عَنْ غَيِّهَا ... فَإِذَا فعلت إذا فَأَنْتَ حَكِيمٌ

فَهُنَاكَ يُسمع مَا تَقُولُ وَيُقْتَدَى ... بِالقول مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ ... عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

ثم قال رحمة الله عليه:

86. [وَلاَ ذُو الْحَقَى يُكْفَى بِكُثْرِ حِقَائِهِ وَغَايَةُ ذِي الدُّنْيَا صَنىً وَصِنَاءُ] .

يعني أن صاحب **الحَقى**، بالقصر والفتح: جمع حقو، وهو وجع الخاصرة، إذ **الحَقْو** إنما هو موضع ربط الإزار، وهو من أصغر ضلع إلى منتهى الورك، كما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ماتت إحدى بناته دخل على النساء وهن يغسلنها، فقال: «**اغسِلْنها ثلاثاً أو خمساً أو أكثرَ من ذلك إن رأيْتُنّ ذلك بماءٍ وسدرٍ، واجعلن في الأخيرةِ كافوراً، فإذا فرغْتُنّ فآذنني، قالت: فلما فرغْنا ألقَى إلينا حِقْوه، فقال أشْعِرْنَهَا إياهُ** ».[1] وهو من باب تسمية الشيء باسم محله أو ملازمه، فيقال للإزار حِقْو، كما يقال للمحل.

أي لا يُكفى من مؤونة الموت ولا من إصابة البلايا والمحن بسبب **كُثْر**، وهو بضم الكاف هنا مراعاة للتاء المحذوفة، فإذا أعيدت فتح الكاف وجوبا، فإذا قلت: بكثرة فتحتها، وإذا قلت بكُثر ضممتها، أي: بكثرة حِقائه، بالكسر والمد: جمع حِقو، وهو الرداء. فالمراد أن عَرَض الدنيا لا يكفي صاحبه غرضا من الأغراض التي تناله فيها.

و**الصَّنى** بالفتح والقصر: حجر مطروح لا يلتفت إليه. و**الصِّناء**، بالكسر والمد: الرماد. فالمعنى أن غاية ذي الدنيا ولو بلغ فيها صاحبها المنتهى في الملك والشرف والثروة، فإنما مصيره ومأواه أن تنصب عليه أحجار لا يبالي بها ويصير تحتها رميما، ثم بعد صيرورته رميما يصير ترابا، فيندَرِس رسمه، فلا يذكره ذاكر، ولا يزوره زائر.

[1]– أخرجه البخاري بروايات في بعضها زيادة، (باب غسل الميت ووضوئه بالماء والسدر) ح: 1253. وأبو داود في سننه (باب كيف غسل الميت) ح: 3142. أما المغسلة فهي زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم.

فالبيت موضوع للتزهيد في الدنيا واحتقارها، وهو في قوة قوله تعالى: **{مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ} [النساء: 77]**. كما في المثل: "غاية كل متحرك السكون، وغاية كل متكون ألا يكون".

قال رحمه الله:

87 – [وَرُبَّ قَوىً آضَ الْقِوَاءُ بِهِ غَمىً وَقَدْ كَانَ مِنْهُمْ فِي الْقُحُوطِ غِمَاءُ] .

قوله: (**ربَّ قَوىً**)، أي: كثيرا ما أصبح الموضع القفر عمرانا بعد ما كان خلاء، وربما أصبح البلد العامر بالأموال والرجال والأشجار والعقار **قوىً**، أي: خاليا لا عمارة فيه، وبذلك سمي المسافر مُقْوياً، وجمعه مُقْوُون؛ لأنه يقطع المفاوز ويجاوز العمران طلبا للأرباح، ورجوعا إلى المراح، فيقال، قوي المكان: إذا أقفر. و**القِواء** بالمد والكسر: جمع قوي، وهو على غير قياس، لأن القياس في جمع قوي: أقوياء، ويقال فيه: **{أُولُو قُوَّةٍ} [النمل: 33]**. إذا كان بمعنى شدة البطش وكثرة الخطو. قال صلى الله عليه وسلم: «**إنما القُوةُ الرمي**».[1] وقال تعالى: **{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} [الأنفال: 60]**. ويسمى القوى أيضا بالشديد. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «**ليس الشديدُ بالصُّرَعَة إنما الشديدُ الذي يملكُ نفسَه عندَ الغَضب**».[2] وفي ذلك يقول الشاعر[3] **. (من بحر لبسيط)**:

لَيْسَ الشديد الذي يَحْمِي فَرِيسَتَهُ ... يومَ الوَغاء ونارُ الحَرْبِ تَشْتَعِلُ

لَكِنَّ مَنْ غَضَّ طَرْفًا أَوْ ثَنَى قَدَمًا ... عَنْ الْحَرَامِ فَذَاكَ الفَارسُ البَطَلُ.

و**آض**: عاد، وهي من أخوات كان و**الغَمى**، بفتح الغين المعجمة والقصر: الذي أغمي عليه لغلبة المرض، أو من إفراط الضعف، وهو أشد من الغَشْي ودون السُّكْرِ.

---

[1]– جزء من حديث أخرجه مسلم/ ولفظه كاملا: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} [الأنفال: 60]، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ " صحيح مسلم / (باب فضل الرمي والحث عليه). الحديث رقم: (1917). / وأخرجه أبو داود، بنفس اللفظ. (باب في الرمي) / الحديث رقم: (2514).

[2]– متفق عليه، البخاري،؛:6114، ومسلم، ح: 2609.

[3] – ذكر سبط بن الجوزي في مرآة الزمان 316/19: أن القائل هو مسعود بن المحسن.

وفي صحيح مسلم: «**كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا أُنزلَ عليه الوحيُ أصابه مثلُ الغَشْيِ الخفيف، فينفَصِم عنه وقد تفصَّد جبينُه عَرقا فهو كالجُمَان**»[1].

فالغشي للأنبياء والصلحاء، والإغماء للمرضى والضعفاء، والسكر لأهل الأهواء عند الموت. و**الجلاء**: الذهاب بالكلية، وأما التخبط فالصرع، والتخبط لمن به لمم الجان، ولأكلة الربا عند اللقاء، قال الله تعالى: **{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} [البقرة: 275]**. وقال تعالى: **{وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} [الحج: 2]**. **فالغمى** لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، كما في التسهيل. و**الغِماء**، بالكسر والمد: الغيوم. قال الشاعر[2] **. (من مخلع البسيط)**:

هـُمُ العَطِيـةُ والأمـاني والـمُدْنُ والـمُـزنُ والغيُـومُ.

ومفرده غيم، وربما قيل في مفرده: غماء كسماء، وماضِيهِ غَيَّم مضعفا. قال الشاعر[3] **. (من الطويل)**: "... **فإن غَيّمَتْ فالويل للظهر والعَصْر**".

ووقع سماعا **غَمَى** على وزن رمى، كما قال البنّاني: وإذا أسند إلى الهلال جيء به على صيغة البناء للمجهول، فتقول: غُمَّ بضم الغين المعجمة وتشديد الميم، وله أخوات لا تأتي مواضيها إلا على هذه البنية كجُم وسُقط وجُن وأُلحق وأُفلس. انظر القبوس شرح القاموس.

فكأنه يقول: رُبَّ أقوياء ذوي أموال يفتخرون بقوة أجسامهم ولأجل غناهم فصاروا بعد ذلك فقراء ضعفاء حتى كادوا يهلكون بسبب فقرهم وضعفهم، فلم يغن عنهم شيئاً مالُهم ولا

---

[1] – من الروايات التي ذكرها مسلم في صحيحه في كيفية نزول الوحي ح:2334 " عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: «كَانَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ كُرِبَ لِذَلِكَ وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ» وأما اللفظ الذي ذكره الشيخ فلم أجده.

[2] – لم أقف عليه.

[3] – ذكر صاحب المستطرف في كل فن مستظرف ص472: عن الأصمعي قال: ضلت لي إبل، فخرجت في طلبها، وكان البرد شديدا، فالتجأت إلى حي من أحياء العرب، وإذا بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكساء، وهو يرتعد من البرد وينشد:

أيطمع ربّي أن أصلّي عاريا ... ويكســـــــــو غيري كسوة البرد والحرّ
فو الله لا صليت ما عشت عاريا ... عشاء ولا وقـــت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح إلّا يوم شمس دفيئة ... وإن غيمت فالويل للظهر والعصر...إلخ.

منالهم بعد تغير حالهم بعد ما كانت سيول نوالهم تغني عن الغيوم في سِني القحوط، وهو جمع قحط: أي قحوط المطر بيبسه وقلته بسبب صرفه عن الخلق؛ لأجل ذنوبهم وظلمهم.

والقحط جند من جنود الله يؤيد به أنبياءه، ويؤدب به أعداءه، كما في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم لما استصعبت عليه مضر وردَّت عليه أمر ربها قال: «**اللهم أعني على مُضَرَ بسبْع كسبْع يوسف**». وفي رواية: «**اللهم اشدُدْ وطْأَتَكَ على مُضَر، واجعلها عليهم سِنينَ كسنينِ يوسف**». فأصابتهم سنة حصت الأموال حتى أكلوا الميتة والعظام والعَلْهَز[1] وحتى صار الرجل منهم ينظر إلى السماء فيرى كهيئة الدخان من الجهد.

قوله: (**ربّ قوى**)، **فرُبّ** عند جمهور البصريين حرف موضوع لإنشاء التقليل، وقد تستعار للتكثير في مقام الافتخار كثيرا، واستدلوا على حرفيتها بأنها لإنشاء التقليل، والأصل في الإنشاء أن يكون بالحروف، كما في الاستفهام والأمر والنهي والنداء، ولذلك لزمت الصدر فلا تدخل عليها العوامل، ولو كان اسما لدخلت حروف الجر عليه، كما تدخل على الخبرية، فلا تقول: بِرُبّ رجل أكرمت، ولا غلام رب رجل ضربت، كما تقول: بكم رجل مررت؟ وغلام كم رجل اشتريت؟. وعند الأخفش والكوفيين هو اسم موضوع لإنشاء التقليل، كما أن كَمْ اسم موضوع لإنشاء التكثير، وهما مضافان للنكرة بعدهما. وإنما لم تدخل العوامل اللفظية على (رب) ولا عمل فيها ما بعدها، كما دخلت على (كم)، وعمل فيها الفعل بعدها؛ لأن (رب)، لما وضعت لإنشاء التقليل ضارعت أدوات النفي، وفي لزوم الصدر، وعدم دخول حروف الجر عليها، وعمل ما بعدها فيها، بل لزمت الابتداء؛ لأن عمله معنوي، فهي دائما عندهم مبتدأ لا خبر له، كما في قولهم: أقل رجل يقول ذلك إلا زيدٌ، إذ معناه: ما رجل يقول ذلك إلا زيد.[2] ومثله قول المتنبي (**من البحر المديد**):

---

[1]– العلهز: هو الدم مع الشعر ييبس ثم يدق في الشدة ويؤكل وسبق ذكره.م.

[2] – جاء في شرح التسهيل لابن مالك281/2: " ومن النفي المؤول: قلّ رجل يقول ذلك إلا زيد، بمعنى ما رجل يقول ذلك إلا زيد، وكذا أقلّ رجل (يقول) ذلك إذا قُصِد به النفي".

غَيْرُ مَأَسُوفٍ عَلَى زَمَن ... يَنقَضِي بِالْهَمّ وَالحزَنِ.[1]

والمعنى: لا تأسف على ما هذه الصفة صفته، فلما استقام المعنى بدون وجود اللفظ ولم يتوقف على تقديره وجب الاستغناء عنه كما في قولهم: أقائم الزيدان؟ وذلك أن قولنا: رب رجل لقيته، قليل من هذا الجنس. وكثيرا ما تطلق القلة ويراد بها النفي لاستلزامها إياه، ولذلك كان لها الصدر، ولا يتقدم عليها عامل لفظي، فوجب أن يكون المعنى: ما لقيت من هذا الجنس إلا رجلا واحدا؛ لأنه جواب لقول من قال: هل لقيت أحدا؟ وهذا المعنى تام في نفسه من غير أن يتوقف على تقدير شيء.

لكن (رب)، لما كانت تستعمل في معنى الكثرة على وجه الاستعارة كثيرا خرجت لذلك على معنى النفي، فجاز في مجرورها أن يوصف بجملة إسمية، كقول الشاعر:

"....يا رب هيجا هي خير من دَعَهْ".[2]

أو باسم مفرد كقوله صلى الله عليه وسلم: «**ربّ كاسيات في الدنيا عاريات يوم القيامة**».[3]

والأكثر الأفصح في كلامهم أن يوصف مجرورها بجملة فعلية مراعاة لأصلها وإن استعيرت للكثير، كقول امرئ القيس **ـ (من الطويل)**:

ألا ربَّ مكرُوب كَررتُ وراءَه ... وطَـاعنتُ عـنـهُ الخيلَ حتى تنفّسـا.

(قولي): مجرور برب على أنها حرف جر وهو مذهب سيبويه والبصريين، وبالإضافة إلى مذهب الأخفش والكسائي والكوفيين. **(آض)**: فعل ناسخ، **(القِواء)**: اسمه. و**(غمى)** خبره،

---

[1] – الشاهد: قوله: "غير مأسوف على زمن" حيث استغني عن خبر المبتدأ بنائب الفاعل. "فغير": مبتدأ، وهو مضاف. و"مأسوف": مضاف إليه. "على زمن" جار ومجرور متعلقان بـ"مأسوف" على أنه نائب فاعل سد مسد خبر المبتدأ. والبيت ينسب أيضا لأبي نواس. كما ذكر ابن هشام في مغني اللبيب ص886.

[2] – هذا عجز بيت للبيد بن ربيعة العامري وصدره:

"أكل يومٍ هامتي مقزعه ...يارب هيجا هي خير من دعه.."

وبعده أبيات هجاء مقذع للرّبيع قالها عند النعمان بن المنذر ليبغضه إليه وقد كان له ما أراد. إظهار المبتدإ "هي خير" انظر جمهرة الأمثال للعسكري 117/2، والتذييل والتكميل لأبي حيان 37/10.

[3] – مسند أحمد ح: 26545، والترمذي ح: 2196، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

والجملة الفعلية صفة لمجرور (**رب**)، والباء من **به**: سببية، والضمير راجع على **قوى**. **وقد**: حرف تحقيق. (**كان**): ناقصة، اسمها (**غماء**). (**منهم**): شبه جملة في محل خبرها. و**القحوط**: جمع قحط مضاف لمحذوف دخل عليه حرف الجر، وهو زمن القحوط متعلق بالكون.

وهو مقتبس من قوله تعالى: **{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ} [الروم: 42]**. ففي ذلك زاجر لكم عن الانهماك في شهوات الدنيا والاغترار بعزها، فإنهم كانوا كما كنتم، بل أشد قوة وآثارا، وستعودون كما عادوا، وتبيدون كما بادوا.

***

باب: مـا يكسر فيقصر ويفتح فيمد مع اختلاف المعنى

يعني أنه إذا كُسر قُصر ولا يمد، وإذا فتح مد فلا يقصر، فغاية المكسور أن يكون مقصورا، وغاية الممدود أن يكون مفتوحا، فلا مد لمكسور، ولا قصر لمفتوح، فهو عكس الباب الذي قبله؛ لأنه قدم في هذا الباب المكسور فقصره، وأخر المفتوح ومده. **فقال رحمه الله:**

88-[سِوَى مَسْلَكِ الأَبْرَارِ يَمّمْ سَوَاءَهُ فِدَاكَ نَفُوسٌ عَافَهُنَّ فَدَاءُ].

قوله: (سِوى)، بالكسر والقصر: عبارة عن نفس الشيء أو عينه، وهي لغة نادرة من باب تسمية الشيء باسم نقيضه لم تسمع إلا في الشعر كما قيل[1] **. (من بحر الرجز)**:

كأنّها نائحةٌ تَفجَّعُ ... تبْكي لمَيْتٍ وسِواها المُوجَعُ

أي: نفسها موجعة، ومنه قول **حسان بن ثابت . (من بحر الطويل)**:

أتَانا ولمْ نَعْدِلْ سِوَاهُ بِغَيْرِه فجُدْنا له بالنّفس والمَال والنّسل.

أي: لم نجعل لنفس النبي صلى الله عليه وسلم عِدْلا، أي مساويا يماثِلُه في المودة والإكرام والطواعية. والعدل بفتح العين وقد تكسر: أحد جانبي الحمل، والحمل بالفتح أيضا، وقد تكسر، قال الله تعالى: **{وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ} [يوسف: 72]**. قال المبرد: إذا أريد به عدل الحمل فتح، وإذا أريد به إحدى الغَرارتين كسر.

و**سَواء** بالفتح والمد: وسط الطريق. قال موسى عليه السلام: **{عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ} [القصص: 22]**. وقال الله تعالى: **{فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ} [الصافات: 55]**.

و**الفداء** بالكسر والقصر: جمع فدية، وهو ما يفتدى به. قال الله تعالى: **{فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [الحديد: 15]**.

[1] – الرجز لابن الأعرابي كما في نضرة الإغريق في نصرة القريض للمظفر بن المفضل ص2.

وقال صلى الله عليه وسلم: «**لا فدية في الإسلام ولا سباء**».[1]

وقوله: (**فداك**) يحتمل أن يكون منصوبا على أنه مفعول لجعل محذوف، و**نفوس** مفعوله الثاني، فتقول: جعل الله فداك نفوسا، وهو مصدر بمعنى الدعاء، فتقول: فداك بالإضافة، وتقول: فِدىً لك، فإذا أضيف عمل فيما بعده، ربما جيء به بدلا من فعله، ويكثر ذلك في المصادر اللائي بمعنى الدعاء، كقول الخنساء بنت الشريد . (**من بحر الوافر**):

فِدىً للـفـارسِ الـجُشْـميّ نفـسِي وأفْـدِيـهِ بمـا لي من خَلِيـل.[2]

ومنه: سُحقا وبُعدا وجَدعا وسُقيا وغَوثا ورَيثا وخُبثا، ولا كرامة وتَبا ورُويدا ومَهلا وسَهلا وأهلا، إلى غير ذلك، وإن شئت رفعت (**نفوس**) على أنها فاعل للمصدر المحبوس بالإضافة، كقول الشاعر[3] . (**من بحر البسيط**):

أَفْنَى تِلادي وما جَمَّعْتُ من نَشَبٍ ... قَرْعُ القَواقِيزِ[4] أَفْواهُ الأَبَارِيق.

على القول برفع أفواه وهو مذهب المبرد وابن جني، وهو مشكل، وإن شئت قلت: **نفوس** مبتدأ مؤخر، و**فداك**: خبره، وسوغ الابتداء به كونه موصوفا. وكثُر التفدي حتى صار الرجل يقول لصاحبه إلي أو هلم يا فديتك، ويا فديَّ لك، وربما استغنوا عنه بمتعلقه، فيقتصرون على قولهم بأبي أنت، أو بأبي أنت وأمي، وربما اقتصروا على بأبي، ويقولون: فداك أبي، ولا يفدى

---

[1] – لم أقف على هذا الأثر مرفوعا وإنما أورده الحميري في الروض المعطار في خبر الأقطار ص233. من كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

[2] – البيت يروى "وأفديه بمن لي من حميم" ومعه أبيات ولها قصة وخلاصتها كما جاء في خزانة الأدب للبغدادي 449/5 "قَالَ أَبُو عُبَيْدَة: ثمَّ إِن أن قيس بن الأمرار الْجُشَمِي قتل قَاتل مُعَاوِيَة وهو هَاشم بن حَرْمَلَة فَقَالَت الخنساء فِي ذَلِك: فِدَاء الْفَارِس الجشميّ نَفسِي ... وأفديه بِمن لي من حميم..إلخ".

[3] – هو: الأقيشر الأسدى واسمه المغيرة. والبيت من قصيدة له كما في الأغانى 11/ 251.

[4] . القواقيز: الأقداح التى يشرب بها الخمر وغيرها من الأشربة، واحدها: قاقوزة، وهو القدح الضّيّق الأسفل.

عندهم إلا السري،[1] والمفدون: سعد بن أبي وقاص الزهري، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم، وبشر بن الحارث الأنصاري، وعلي يوم قتل عمرو بن عبدود.[2]

أي: وقاك من كل مكروه يجري به الزمان بنفوس خبيثة **(عافَهُن)** عن تَيَمُّمِ، أي قصد سبيل كل بر من السلف والخلف المشمرين خوف الوقوع في التلف، **(فَداء)** بالفتح والمد: كل مائدة وضع عليها ألوان من الأطعمة مما يَتباهى به من لا خلاق له من التمر والعسل والثريد والسكر والزبيب، وربما صفروا بعضه بالزعفران. قال الشاعر[3] **. (من بحر الوافر)**:

كأنَّ فداءه إذ جرّدوهُ ... وطافوا حولهُ سلكٌ يتيمُ.

وفيه من البديع التجريد، وهو أن يجرد الإنسان من نفسه شخصا يخاطبه، فكأنه يقول له: أيها الأخ في الله، انتخب نفس **مسلك الأبرار**، والمسلك: هو الطريق الأرحب. والأبرار: الأخيار من كل جيل، واحدهم بَرٌ، بغير ألف، ولا تقتصر على مجرد السلوك، بل **يَمِّم**، أي: اقصد وسطه، وكن من خيار أهله، ولا يمنعك من ذلك ما منع اللئام المنهمكين في طلب ما ضمن لهم، المقصرين في تحصيل ما وكل إليهم. قال ابن عطاء الله: اشتغالك بما ضمن لك، وتقصيرك فيما طلب منك دليل على طمس البصيرة. نسأل الله أن يعافينا من ذلك.

والبيت مقتبس من قوله تعالى: **{وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 115]**. ولما تبرأت الروافض، وقالوا لابن عمر، وقد حاورهم: نبئنا

---

[1] –السري: السيد، والنهر الصغير. / السريّ معناه في كلام العرب: الرفيع. ومعنى: سَرُوَ الرجل يَسْرو فهو سَرِيٌّ: ارتفع يرتفع فهو رفيع. انظ: أبو بكر الأنباري / الزاهر في معاني كلمات الناس / 1 / 377. (قولهم فلان سري من الرجال).

[2] – فدى النبي صلى الله عليه وسلم عليا يوم قتل عمرو بن عبدود في الخدق، وسعد فُدي يوم أحد، وفاطمة رضي الله عنها في مناسبات عدة.م.

[3] – القائل أبو عمرو الشيبانى كما ذكر القالي في المقصور والممدود ص356. ولفظ البيت..."سلف يتيم" والسلف: طائر, واليتيم المنفرد. قال أبو على: السلف والسلك: الذكر من أولاد الحجل, والفداء: موضع التمر. ومعنى البيت أنه شبه قلة تمرهم فى فدائهم, وهو موضع تمرهم بسلف يتيم أى منفرد.

بما يدل على وجوب توليهم من كتاب الله؛ فقال لهم قوله تعالى: **{وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} [النساء: 115]**، إلى آخر الآية، فأُفحِموا؛ فتاب من تاب منهم[1].

(عافهن فَداء): فعل وفاعل، والضمير مفعول به والجملة الفعلية نعت **لنفوس**.

فإن قلت: مما اشتق الفداء؟ قلت: من الفد، وهو رفع الصوت بالدعوة به، وقيل لرفع أصوات رعاع الناس وغنائهم حوله. ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «**الكبرُ والخُيلاءُ في الفدادين أهلِ الوبَر**».[2] وقال الشاعر[3] **(من بحر الوافر)**:

إذا ما جئتَ حيَّهـم بخصْب تجدْ أغنامَهم ولها فَدِيدُ

ثم قال رحمه الله:

89-[وَحِدْ عَنْ عِنَى الأَهْوَاءِ تُكْفَ عَنَاءَهَا فَعِزُّ الْعِزَى أَنْ يُسْتَدَامَ عَـزَاءُ] .

قوله: **حِد**، أي: مل وانحرف. قال تعالى: **{وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ} [ق: 19]**. أي: تنفر وتفر. **عن**: حرف جر متعلق بحد. و**عِنى** بالكسر والقصر: حافة الشيء وناحيته، والقصد إليه، تقول: عنيت كذا: قصدته دون غيره. و**العَناء** بالفتح والمد: التعب. و**العِزى**، بالكسر والقصر: جمع عزة، وهي الفرق الضالة، قال الله تعالى: **{عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ} [المعارج: 37]**. و**العَزاء**، بالفتح والمد: الصبر، وإذا أطلق فهو التصبر عن الميل. قال الشاعر[4]. **(من بحر الطويل)**:

تَعَزَّ فَلاَ شَيْءٌ عَلَى الأَرْضِ بَاقِيَا ... وَلاَ وَزَرٌ مِمَّا قَضَى اللهُ واقِيَا

---

[1] – المشهور قصة مناظرة عبد الله بن عباس لهم ولعل الشيخ يقصدها فقد أخرجها النسائي في الخصائص بطولها وفي الأوسط للطبراني من طريق أبي السائغة عن جندب بن عبد الله البجلي وغيرهم.

[2]– حديث " الكبر والخيلاء إلخ "، حديث صحيح، تقدم .م.

[3] – لم أقف عليه، والفديد في البيت الصوت.

[4] – البيت من شواهد النحو المشهورة في إعمال لا مجردة من التاء عمل ليس. في قوله "(لا شيء باقيًا) و (لا وزر واقيًا) حيث أعمَل (لا) النّافية عمل (ليس) في الموضعين، واسمها وخبرها نكرتان. والوزر الملجأ، ولم أقف عليه منسوبا.

قوله: (**فعِزُّ العِزى**): وهو الانتساب إلى مذهب من المذاهب، إما أن يكون إلى آباء الحق والحقيقة من **{الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ} [النساء: 69]**، ولا يتوصل إلى ذلك إلا بالعزاء الذي هو الصبر بأنواعه الثلاثة[1] فيحصل حينئذ عز الاعتزاء بسبب كونك محقا غير مبطل؛ إذا المنتسبون، منهم محق وهو المقتفي المصابر الصابر، ومنهم المبطل، وهو المدعي المخلف المدابر، ومنهم المقتفي لأهل الأهواء، الطالب للهباء، فسعيه باطل وقصده عاطل، وهم أهل الأهواء الذين يتبعون ما سولت لهم به أنفسهم من غير هدىً من الله .

ومعنى قول الناظم: وحد، أي: مل عن سبلهم إلى اتباع سنة الرسول، وصالح السلف تكف معاناتها، وتكف التعب والمشقة الناشئين عن تلك الأهواء عاجلا وآجلا، إذ هم قد تكلفوا من تلقاء أنفسهم ما لم يأت النبي به، ولا سنه أصحابه من بعده.

الإعراب: حد، فعل أمر. **عن عَنىً** جار ومجرور. **الأهواء:** مضاف إليه ما قبله، فالتقدير: حد عن الأهواء، أو عن طريق الأهواء؛ إذ الأهواء أمور معنوية لا يسند إليها بالاستقلال. **تُكْف:** مبني للمجهول، وهو جواب الأمر، نائبه مستتر. **عناءها:** مفعول لتكف ومضاف. **فعِز العِزى:** مبتدأ ومضاف إليه، والفاء سببية. **أن يُستدام:** أن مصدرية ناصبة ليستدام، وهو مركب للمجهول، ونائبه **عَزاء.** والجملة خبرية، فهو مبتدأ ثان لأنه يفهم من سياق الكلام، والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ، فهو في قوة قولك: عز العزى هو استدامة العزاء.

قال رحمه الله:

90-[وَذُدْ عَنْ زِنىً وَأْمُرْ زَنَاءً بِطُهْرِهِ وَلَشَّ الْقِضَى اخْتَرْ إِنْ دَعَاكَ قَضَاءُ].

قوله: (وذُدْ)، أي: اكفف نفسك واقرعها واحبسها **(عن زِنى)**، وهو مباشرة ما لا يحل من معالجة النساء، سواء كان ذلك بالعين أو باليد أو باللسان أو بالرجل، ومن باب أحرى إن كان بالفرج، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**العين تزني، واليد تزني، واللسان يزني،**

[1]- الصبر له تقسيمات كثيرة لكن العلماء قسموه باعتبار متعلقه إلى ثلاثة أقسام: الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة. قال الشيخ عبد القادر الجيلاني في فتوح الغيب: (لا بد للعبد من أمر يفعله، ونهي يتجنبه، وقدر يصبر عليه) فهذه هي أقسام الصبر.

والرجل تزني، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه».[1] **والزِّنى** بالكسر والقصر، أما **الزَّناء** بالفتح والمد: فهو عبارة عن احتقان الأخبثين، قال صلى الله عليه وسلم: «**لا يصلين أحدكم وهو يدافع الأخبثين**»[2].

قوله: (**ولشَّ**)، أي: أكل. (**القِضى**)، بالكسر والقصر: جمع قضية، وهو ضرب من الحمض. وتركيب معنى البيت: ذد أيها المريد عن زنى نفسك، أو من أراده بالفعل إن قدرت، فإن لم تقدر بالفعل، فبالقول، فإن لم تقدر فاكْرَه ذلك بقلبك، وأمر شخصا حاقنا للخبث بطهارته، واختر أكل ما لا يتغالى الناس فيه زهدا، وتخفيفا وتعَفُّفا **كالقِضى** مثلا إن **دعاه**، أي: اقتضى أكله (**قَضاء**)، أي: حكم. تعريض بأن لم تجد شيئا سواه تأكله بدله، أو شرعي بأن لم تجد معه إلا حراما أو شبهة.

والمعنى: مر بالمعروف وانه عن المنكر، وتورَّع.

والبيت مقتبس من قوله تعالى: **{وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً} [الإسراء: 32]**. جعلنا الله ممن جعل أساس بنيانه على تقوى من الله، آمين.

ثم قال رحمه الله:

91-[وَأَكْلَ الرِّبَا احْذَر ذَا رِبَاءٍ وَإِنْ جِزىً وُلِيتَ فَوَالِ الْعَدْلَ يُسْنَ جَـزَاءُ].

قوله: (وأكل الربا احذر)، فأكل: منصوب بفعل مقدر قبله يفسره **احذر. الربا**: مضاف إليه ما قبله، وهو بالكسر والقصر: الزيادة في المال على وجه لا يرتضيه الشارع، قال الله تعالى: **{يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ}** [البقرة: 276]، فالمعنى: أن الربا ولو زاد المال فيما يرى الناس ظاهرا، فإن الله يمحقه، ويمحق الأموال التي خالطها بذهاب بركتها أولا وقطع شأفتها واجتثاثها من أصلها آخرا.

---

[1]- متفق عليه أخرجه البخاري ح: 6243، ومسلم ح: 2657.

[2]- صحيح، رواه ابن حبان بهذا اللفظ ح: 2074 إلا أنه قال: (يصلي)، بدل يصلين. كما رواه مسلم ح:560 بلفظ «لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ»".

قوله: (ذا رِباء)، بالمد والفتح: أي، حالة كونك صاحب فضل، أي: غنى. **والجِزى** بالكسر والقصر: جمع جزية، وهو ما تأخذه الولاة على الرعية من زكاة أموال المسلمين، والمغرم وخمس الركاز، وما يؤخذ على أهل الذمة. و**الجَزاء** بالمد والفتح: ثواب الأعمال خيرا كان أو شرا، قال تعالى: **{وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} [الشورى: 40]**، وقال: **{وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا} [الإنسان: 12]**، وقال: **{وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ} [سبأ: 17]**.

وتركيب معنى البيت، فكأنه يقول: اجتنب أكل الربا في حال كونك ذا فضل، أي: غنى، قال تعالى: **{وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى} [النور: 22]**. وهذا مما يُفْهِمه قوله في البيت الذي قبله: (... **وَلَشَّ الْقِضَى اخْتَرْ إِنْ دَعَاكَ قَضَاءُ**). فيكون هذا تأكيدا لذلك المفهوم، ويسمى مفهومه تذييلا.

قوله: (وإن جزى وُليت)، أي: جعلت واليا على قبضها ممن تجب عليه، أو على جعلها في مواضعها، فوال العدل، أي: تابعه والزمه ولا تحد عنه: بأن لا تأخذها إلا ممن تجب عليه بحسب الحال، ولا تدفعها إلا لمن يستحقها.

ومعنى البيت بديهة: تورعْ في مأكلك فلا تأكل إلا طيبا واعدل فيما وليته يعظم جزاء أعمالك على قدر ذلك في الدار الآخرة. وقوله: **(يُسْنَ)**، مضارع أسناه، أي: رفعه، وهو مبني لما لم يسم فاعله مجزوم بحذف آخره لكونه جواب الأمر.

ثم قال رحمه الله:

92-[وَحِجْلى وَحَجْلاَءَ اجْتَنِبْ لَعِباً بِهَا فَـمُعْطِي الإِلَى إِنْ أَبْطَرَتْهُ أَلاَءُ].

فالحِجْلَى، بالكسر والقصر: جمع حجلة، وهو طائر مرقم جميل يتخذه المترفون للهو، وهو من أضعف الطير طيرانا وألينه عريكة لكونه لا يتسَبَّع ولا يمتنع لضعفه. قال الشاعر[1] **. (من بحر الكامل)**:

[1] – هو: عبد الله بن الحجاج الثّعلبي، من قطعة يخاطب بها عبد الملك بن مروان، ويعتذر إليه من صحبته لعبد الله بن الزبير كما في شرح الشواهد الشعرية لمحمد شراب، الشاهد: 231.

ارحمْ أُصَيْبِيّتي الذينَ كأنّهم ... حَجْلى تدرّجُ في المدكّةِ أو تقعْ.

وهي التي مثل الرواة بزرّها خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو قرطمها والقرطم[1] شيء يعلوا خياشمها كأنه رقم، وفيه نقط دقيقة كأنها وخز الإبر. **(والحَجلاء)**، بالمد والفتح: الدابة البيضاء القوائم وسائر جسدها بخلاف ذلك. **والإِلى**، بالكسر والقصر: مفرد النعمة، وجمعها آلاء.

والآلاء بالفتح والمد: كل ما حسن منظره ومطعمه كشجر الدفلى.[2] **والبطر**: استعمال النعمة فيما يجر النقمة، أو التطاول بها على القرناء على وجه الفخر والازدراء والفرح بها بدون أداء واجبها، أو التكبر بها عن اتباع من أوجب الشرع اتباعه، وحقيقة البطر: الكبر والأشر، يقال: أبطرته النعم إذا أطغته.

فكأنه يقول اجتنب اللعب بما يلهيك من الطير **كالحِجلى** مثلا، ومن النعم **كالحَجلاء** مثلا، فإن ذلك لا يجتمع مع شكر ما أنعم الله به عليك مما لا يحصى، بل هو محض بطر بسببها، إذ لولاها، لم يكن له لعب البتة؛ فالأولى به شغل خاطره بأداء شكرها الواجب عليه المقتضي لدفع العذاب عنه، وإدمانها عليه مع المزيد الموجب لزيادة الشكر وسرمدة الذكر.

والبيت مقتبس من قوله تعالى: {**أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ*أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ**} [الأعراف: 97، 98]، فجعل الله اللعب سببا لإتيان العذاب، أو لأن أحوال من استوجب العذاب اللعب.

***

[1] – يطلق القرطم على الحب والقرطمتان: نقطتان على أصل منقار الحمام كما في القاموس: قرطم.

[2]– الدفلى بالفاء: شجر زهره كالورد الأحمر وحمله كالخروب، والعرب تقول هو «امر من الدفلى وأحلى من العسل». انظر المقصور والممدود لأبي علي القالي ص194.

باب: ما يقصر فيكسر ويمد باختلاف المعنى"1"

أي هذا الباب الذي يكسر أوله ويختلف آخره بالقصر والمد، كما يختلف معناه فيجتمعان في الكسر، ويختلفان في المعنى.

94-[وَرُبَّ حِمىً ضَاقَ الْحِمَاءُ بِهِ عِفاً فَـأَقْفَـرَ حَتّى لَيْسَ فِيهِ عِفَـاءُ].

قوله: **رُبّ**، قد تقدم بيانه. **حِمىً** بالكسر والقصر: المكان المحمي؛ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «**ومن ترك الشّبُهات فقد استبرأ لدينه وعِرضِه، ومن وقعَ في الشّبُهاتِ كان كالرّاعِي يرعَى الحِمَى يُوشِكُ أن يقعَ فيه**».[2]

والحِماء، بالكسر والمد: المحاماة والممانعة. و**العِفى**، بالقصر: جمع عِفوة بكسر العين، وهي الخيار من كل شيء، و**العِفوة** الذي هو مفرد هذا الجمع جمع أيضا مفرده: عَفو، قال تعالى:

---

[1] . قبل هذا الباب ترك الشيخ رحمه الله بيتا من الباب الذي قبله لم يشرحه، ورد في بعض نسخ المتن وهو:

93-[وَلاَ تُلَهِكِ المِعْزَى بِمَعْزَاءَ وَاعْتَبِرْ بِذِفْرَى وذَفْرَاءٍ فَذَاكَ وَفَاءُ].

أي لا تشغلك (**المِعزى**) وهي خلاف الضأن (**بِمَعْزاء**) أي بمكان صلب تقول مكان أمْعَز، وأرض مَعزاء جمعها مُعْزٌ وقد قال الشنفرى في لاميته: "إذ الأمْعَزُ الصَّوان لا قى مناسمي*تطايرَ منه قادح ومُفَلّل".

(**واعتبر**) أي اتعظ (**بذِفْرى**) الذِّفرى: العظم الشاخص خلف الأذن في الحيوان قال عنترة بن شداد:

"ينباعُ من ذِفْرى غضوبٍ جسْرةٍ *زيّافةٍ مثل الفنيقِ المكْدمِ".

وقالَ كَعْب بن زُهَيْر:

"مِن كلّ نَضّاخة الذِّفْرَى إذا عَرِقَتْ * عُرْضَتُها طامِس الأعْلامِ مَجْهولُ".

والذَّفْرةُ: النَجيبةُ الغليظةُ الرَّقَبة. والذَّفرْ: القويُّ الشديد. كما في العين. (**وذَفْراء**) بالفتح والمد: بقلة كريهة الرائحة لا تكاد المواشي تأكلها بل تعافها لنتن ريحها. وقد يطلق ذلك على الريح الطيبة ومنه قول الرَّاعِي يَصِفُ الْإِبِلَ:

"لَهَا فَارَةٌ ذَفْرَاءُ كُلَّ عَشِيَّةٍ *كَمَا فَتَقَ الْكَافُورَ بِالْمِسْكِ فَاتِقُهْ"

فيطلق الذفر إذا على كُلّ رِيحٍ ذَكِيَّةٍ شَدِيدَةٍ مِنْ طِيبٍ أَوْ نَتْنٍ. والمعنى أن العاقل اللبيب لا ينشغل بالعرض الفاني اعتبارا بما يؤول إليه كل ذلك جيده ورديئه، نتنه وطيبه. وإلا فسد حاله وعيف كما تعاف الذَّفرى وهي البقلة النتنة ويفسد حاله إن عاجلا أو آجلا فإن اعتبر بحال تلك الأعراض كان ذلك هو مقتضى العقل ومحض الوفاء.

[2] – جزء من حديث متفق على صحته، رواه الستة، وأوله عندهم " الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهة ". وآخره: " يوشك أن يواقعه"، وهذا لفظ البخاري، وهو عنده في كتاب البيوع، والله أعلم.م.

{**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ**} [البقرة: 219]. و**العِفاء**، بالكسر والمد: كل ما طال وكثف من الوبر والشعر وريش النعام، قال زهير **. (من بحر الوافر)**:

أذلك أم أقبُّ البَطْنِ جَأْبٌ ... عليه من عَقيقته عِفاءُ.

فكأن الناظم يقول: رب مكان محمي عن الناس ضاقت المحاماة والممانعة فيه لأجل خيار أمواله لكثرتها، أي: لم تسع المحاماة جميعها لإفراط كثرتها، فأقْفر بعد ذلك المكان المحمي، أي: صار خلاء من جميع ما كان فيه من دثر حتى من الشعر والوبر.

فحِمى: مجرور **برُبّ** لفظا مرفوع بالابتداء، وجملة: **(ضاق)**، صفة له، وجملة: **(فأقْفر)**، خبر عنه، وصدرت بالفاء لإبهام المبتدأ لكثرة دخول الفاء عليه، فأشبه الشرط لذلك.

وأتى بالبيت تنبيها على أن الدنيا وإن كثر حطامها، فإنها سريعة الانقلاب وشيكة الذهاب مهيأة للخراب.

ثم قال رحمه الله:

95-[وَكَمْ بِاللَّوَى مِنْ ذِي لِوَاءٍ وَذِي بِنىً عَلَيْهِ لأيْدِي الْحَادِثَاتِ بِنَاءُ].

فاللوى: يقال لما بين رمال عالج وبلاد نجد، وهو منقطع الرمال. و**اللواء**، بالمد والكسر: كل ما استطال من الأعلام، وإذا كان مربعا يقال له الراية، ولم تكن في قديم الزمان، وإنما ابتدأها شداد بن عاد، فهو أول من اتخذ الرايات والألوية، وأول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام: عقده لأبي عبيدة بن الجراح، وكان لا يوصف بحمل اللواء حقيقة أو مجازا إلا الكريم المنتخب.

و**البِنى** بالقصر والكسر: جمع بِنية بكسر الباء وقد يضم: ما بنيته، و**البناء**، بالمد: المبنى.

فكأنه يقول كثير من صاحب راية كالأمير في منقطع الرمل، أي: مدفون في التراب، وكثير من صاحب أبنية ومصانع كالقصور والمنارات في حال كونه عليه بناء بأيدي الحادث، أي: هالك مع الهالكين، غير متمتع بما بناه مما صار لسواه من بعد رداه.

فكم: مبتدأ، و**باللوى**: خبره، و**الباء** بمعنى في. (**ومن ذي لواء**): نعت لكم. **وذي بنىً**: معطوف. وجملة (**عليه بأيدي الحادثات**): حال من الضمير المستتر في الخبر، أي: كم من شريف كان مولى اللواء في حال كونه عليه بأيدي الحادثات بناء.

وفي البيت من البديع الاقتباس، وهو مقتبس من قوله تعالى: **{أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ} [الشعراء: 128، 129]**.

ثم قال رحمه الله:

96-[وَكَانَ ثِناً يَثْنِي الثِّنَاءُ بِسَيْبِهِ قِناً وَلَدَيْـهِ فِي الْحُرُوبِ قِنَـاءُ].

قوله: (**وكان**)، أي: ذلك الذي باللوى، وعليه بأيدي الحادثات بناء مشيد عظيم المنزلة مواليا للسيد الأعلى كالخليفة مثلا.

وصفة **الثنا**: أنه يثني، أي: رد (**الثِّناء**)، أي عقال العدم[1]. و**الثناء**: عقل البعير من يديه جميعا عن قصده. (**بسيبه**)، أي: عطائه، وكان أيضا (**قِناً**)، أي: مرضي الأحوال. وكأن هذا البيت متضمن معنى البيت الذي قبله وهو نوع من البديع.

قوله: (**ولديه**)، أي: عنده رماح في الحروب لكثرة أعوانه وأنصاره وأتباعه، أي: أهل (**قِناء**) يحمدونه، فلم ينفعه شيء من ذلك في دفع الحادثات التي بنت عليه بناء بأيديها. فجملة (**وكان ثنا**)، حال، كجملة (**ولديه في الحروب قناء**)، الأولى حال من ضمير الجملة التي قبلها وهو ضمير الاستقرار محذوف، ويصح أن يكون من الضمير الذي اشتملت عليه، وهو مجرور بعلى، والثانية من (**ثِناً**)، وأما **قِنا**، فيصح أن يكون خبرا بعد خبر، ويصح فيه أن يكون حالا من الخبر، **فالثِّنا**، بالكسر والقصر: السيد الذي يلي السيد الأعلى. و**الثِّناء** بالمد والكسر: العقال من اليدين، و**القِنا**، بالقصر: مصدر قَنِيَ الرجل: إذا ارتُضيت أحوالُه وأقواله. و**القِناء**،

[1] – جاء في اتفاق المباني واختلاف المعاني لسليمان تقي الدين الدقيقي ص103"الثّنَاء عقال الْبَعِير وَغَيره وَالثنَاء أَيْضا جمع الثني من الْبَهَائِم وَكَذَلِكَ الثنيان فَهَذَا مَا اخْتلف لَفظه وَمَعْنَاهُ". وثِنَاءُ عِقَالِ البَعِيْرِ ونَحْوِه إذا عَقَلْتَه بحَبْلٍ مَثْنِيّ. وكلمة العدم لم أتبين معناها هنا ربما القدم.

بالمد جمع قناة، وهي العوالي التي تجعل عليها الألوية، ويقال لها أيضا: الحراب. قال الشاعر[1] . **(من بحر الطويل):**

فمَا مُنِعَت دارٌ وَلَا عَزّ أَهْلُهَا ... مِنَ النَّاس إلاّ بالقَنا والقَنابِلِ.[2]

وهي التي يجعلون على جرابها أغشية وعلى أواخرها الزجاج.[3]

ثم قال رضي الله عنه:

97-[بَهِيجُ الرِّدَى عَضْبُ الرِّدَاءِ مُؤَمَّلاً مِـلاَهُ مِنَ الْـفـعْل الْجَمِيلِ مِـلاَءُ].

قوله: (**بهيج**)، أي: الحسن. (**الردى**)، بالقصر: جمع رِدْية، بالكسر: وهي هيئة المرتدي، أي: اللابس. **الردى** و**الرداء**، بالمد هنا: السيف. قالت الخنساء **.** (**من المتقارب**):

وداهيةٍ جـرّهـا جَارِمٌ جَـعـلْتَ رداءَكَ فـيـهَا خِـمـارا.

أي: علوت رأسها بسيفك، كذا ذكره الناظم في تفسير الأزهري[4]. و**الملى**، بالقصر: جمع مِلاة، بالكسر: وهي المدة، ويجوز فيها ضم الميم، فجمعها حينئذ مُلا، بالضم. و**المؤمل**: المرجو. و**الملاء**، بالمد هنا: جمع ملأى مذكرها ملآن كغضبى وغضبان، فكأنه يقول: كأن من ذكر حسّن هيئته لبسُه **الردى**. **عضب الرداء**، أي: السيف مرجو الفضل أوقاته مملوءة من الفعل الحسن، **فيهيج الردى كعضب الرداء**: أخبار متعددة، وهكذا **مؤملا**، ويصح فيه أن يكون حالا من ضمير آخر بتقدير (هو).

فالبيت يقتضي التشمير وعمارة الأوقات بأفعال الخيرات: من ذكر وصلاة وجهاد وبذل وتحسين هيئة وإرشاد، قال الله تعالى: **{إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا} [المزمل: 7]**، أي: تقلبا في أفعال الخيرات: من تعليم جاهل، ورفعة خامل، وإرشاد ضال، ونفع معدم، ومواساة

---

[1] – هو: الطرماح بن حَكِيم كما في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ص77. والحماسة المغربية 1240/2.

[2]– القنابل: الطائفة من الناس، أو الخيل. م.

[3]– الزجاج بالكسر: الحديدة التي في أسفل الرمح. م.

[4] – قال الأزهري في تهذيب اللغة 120/14 بعدما أورد البيت: "أي علوت بسيفك فيها رقاب أعدائك كالخمار الذي يتجلل الرأس".

مغرم، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، ونوم ينشط للعبادة، وأكل ليتقوى عليها، وصوم ليكف نفسه عن مألوفاتها، وإفطار ليستجم،[1] فينبغي للإنسان أن يأتي من كل طاعة الله؛ لأن الله تبارك وتعالى خبأ رضوانه، فلعله يصادف رضوانه في بعضها فيسعد السعادة الأبدية، كما خبأ اسمه الأعظم في أسمائه، وكما خبأ الصلاة الوسطى في الصلوات، وساعة الإجابة في الجمعة، والأولياء في عباده، وليلة القدر في الليالي، وذلك كله بحسن النية وتصحيح العقد.

ثم قال رحمه الله تعالى:

98-[وَكَمْ مِنْ حِذىً نَالَ الْعُفَاةُ حِذَاءَهُ وَبَيْنَ الْعِدَى مِنْهُ اسْتَمَرَّ عِـدَاءُ] .

الحِذى، بالقصر: جمع حِذوة، وهو ما يهبه الغانم من الغنيمة لمن احتذاه، وكانت العرب تعد عدم احتذاء المحتذي من الغنيمة لؤما.

وفي ذلك يقول الشاعر[2] **. (من بحر البسيط)**:

لا يَحتَذِي منهم الحاذِي إذا قَدِمُوا مِنْ غَـزْوِ نَـاحِيةٍ ولا يُـواسُـوه.

و**الحِذى** أيضا جمع حذية، بالياء، وهي قطعة من لحم تقطع طولا، و**الحِذاء** بالمد: الإزاء، وهو من ظروف المكان. و**العِدى**، بالكسر والقصر: جمع عدو، والعدى، جمع الجمع، والعداء بالمد: الموالاة في الطعن والضرب والرشق بالسهام. و**العفاة**: جمع عاف، وهم طلاب المعروف كغاز وغزاة. فكم معناه الإخبار بالكثرة، وهي مبتدأ، خبره **نال العفاة**، و(**مِنْ حِذىً**): تمييز **لكم**. و**حِذَاءَه**: ظرف **لنال**. وجملة (**وبينَ العِدى منه...**) إلى آخره حال من ضمير **حذاءه** وإن كان مضافا إليه؛ لأن المضاف وهو حذاء مثل الجزء من المضاف إليه في عدم الانفكاك منه.

---

[1] – ليستجم، أي: ليستريح. م.

[2] – لم أقف عليه منسوبا، ومصدر أحذيت: إحذاء، ممدود على إفعال. واسم الفاعل: محذ، بكسر الذال، واسم المفعول: محذى بفتحها، على قياس الإعطاء والمعطي والمعطى، وإنما قيل أحذيته بمعنى أعطيته؛ لأن المعطى يحذو بالعطية حذو المعطي، ومعناه جعلت له الحذو. انظر تصحيح الفصيح وشرحه للمرزبان ص245.

فكأنه يقول: كثَّر من المواهب من مغانمه حتى نال، أي: استفاد طلاب المعروف إزاءه، والحالة أنه استمر، أي: ثبت واتصل موالاة الطعن بين أعدائه في حال كون ذلك كائنا منه.

ثم قال رحمه الله:

99-[فَأَفْنَى الإِنَى، مِلْءُ الأَوانِي إِنَاؤُهُ فَـمَـاتَ وَلَمْ يَنْفَـعْ غِنىً وَغِـنَـاءُ].

الإنى، بالقصر هنا: أحد آناء الليل، وهي ساعته، فيقال لساعات الليل: آناء، كما يقال لساعات النهار أطراف، وتسمى أيضا ساعات الليل زُلَفاً. و**الإناء**، بالمد: واحد الأواني. و**الغنى**، بالقصر والكسر: ضد الفقر. و**الغناء**، بالمد والكسر: رفع الصوت بالألحان. و**الفناء**: الإعدام، تقول: فني الشيء كرضي، وأفناه غيره، تقول: شيخ فانٍ: أي، متغير لشدة هرمه. و**ملء** الشيء، بالكسر: القدر الذي يملؤه كالشِّبعِ، بالكسر: المقدار الذي يشبع، والشِّرب: مقدار ما يروي من الماء. قال الله تعالى: **{لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ} [الشعراء: 155]**، والفاء في قوله: فأفنى للترتيب اللفظي لا المعنوي.

وإناؤه: مبتدأ، و**ملء** الأواني: خبره، والجملة في موضع نصب على الحال من فاعل أفنى، وهو ضمير **(ذي لواء وذي بنى)**، المعبر عنه على قصد التزهيد في الدنيا، وترك التنافس فيها، لأن صيرورتها للفناء، ولا يفلح فيها إلا الزهاد.

فكأنه يقول: فأفنى من ذكر أزمنة، أي: أتى على آخرها، وإناؤه ملء الأواني كلها، أي: ولم ينفعه غناه ولا غناؤه، أي: رفع الأصوات عنده بالألحان لتطريبه، وذلك من شأن الرفاهية؛ فإنهم هم الذين يفتنون بالقيان الملهيات من الجواري المغنيات، مع أنها ليست في شيء من الردى والفناء بمُغْنِيَات، ولا قدر من الأقدار بمنجيات، بل هي حقيقة عين المرديات، ونفس المصيبات. وأما قوله: **(فأفنى الإنى)**، قال الأخفش عند قوله تعالى: **{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ} [الزمر: 9]**، أي طائع في جميع ساعات الليل، واحدها: أنا وأنوا وأنا. والزُّلَفُ: جمع زلفة، وهي إحدى ساعات الليل؛ لأن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، في كل ساعة ألف نفس بالنفس المتوسط فأول ساعات النهار الشروق، ثم البكور، ثم الغداة، ثم الضحى، ثم

الهاجرة، ثم الظهيرة، ثم الزوال، ثم القصر، ثم العصر، ثم الأصيل، ثم العشي، ثم الغروب، فهذه اثنتا عشرة ساعة للنهار.

وأما ساعات الليل: فأولها الشفق، ثم الغسق، ثم العتمة، ثم السدفة، ثم الجهمة[1]، ثم الزلفة، وهي عند السحور، وهي أفضل الساعات، ثم النزهة، ثم السحر، ثم الفجر، ثم الصبح، ثم الصباح، فهذه اثنتا عشرة ساعة لليل بالاستواء، فإذا زاد الليل نقصت من النهار، وإذا زاد النهار نقصت من الليل، فتنتهي الزيادة إلى خمس عشرة، والنقصان إلى تسع ساعات.

ثم قال رحمه الله تعالى:

100-[وَأَهْلَ الْحِبَى زَانَ الْحِبَاءُ وَلَمْ تَزِنْ لِحِيً يَزْدَهِي أَحْلاَمَهُنَّ لِحَاءُ].

قوله. **أهل الحبى**: أرباب الحبى، بالقصر: جمع حِبوة، بالكسر: وهي هيئة المحتبي: وهو المدير على ظهره وساقيه عمامة أو ثوبا، واسم تلك الشملة المدارة حُبوة، بالضم وهي من الهيئات التي قد نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة[2]. وقيل: نهى عنها مطلقا خوف التعري، وإذا كان صلى الله عليه وسلم نها عنها خوف التعري فإذا كان تحتها قميص أو إزار، أو سراويل انتفت الحرمة وبقي النظر في الكراهة. و**الحباءُ**، بالمد: العطاء بلا منٍّ. **ولِحِيً**، بالقصر: جمع لحية بالكسر. و**اللحاء**، بالمد: الملاحَّة[3]، أي: المسابَبَة. **والأحلام**[4]، جمع حِلم

---

[1] – هذه الساعات جميعا ومسمياتها ذكرها الثعالبي في فقه اللغة وسر العربية ص215. لكن قال "ثُمَّ السُّدْفَة. ثُمَّ الفَحْمَةُ. ثُمَّ الزُّلْفةُ. ثُمَّ البُهْرَةُ. ثُمَّ السَّحَرُ. ثُمَّ الفَجْرُ. ثُمَّ الصَّباحُ " فذكر الفحمة بدل الجهمة وهو الصواب فقد ذكرها ابن الأنباري أيضا في الأضداد فقال "ولشرب أَول اللّيل: الفَحَمة – ويقال: وهو شرب الليل إلى السَّحَر" والأزهري في تهذيب اللغة وغيرهم.

[2] – مما ورد في ذلك ما أخرجه الترمذي في سننه ح:514، عن معاذ بن أنس رضي الله عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الحَبْوَةِ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ) وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وفي صحيح مسلم، ح: 2099 من حديث جَابِرٍ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يَأْكُلَ الرَّجُلُ بِشِمَالِهِ، أَوْ يَمْشِيَ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، وَأَنْ يَشْتَمِلَ الصَّمَّاءَ، وَأَنْ يَحْتَبِيَ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ كَاشِفًا عَنْ فَرْجِهِ».

[3] – قال الخليل الفراهيدي في العين 279/3:" واللِّحاء والمُلاحاةُ: الملامة، كالسَّباب بينهم. واللِّحاء: اللّعنُ والعَذل، واللَّواحي: العواذل".

[4] – قال عبد العزيز المغربي في مثلث قطرب:" الحَلْمُ ثَقْبٌ فِي الأَدِيمْ***والحِلْمُ مِنْ خُلْقِ الكَرِيمْ
وَالحُلْمُ فِي النَّومِ النَّعِيمْ***بالصَّدْقِ أَوْ بِالكَذِبِ".

بالكسر، هي الأناة والعقل، ويجمع على حُلوم أيضا. و**الازدهاء** هنا: الاستخفاف. **وأهل الحبى**: مفعول به **لزَانَ**، أي: حسّن.

والمعنى: زان العطاء بلا مَنٍّ أهل الهيئات، وهم الذين يحتبون في مجالسهم في الأندية على هيئة مخصوصة، ولم تزن لحىً طويلة تستخف أناة أهلها وعقولهم مُلاحّة ومشاتمة. ومفعول **تزن** محذوف، أي أهلها؛ دل عليه (**أهل الحباء**)، أو هو مفعول له مقدر لتنزيله منزلة القاصر.

والمعنى: لم ينفع زين للحى موصوفة بما ذكر. والمقصود أن الفضل يزين صاحبه من غير حلية وبدون جمال صورة، وحلية الجمال بطول اللحية وطول القامة وحسن الرونق وبياض الجسم مع عدم الأناة والعقل لا يجدي، فكن من أهل الحبى والحلم لا من أهل اللحى الذين يستخفهم اللحاء، حتى تظفر بالزين وتأمن من الشين.

قال الشاعر[1] . (**من بحر الطويل**):

فَكَمْ لِحْيَةٍ طَالَتْ عَلَى ذقن جَاهِلٍ ** وما تحتها إلا الغَباوَة والجَهْلُ

وَكَمْ رَاكِبٍ بَغْلاً عَليهِ عمامَةٌ ** تَأَمّلْ تَرَى بَغْلاً عَلَى ظَهْرِهِ بَغْلُ

قال علي كرم الله وجهه[2]: "جمال الرجل فصاحة لسانه، وكماله ثبات جنانه وشرفه حسن فعاله، لا كثرة جماله، وحسبه كثرة أحبابه، لا حسب آبائه، وكرمه التقوى، لا التيه والهوى".

ثم قال رحمه الله:

101-[فَأَحْسِنْ بِمِهْدىً زَانَ مِهْدَاءَ فِتْيَةً وَمِقْرىً عَلاَ الْمِقْرَاءَ مِنْهُ بَهَاءُ].

أحسن: أفعل تفضيل جيء بها للتعجب منصوبه (**بمِهْدىً**)، فهو في قوة ما أحسن طبَقا تقع فيه الهدايا زيّنَ فتى كثيرَ الإهداء من فتية، وما أحسن **مِقرى** أي ظرفا معدا لقرى الأضياف.

---

[1] – لم أقف عليه.

[2] – قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره / 3 / 487: "وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب، أن يُفرد علي، رضي الله عنه، بأن يقال: "عليه السلام"، من دون سائر الصحابة، أو: "كرم الله وجهه" وهذا وإن كان معناه صحيحا، لكن ينبغي أن يساوى بين الصحابة في ذلك...".

قوله: (**علا المقراء منه بهاء**): **فَعَلَا**: فعل ماض. **المقراء**: مفعول به، وهو الكثير القرى. **وبهاء**: فاعل **عَلَا**، والضمير المجرور عائد على **المقرى**، بالقصر: متعلق **بعلا**. **والمِهدى**: الطبق الذي يهدى فيه إلى الملوك عند تزويج بناتهم وأخواتهم، ولا يقال له **مِهدى** إلا إذا كانت فيه الهدية، وكثر استعماله حتى سمي به كل طبق يهدى فيه مطلقا.

وتركيب البيت هو أن هذا **المِهدى** يزين **المِهداء**، و**المِقرى** يصير **المِقراء** أبهى؛ فهو تعجب منه قصد منه الإغراء بالهدية والقرى وكثرتهما.

ثم قال رحمه الله تعالى:

102-[وَمِقْلَى لِذِي الْمِقْلاَءِ يُبْدِي حَسِيسَهُ رِضىً وَيَسُرُّ الْمُحْسِنِينَ رِضَاءُ].

قوله. (**ومِقلى**): الواو للعطف على مِهْدى، و**المِقلى**، بالكسر والقصر: إناء القلي، و**المِقلاء**، بالمد: العود الذي يضرب به الصبي. و**الرضى**، بالقصر، ضد الغضب. و**الرضاء** بالمد: المراضاة، وهي المعاملة بالرضى. و**الحسيس** صوت يختص بالنار وما في معناها. قال الله تعالى: **{لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا} [الأنبياء: 102]**، بخلاف الحِس، والحِس بالكسر والفتح، فالحَس بالفتح خاص بالحيوان الحساس، والحِس يطلق على كل ما له حس، أي: صوت، قال الله تعالى: **{هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا} [مريم: 98]**. وإنما عطفه على مِهدى ليفهم من ذلك الإغراء به، فكأنه يقول: ما أحسن إناءَ قلي يظهر أزيزه ملهيا به؛ لأجل إرضائه بذلك الصبيان، ففي ذلك إحسان بالصبي وملاطفة له ومعاملة له على الرضى، ويسر المحسنين المعاملة بالرضى في عقباهم، ففي الكلام إغراء بملاطفة الصبيان الصغار وتفريحهم والإحسان بذلك إليهم. وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «**يا أبا عمير ما فعل النغير**».[1] أعظم شاهد على ذلك. ولقد كان يرتحله الحسن وهو في الصلاة، فيثبت ساجدا حتى ينزل. وحمل يوما وهو في الصلاة أمامة بنت أبي العاص بن الربيع وهو خَتَنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان كلما سجد وضعها، وكلما قام حملها، كما في الصحيحين.

[1]- متفق عليه البخاري ح:6921، ومسلم ح:2150.

قال رحمه الله تعالى:

103-[وَحَاسِي الْقِرَى مِثْلُ الْقِرَاءِ حِيَاضُهُ فَيَأْبَى الرِّوَى مِنْهَا ظَمَىً وَرِوَاءُ].

فالقرى، بالكسر والقصر: الماء المقروُّ، أي: المجموع في الحياض، ماضيه قريت الماء أقريه قرىً. و**حاسيه** الذي يشربه شيئا بعد شيء يتحساه. و**القراء،** بالمد والكسر: جمع قروة، وهي: ميلغة الكلب. و**الروى،** بالقصر: مصدر روِي بالكسر: إذا شرب فأخذ حاجته. والرواء، بالمد هنا: جمع ريان، و**الظمأ** مهموز محرك: مصدر ظمِئ كفرح فهو ظمِئٌ كفرح، فالذي في البيت يحتمل أن يكون مصدرا، أو اسم فاعل مسهل الهمز فيهمل، إلا أنه على المصدرية يحتاج إلى تقدير مضاف، أي: ذو ظمأ.

والمعنى: أن الذي يتحسى ماء الحياض شيئا فشيئا لؤما منه حياضه مثل ميالغ الكلاب في الاستقذار؛ فيعاف الارتواء منها استقذارا لها أصحاب العطش وأصحاب الري.

والمقصود التحذير من الانتفاع بما في أيدي اللئام، وذوي الهمم الدنيئة، والنفوس الساقطة الخسيسة ورفع الهمة عن ذلك، وإن دعت إليه الحاجة، وعلى حسب رفع الهمم عن الدنايا تعظم المزايا، وتتفاوت المقامات، وتتضح العلامات، وتنقشع الغمامات، فتنجلي الكرامات. وفي مثل هذا يقول الشاعر[1] الأديب **. (من بحر الطويل):**

وما كلُّ برقٍ لاحَ لي يستفزُّني ... ولا كلُّ من في الأرض أرضاه مُنْعِما

إذا قِيلَ هذا مَشربٌ، قلتُ: قد أرى ... ولكنّ نفسَ الحرِ تحتملُ الظّما

أُنَهْنِهُهَا عن بعضِ مـا لا يشِينُها مـخافـةَ أقـوالِ العِدى فيمَ أو لما.

[1] – هو: أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني من قصيدة له مطلعها:
يقولون لي فيك انقباضٌ وإنما ... رأوا رجلاً عن موقف الذلّ أحجما ...إلخ
انظر ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي 154/2.

ثم قال رحمه الله تعالى:

104-[هِدَاهُ أَصَارتْهُ هِدَاءً فَرَأْيُهُ جِرىً فِي مَسَاعٍ قُبِّحَتْ وَجِرَاءُ].

الهِدى، بالقصر: جمع هدية، بالكسر: وهي السيرة القبيحة، بخلاف الحسنة فإنها يقال لها: **هَدْي**. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أفضلُ الهَدي هَدْيُ مُحمّد صلى الله عليه وسلم، وأفضلُ الحديثِ كتابُ الله**».[1]

والهِداء، بالمد هنا: الرجل الهداء، أي: الأحمق الثقيل. **والجِرى**، بالقصر والكسر: جمع جِرْيَة، وهي هيئة الجاري، وتطلق ويراد بها دم الحروب، قال الشاعر[2] **. (من الوافر)**:

تخالُ جِرْيَـةَ الأبْطالِ فِيها غَداةَ الرّوعِ جـاريا مَذُوبـا.

والجرية أيضا: السفينة الصغيرة، **والجرى** أيضا جمع جرو، وقد يمد. **والجِراء**، بالمد: المجاراة، يقال: فرس لا يجارى، وزيد لا يجارى كرما، والمجاراة هنا إنما قصد بها المصنف مجاراة اللئيم اللؤماء. فكأنه يقول: **هِدى** من ذكر، وهو الحاسي[3] لؤما، أي: سيرته الخبيثة السيئة هي التي صيرته بين الناس **هداء**، فتزدريه وتتحاماه، فرأيه أن يجري جري ذوي خساسة ونذالة، فيكون ذلك في مساع قبيحة، وهو من باب تسمية الشيء باسم ملازمه، لأنه لما كثر على أذنيه وعلى آذان من يصحبه، أو يلازمه ويرتضي سيرته، أو يطلب الانتفاع منه سميت قبيحة لملازمتها سماع الأفعال القبيحة والشيم السمِجة، أي: القبيحة التي تَمُجُّها الأسماع الكريمة التي لم تتعود سماع القبيح، كما قال الشاعر[4] **. (من المتقارب)**:

وَسَمعَكَ صُن عَن سَماعِ القَبيحِ ... كَصَونِ اللِسانِ عَنِ النُطقِ بِه

فَإِنَّكَ عِندَ سـماعِ القَبيحِ ... شَريـكٌ لِقائِلِهِ فَانتَبِه

---

[1] – متفق عليه، البخاري ح:6098، ومسلم ح:867. ولفظ مسلم مرفوعا" «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

[2] – لم أقف عليه.

[3] – يشير إلى البيت قبله، وحاشي القرى وحاسيه الذي يشربه شيئا بعد شيء يتحساه.

[4] – هو محمود الوراق كما في محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني 97/1.

وإن من يجاري من جرى فيها وركض فقد صار معدودا من جملة اللؤماء الحمقى لمجاراته إياهم في ميادين السخف والجهل، كما قال الشاعر[1]. **(من بحر الوافر)** :

إذا جَـاريـتَ في خـُلُق دَنِيءٍ فأنتَ ومنْ تُجاريـه سَواءُ

رأيتُ الحرّ يـَجْتنبُ المخازي ويـحْميهِ عنِ الغَدْرِ الوفاءُ.

ثم إن **جريه** و**جراءه** فيما ذكر من جملة **هداه** التي صرفته عن طريق هُداه، فعطفه عليه من عطف مفصل على مجمل، فالفاء فيه لمجرد الترتيب الذكري. **فهِداه**: مبتدأ، أصارته: خبره، وضمير المفعول في أصارته عائدٌ إلى **حاسي القرى**، وهو مفعول أصار. و**هِداء**: مفعولها الثاني؛ فتصير بسبب دخول همزة التعدية عليها من باب كسا وأعطى، غير أنها باقية على كونها ناقصة، وعملت بوصفيها، كما قاله الزجاج، وابن جني، **فرأيه**: مبتدأ والهاء مضاف إليه، **وجِرى**: خبره، **في مساع**: خبر بعد خبر، **قُبِّحت**: نعت **لمساع**. **وجِراء**: عطف على رأيه، وهو عطف مجازي ذكري، والفاء في (**فرأيه**) حرف ترتيبي عطف به على (**حاسي**)، وضمير المضاف إليه عائد عليه.

ثم قال رحمه الله تعالى:

105-[وَصَارِي الْكِرَى بَعْدَ الْكِرَاءِ كَذِي لِوىً وَيُجْنَى لِمَشْهُورِ الْوَفَاءِ لِوَاءُ].

قوله: **(وصاري)**: اسم للحاسب، ويطلق ويراد به عمود السفينة الذي تعقد على رأسه القلوع، فيقال: صاري السفينة، كما يقال: **صاري الكِرى**، ويطلق ويراد به زمن الصر، يقال: زمن **صارٍ**، أي: يصيب الأشجار فيه الجليد. **والكِرى**، بالكسر والقصر: مضاف إليه ما قبله: جمع كِروة بالكسر، وهي: أجرة الشيء المستأجر، وقد تسمى المؤاجرة. و**اللوى**، بالقصر هنا: التواء الحية، و**اللواء**، بالمد: من قولهم: جاء فلان باللواء، أي: بكل شيء. و**يجُنى** بضم الياء مضارع أجنى الروض أو النخيل، إذ أدرك ثمره وبلغ أوان الجنى.

[1] – هو أبو تمام كما في جواهر الأدب للهاشمي 454/2.

فكأنه يقول: والذي يحبس الأجرة عن أربابها بعد المكاراة، كصاحب انطواء من الحيات في كونه لين اللمس، قاتل السم، خفي الإذاية ظاهر النكاية. والمقصود التحذير من منع أهل الحق حقوقهم ومطلهم به بعد استحقاقهم إياه، والإغراء بالوفاء حتى يقع الاشتهار بذلك.

والبيت مقتبس من قوله تعالى: **{وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح: 10]**.

ثم قال رحمه الله تعالى:

106-[وَنُجْحُ الْمِنَى يُنْسِي الْمِنَاءَ وَكَمْ مِعىً بِـهِ أَيْنَعَتْ بَعْدَ الْجُدُوبِ مِعَاءُ].

قوله: (**ونجح**) بضم النون وقد تفتح: الظفر بالشيء، مبتدأ، خبره (**يُنسي**). (**المِنى**) بالقصر والكسر: المدة تُستبرأ فيها الناقة، أي: تختبر فيها: أهي لاقح أم لا؟، يقال: ناقة على **منى** أو هي مانية. و**المِناء**، بالمد: الانتظار، يقال: ما نيت الشيء: انتظرته. و**المِعى** بالقصر: مجرى المياه وما تجرفه من الأرض، وتطلق ويراد بها مجاري الطعام. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «**المؤمن يأكل في معىً واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء**».[1] **والمِعى**: الرجل الذي لا يستقل بنفسه، ولا يرتجل الأمور. و**المِعاء**، بالمد: رطب جذت قبل النضج فنضجت، وقد ييبس بعضها، وما ييبس بالكلية، يقال له حشف. وإضافة النجح إلى **المِنى** من باب إضافة الشيء إلى زمنه الكائن فيه. قال الله تعالى: **{بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} [سبأ: 33]**، أي: مكر بالليل ومكر بالنهار على صيغة المجاز العادي.

والمعنى: أن النجح الكائن في المدة التي يختبر فيها لقاح الناقة، وذلك باجتلاء تلك المدة عن كون الناقة لاقحا، **يُنسي** ذلك النجح صاحبه انتظاره لذلك، وارتقابه إياه، ومؤونة صبره على ذلك، ومعالجته لطلب العلم به، حتى كأن لم يكن شيء من ذلك، وهكذا شأن العواقب المحمودة أن تنسي كل مصيبة تقدمتها. فكنى بالناقة ولقاحها عن النفس وفلاحها، وذلك من أشرف فصول البديع لو وجد مُجاريا أو نحريرا مباريا. ومراده الحض على مجاهدتها، حتى تظفر بمشاهدتها بالصبر على محاولة المطالب، والمضي في تحصيلها، وإن استصعبت، فرب مستصعب

[1] . متفق عليه، البخاري، ح:5393، وسلم، ح:2060. واللفظ المذكور للبخاري.

يسهل بعد حين، ورب مستسهل يصعب بعد لين؛ فإياك والاستعجال؛ فإنه حيض الرجال، والقنوط فإنه سبب السقوط. ومثل لذلك بمسيل الماء الذي بعد عهده من جريان المياه، يرسل الله إليه الأمطار فتمده الأنهار، فتتلاطم حافتاه بالفيض فيسقى الغياض والرياض، ويروي البساتين والنخيل، وتلقح الأشجار، فينسي ذلك ما كان قبله من المصاب بالجدوب ذوات الإتعاب والإنصاب والأوصاب. وهكذا كل مرغوب تتعرض دون حصوله الخطوب، حتى يصير وجه الطالب ذا نكوب، فإنه إذا زال مانعه وبدا طالعه أنست لذة الظفر به ما تقدم من آلام الكد في طلبه، وهذا أيضا نوع آخر من أنواع الكناية، فمجاري السيول كناية عن القلوب؛ لأنها مجرى العلوم، ومحل الفهوم، وإن أصابتها الجدوب مدة، لعارض هوائي، أو مانع نفساني، أو نازع شهواني، أو نازع شيطاني، فإنها مؤهلة ومهيأة للنفحات الربانية، فتصيبها بعد المحول دفقات الذبول، فتحدث هوامع السيول بالحكمة والعلوم، وإلهام الغيوم الواردة من حضرة الحي القيوم. قال الرسول صلى الله عليه وسلم :« **إن اللهَ يُحيي القُلوبَ الميتةَ بنُورِ الحكمةِ كما يحيي الأرضَ الميتةَ بوابِل المطر**».[1]

ثم قال رحمه الله تعالى:

107-[وَكَمْ إِشْفىً الإِشْفَاءَ مَلَّكَ رَبَّهُ فَـدَامَ لَهُ مِنْهُ فِحىً وَفِـحَاءُ].

قوله . (**وكم**): **الواو** للاستئناف، **وكم**: تكثيرية من الأدوات التي تلازم الإضافة والابتداء غالبا. و**الإشفى**، بالقصر والكسر: واحد الأشافي، وهي معروفة يتخذها الخراز والرقاع والخصاف لشعب[2] الفتوق وجلم الشقوق. و**الإشفاء**، بالمد: مصدر أشفى فلان فلانا: إذا أزال ألمه بمعالجة أو دواء، ويطلق ويراد به الإشراف على الشيء، وهذا الأخير هو اللائق بحال **الإشفى** من جهة المعنى، ونسبة الأول إليه إنما هو بالدلالة على ما به الإشفاء مجازا؛ لأن الاستشفاء يكون بفعل **الإشفى** لا بدلالته على ما به يكون. و**الفحى**، بالقصر ويفتح كما

[1] – هذا الأثر رواه مالك في الموطأ 1002/2 ح:3670 فعنه رحمه؛ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ أَوْصَى ابْنَهُ، فَقَالَ: "يَا بُنَيَّ جَالِسِ الْعُلَمَاءَ، وَزَاحِمْهُمْ بِرُكْبَتَيْكَ. فَإِنَّ اللهَ يُحْيِي الْقُلُوبَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ. كَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ الْمَيْتَةَ بِوَابِلِ السَّمَاءِ".

[2] – الشعب: هنا جمع الشق بسلك. والجَلَمَ قال ابن فارس في مقاييس اللغة 467/1: الْجِيمُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْقَطْعُ، وَالْآخَرُ جَمْعُ الشَّيْءِ.م. بتصرف وزيادة.

يكسر: التابل[1] و**الفِحاء**، بالمد والكسر خاصية، جمع فَحية، بالفتح وهي الحريرة[2]، ونظيره ظبية وظباء، ويقال لها: فحية.

فكأنه يقول: كثير مما يؤلم كا**لأشافي** مثلا يجعل صاحبه مالكا للإشراف على بغيته وما فيه جلب صحته بسبب استعماله كخصف نعله مثلا، فيدوم له بسبب ذلك ما ذكره مما يحتاج إليه الصحيح كالتابل الذي يصلح به طعامه وكالحريرة التي يتغذى بها، ولولا **الإشفى** لأودى به الحفا؛ فلم يدم له **فِحَاءٌ** ولا **فِحى**، وكثيرا ما يقع الاستشفاء **بالإشفى** أيضا كبط القروح[3] وفصد العروق، فبهذا الاعتبار يكون صاحب **الإشفى** دالا على ما يستشفى به؛ لأنه يستشفى بالفصد وباستخراج المواد التي في البدن، وذلك متوقف على **الإشفى** وما في معناها؛ فوجوده مؤثر في ذلك ومعين عليه، فاستعير له بالدلالة، فإذا استعملته فيما ذكر لمن احتاج إليه دامت له حياته ويدوم ما لا بد منه في حياته كالمذكور مثلا.

وفاعل **ملّك** ضمير **الإشفى**، و**به**: مفعول به، و**ملّك**: خبر (**كم**)، و**الإشفاء** أيضا: مفعول مقدم؛ لأن **ملّك** من باب كسا وأعطى. والفاء من (**فَدام**) سببية. و**فِحىً**: فاعل دام إذ لا تكون ناقصة إلا بدخول ما المصدرية عليها. و**فحاء**: معطوف على **فحى**. وله: متعلق **بدام**، وإن شئت جعلته متعلقا **بملك**.

وأشار المؤلف بهذا إلى أن المطلوب المحبوب قد لا ينال إلا بما فيه مشقة؛ فإنه لا أحب للنفوس من الشفاء من المرض والإبراء من الأدواء، وكثيرا ما يتوقف ذلك على استعمال ما فيه ألم فادح وعناء، وفي هذا المعنى يقول الشاعر[4] . (**من بحر الطويل**):

---

[1] – التابل: ما يصلح الطعام وجمعه توابل. م.

[2] – الفحية الحساء كما ذكر الأزهري في تهذيب اللغة 168/5. وهي مشهورة ببلاد المغرب العربي إلى اليوم.

[3]–. بط القروح: شقها. م.

[4] – هو: المتنبي من قصيدة طويلة له، مطلعها:

"كدعواك كل يدعي صحة العقل * ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل

تقولين ما في الناس مثلك عاشق * جِدي مثلَ من أحببته تَجدي عاشقا مثلي" إلخ.

انظر شرح ديوانه لابن الواحدي ص99.

تُريدِينَ إدْراكَ المعَالي رخيصةً ولا بُد دُونَ الشّهدِ من إبرَِ النّحل.

ثم قال رحمه الله تعالى:

108-[وَهَذَا الْكِبَى عُقْبَى الْكِبَاءِ وَلِلْحِجَى غَوَائِلُ مِنْهَا أَنْ يُطَالَ حِجَاءُ].

قوله: (**وهذا الكبى**): الواو، للاستئناف، وهذا: اسم إشارة مبتدأ، والكبى خبره: كِبة، بالكسر: وهي كناسة البيت، ونظيره لِثَةً ولِثىً. والكباء بالمد: نوع من الطيب، وفي ذلك يقول البصيري برد الله ضريحه في همزيته:

فإذا شِمْت أو شَمْت ريـّاهـا لاحَ منـها بـرقٌ وفـاحَ كبِاء.

و**الحجى**، بالقصر: العقل. و**الحجاء**، بالمد: مصدر حاجيته إذا غالطته.

كأنه يقول: وهذه الكناسات عاقبة الأشياء النفيسة التي يتنافس الناس فيها كالعود الذي يتبخر به ويرغب الناس في اغتنامه، وللعقل غوائل تغتاله حتى لا يدرك مآل ما يرغب فيه لما يرد عليه من تلك الغوائل بإطالته مغالطة نفسه في الحقائق وما يطرقها من الطوارق التي يشيب أدناها المفارق، وهذه المغالطة من أسبابها صفاء العيش، ومنها الجهل بعواقب الأمور، ومنها الغفلة عن ذلك، وقد جمعها المتنبي في بيتين، فقال . (**من بحر الكامل**):

تصْفُو الحياةُ لجاهِلٍ أو غـافـل عمّـا مـضى منهـا ومـا يُتـَـوقّـعُ

ولمن يُغالطُ في الحقائـقِ نفسَـه ويسُـومهـا طلبَ المحَال فتطمـعُ.

ثم قال رحمه الله تعالى:

109-[وَأَهْلُ الْفِرَى انْسُبْ لِلْفِرَاءِ وَمِنْ مِرىً تَبَرَّأْ وِلاَ يَخْدَعْ حِجَاكَ مِـرَاءُ].

فقوله: (**وَأَهْلُ الْفِرَى انْسُبْ**)، فأهل: مفعول **لانسب**. و**الفرى**: مضاف إليه ما قبله، وهو بالقصر، جمع فرية. و**الفراء**، بالمد: حمر الوحش، واحدها فرى، بالتحريك، كجمل، و**المرى**، بالقصر، جمع مرية، بالكسر، وهو الشك، و**المراء**، بالمد: الجدال.

فكأنه يقول: انسب أهل الافتراء لحمر الوحش وألحقهم بها حيث لم ينتفعوا بعقولهم التي امتازوا بها عن الحمر؛ إذ لو كان لهم عقول ينتفعون بها لحجزتهم عن الافتراء لإدراكهم قبحه، وتبرأ من الكذب. ولا يخدع عقلَك جدال مجادل مزين الباطل لابس للحق به، كاتم له، بعيد بمرائه من الصدق.

ثم قال رحمه الله:

110-[وَإِجْلى الْعُلى إِجْلاَءَ ذِي الْبَغْيِ فَاعْتَمِدْ وَغَوْلَ الْعِشَا احْذَرْ مَا أَجَنَّ عِشَاءُ]

فقوله: **إجلى**، بالقصر: بمعنى من أجلك، على ما حكاه الفراء عن الكسائي أن العرب تقول: فعلت من إجلاك بكسر الهمزة والقصر، وبفتح الهمزة أيضا، أي: من أجلك[1].

و**الإجلاء**، بالمد: الحمل على الجلاء، وهو مفارقة الوطن. و**الغول**: مصدر غال الشيء واغتاله: إذا أهلكه على وجه الغدر والاختفاء، ومنه القتل غيلة. و**العِشى**، بالقصر: الأمور الملتبسة، الواحدة عِشوة، بالكسر[2]، ومنه قولهم: أوطأني عَشوى، وخبط عَشوى. و**العشاء**، بالمد: ما بعد غيبوبة الشفق إلى نصف الليل. وفي الأثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كفوا صِبْيانَكم عند قَحْمَة العِشَاء، فإن للجِنّ في تلك السّاعةِ انتشارا**».[3]

فإجلى العلا: مفعول لأجله. و**إجلاء ذي البغي**: مفعول به، وفعلهما اعتمد. **غولَ العشا**، بالنصب: مفعول من أجله.

والمعنى: فاعتمد إجلاء أصحاب البغي من أجل نيل العلم، واحذر ما أجنَّه ظلام، أي: ستره؛ لأجل غول العشا، وهو على حذف مضاف، أي: مخافة اغتيال الأمور الملتبسة عليك بأن تقع فيها وأنت لا تشعر. ثم إن قوله: (**وغول العشا ...**) **إلخ**، تمثيل لحالة التباس الأمور واشتباهها بحالة الأشياء المستعملة بظلام العشاء، فكأنه يقول: إذا اشتبهت عليك الأشياء ولم

---

[1] – انظر إصلاح المنطق لابن السكيت ص96.

[2] – قال ابن منظر في اللسان 95/10: "والعَشْوَةُ والعُشْوَةُ والعِشْوَةُ: رُكوبُ الأَمْر عَلَى غَيْرِ بيانٍ. وأَوْطأَني عَشْوَةً وعِشْوَةً وعُشْوَة: لبَّسَ عليَّ، وَالْمَعْنَى فِيهِ أَنه حَمَله عَلَى أَن يَرْكَب أَمراً غيرَ مُسْتَبِينِ الرُّشْدِ فرُبَّما كَانَ فِيهِ عَطَبُه، وأَصله مِنْ عَشْوَاءِ اللَّيْلِ وعُشْوَتِه مثلُ ظَلْماءِ اللَّيْلِ وظُلْمَته".

[3]–. صحيح، رواه أبو داود والعسكري، وأورده السيوطي تحت رقم: (6267)، ورمز له بالصحة، والله أعلم .م.

يتبين لك أنك مأمور بها أم منهي عنها فأمسك عنها حتى تعلم حكم الله فيها: فتتقدم إن أمرت، وتحجم إن زجرت.

***

باب: ما يضم فيقصر ويفتح فيمد باختلاف المعنى

قال رحمه الله تعالى:

111-[غُدَاكَ ارْعَ وَاعْتَضْ مِنْ غَدَاءٍ تَسَحُّراً وَلاَيُنْسِكَ الذِّكْرَى حُسىً وَحَسَاءُ].

الغُدى، بالضم والقصر: جمع غُدوة، بالضم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**عليكم بالغدوة والرّوحَة وشيءٍ من الدُّلجة، وإياكم والمنبَتّ، فإنه لا أرضا قَطَعَ ولا ظَهرا أبْقى**».[1] والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم: **(والرّوحَة)**، صلاة العصر والمغرب. وقوله: **(وشيء من الدُّلجة)**، يعني صلاة العشاء في جماعة، ومن ثلثي الليل الأخير إلى الصبح وإلا فمن السحر إلى الصبح. قال ابن عباس رضي الله عنه: باكروا في طلب الرزق فإن البكور بركة مقلوبة.

و**الغَداء،** بالفتح والمد: ما يُتغدى به. و**الحُسى،** بالضم والقصر: جمع حُسوة، بالضم: وهو القدر الذي يُتحسى منه. و**الحَساء،** بالفتح والمد: الحَسو، وهو شراب رقيق فيه حموضة يستعمل في زمن الحر للتبريد، ويطلق ويراد به الرغوة وهي الثمالة.

فكأنه يقول: ارع أزمنتك وحافظ عليها ولا تضيعها فيما لا يعود منه نفع؛ وذلك بأن تعلم ما يلزمك في كل وقت فاشتغل به؛ إذ ما من وقت يمضي إلا ولله عليك فيه حق لا يقضى في غيره؛ لأنه لا يصلح لقضائه لما تعلق به هو بخصوصيته. ومن هنا يقولون: الفقير ابن وقته.

(واعتض من غدائك تسحرا)، أي: اجعل التسحر وهو الأكل من آخر الليل لأجل الصوم في النهار عوضا من الغداء، وهو ما يؤكل في أول النهار أو وسطه، وأما بالذال المعجمة، فهو ما يتقوت به وتقوم به البنية، كان بليل أو نهار. وهذا أمر منه بالمواظبة على الصوم، إذ هو سياحة هذه الأمة. قوله: **ولا ينسك الذكرى،** أي: التذكر واستعمال الفكر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء، وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلك، فإن ذلك

---

[1] – حديث "عليكم بالغدوة والروحة ..." إلخ الجزء الأخير منه رواه البزار بلفظ "إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا ظهرا أبقى ولا أرضا قطع" وأورده في الكشف تحت رقم 794.م. وفي صحح البخاري ح:39 "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ".

من أعظم باعث على الاجتهاد في الاستعداد للمعاد، فلا يشغلك عنه ما ضمن لك الذي من جملته ما ذكره لك من **الحُسى والحَساء والعشاء والغداء**.

ثم قال رحمه الله تعالى:

112-[فَمَن خَشِيَ السُّوءَى لِسَوْءَاءَ هَاجِراً يَفُزْ وَهُنَا أَيْضاً لَدَيْـهِ هَنَاءُ].

قوله: (**فَمَن خَشِيَ السُّوءَى**): فالفاء استئنافية. من: اسم شرط بمعنى الذي. **خشي**: فعل الشرط، وجوابه **يفز**، وفاعله مستتر. و**السوءى**: مفعول خشي، وهو في الأصل أنثى الأسوأ (أفعل) تفضيل من السوء. و**السوءاء**، بالفتح والمد: القبيحة من الفعلات وغيرها. و**هنا**: اسم إشارة يشار به إلى المكان القريب. و**الهناء**، بالفتح والمد: ضد التنغيص. قوله: **هاجرا**، حال من فاعل **خشي**، وهو ضمير، و**لسوءاء**: مفعول **هاجرا**، واللام فيه لتقوية العامل الضعيف عن العمل بالفرعية والتأخر. وهذه الحال لازمة؛ لأن الخوف من سوء العاقبة السيئة في حال كونه تاركا لكل فعلة قبيحة **يفز** بها، أي: ينجح ويفلح بتأديته إلى المأمن مما يخاف، وذلك بأن تحسن عاقبته، ولأجل طلب **الهناء** العاجل عنده **هنا** صار ذلك سببا لصفاء معيشته العاجلة مما ينغصها عليه؛ لأن تنغيص العيش أيضا يكون بفوات المرجو من حصول المعدوم، وعدم فقد الموجود، ومن يخف عاقبة أمره لم يأمل سوى الأمن من سوئها، ويخلي قلبه من كل شيء سوى ذلك، فلا يحزن على ما فات، ولا يتعلق له غرض بما هو آت، فيصفو عيشه من الأكدار، وتقل في حقه الأخطار، وصورة الكلام صورة الخبر، والمقصود منه الحث على الخوف من عاقبة السوء، وتذكر هادم اللذات وفجأة الفوات، جعلنا الله من المتذكرين لذلك، الخائفين مما هنالك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل**».[1]

والبيت مقتبس من قوله تعالى: **{فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} [آل عمران: 185]**. جعلنا الله ممن فاز بقربه وجواره آمين.

[1] – رواه الترمذي، ح: 2457، وصححه الألباني، والحاكم، ح: 7851، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي.

قال رحمه الله تعالى:

113-[وَمَا ضَرَّ ذَا طُرْفَى بِطَرْفَاءَ لاَئِذاً ضُحىً إِنْ رَمَاهُ بالأُوَارِ ضَحَــاءُ].

قوله: (**وَمَا ضَرَّ ذَا طُرْفَى**)، **الواو**: للاستئناف، و**ما**: نافية. **ضر**: فعل ماض. **ذا طُرفى**: مفعول به ومضاف إليه. **طُرفى**، بالضم والقصر: المنتخب من كل شيء، وقد يطلق ويراد به كثرة الأنساب بين المنسوب والأب الأعلى حيث كانوا في حسب وشرف، وهو ضد الأقعد. و**الطَّرفاء**، بالفتح والمد: شجر الأثل، ومن العرب من يقول في الواحدة: طرَفة، ومنهم من يقول: **طرفاء** في الإفراد والجمع. و**الضُّحى**، بالضم والقصر: ما قرب من طلوع الشمس، وقيل: صدر النهار. و**الضَّحاء**، بالفتح والمد: البروز للشمس، قال الناظم[1]: "وقصره أقيس" قال: لأن قياس مصدر الفعل المكسور العين (فعلى)، بالتحريك والقصر لا (فعلاء)، بالمد.

و**الأُوَار**، بضم الهمزة وتخفيف الواو على وزن غراب: حر الشمس أو النار أو العطش؛ إذ كل ذلك صالح هنا ولا يصح غيرهما من معانيه. و**ما** للاستفهام المراد به النفي. **ذا طُرفى**: مفعول به **لضر**، وفاعله ضمير (**ما**) الاستفهامية. و**لائذا**: حال من **ذا طرفى**. و**بطرفاء**: متعلق به. و(**أن**): يصح ضبطه بكسر الهمزة وبفتحها: فبالكسر على أنها شرطية، و**رماه**: شرطه، وجزاؤه محذوف بدلالة ما قبله عليه. والفتح على أنها مصدرية مجرورة بلام التعليل محذوفة، أي: لأجل أن رماه. فكأنه يقول: أي شيء ضر رجلا صاحب **طرفى** في نفسه، أي: بينه وبين أبيه الأعلى وهو آدم ـ عليه الصلاة والسلام، وعلى أفضل بنيه أشرف العالم بأسره ـ كثير من الآباء لا يعلم عددهم لكثرتهم إلا الله تعالى، وكلهم قد هلكوا؛ فهو كذلك من أجل أنه عريق في الهالكين. قال الشاعر[2]. (**من بحر الطويل**):

وما المرءُ إلا ميّت وابنُ ميّت ... وَذُو نَسَبٍ فِي الهالكِينَ عَرِيقِ.

فلا يضره شيء إذا كان كذلك في حال كونه عائذا بطرفاء يأوي إلى ظلها إذا رمته بأوارها الشمس، أي: بحرها، أو بعطش، ولا يضره شيء لأجل أن رمى الضحاء بحر أو بعطش؛ لأن

---

[1] – يقصد ابن مالك فقد قال في الإعلام بتثليث الكلام، ص: 284: "والضحا والضحاء هنا مصدر ضحى إذا برز للشمس وقصره أقيس".

[2] – هو أبو نواس كما في الحماسة المغربية 1417/2. وصدره "وَمَا النَّاسُ إلاّ هالِكٌ وابْنُ هالِكٍ...".

ذلك لا يجلب له ما لم يُقَدّر عليه من الهلاك؛ لأنه عريق النسب في الهالكين كما تقدم، ولا يعجله له قبل أوانه، كما أن الثواء بالقصور والغرف لا يدفعه عنه إذا حان وقته، بل له في الانفراد النفع المحض حيث استراح من إذايتهم له، ومن إذايته لهم.

ثم قال رحمه الله تعالى:

114-[وَسَارِعْ إِلَى الْحُسْنَى وَحَسْنَاءَ لا تُطِعْ هَوَاهَا فَفِي التُّقَى غُنىً وَغَنَاءُ].

قوله: (وَسَارِعْ إِلَى الْحُسْنَى): فالمسارعة، المسابقة إلى الحسنى. و**الحُسنى** بالضم والقصر: العاقبة الحسنة، وهي في الأصل أنثى الأحسن (أفعل) تفضيل من الحسن. و**الحسناء**، بالفتح والمد: المرأة الجميلة البيضاء. و**الغُنى**، بالقصر والضم: جمع غُنية بالضم وهو ما يستغنى به. و**الغَنَاء**، بالفتح والمد: الكفاية، وهو الذي يقوم بكل ما تولاه من الحروب وغيرها أحسن قيام. فكأنه يقول: بادر إلى فعل ما تحل لك به العاقبة الحسنة، ولا تطع امرأة حسنة في أمر دين ودنيا من أجل هواك.

والبيت مقتبس من قوله تعالى: {**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**} **[الحديد: 21]**.

ثم قال رحمه الله تعالى:

115-[وَلِلْغَايَةِ الْقُصْوَى بِقَصْوَاءَ شَمِّرَنْ فَمَا بِكُسَى زَهْوٍ يُنَالُ كَسَاءُ].

قوله. **(وَلِلْغَايَةِ الْقُصْوَى)**، كأنه يقول: شمر، أي: جِدَّ وأسرع، لنيل الغاية العالية المرتفعة بناقة **قصواء**، أي: نجيبة مقطوعة طرف الأذن، فما ينال الشرف **بكُسى** وهي بالضم والقصر: جمع كُسوة، بالضم، على وجه التكبر بها والزهو والإعجاب والخيلاء، بل إنما ينال بالجد والاجتهاد وارتكاب مشاق تكاليف الشرع التي تشق في أول الأمر على الطبع. و**الكساء**، بالمد والفتح: الشرف والزهو، وهنا الكبر والتيه والفخر. وفي المثل: "ليس من شيم الأشراف النظر إلى الأعطاف". وفيه أيضا: "ليس من شأن ذوي الأحساب الزهو بفاخر الثياب".

ثم قال رحمه الله تعالى:

116-[وَعُذْرَاكَ لِلْعَذْرَاءِ لاَ تَكْتَرِثْ بِهَا فَـمَا لِثُوىً يُثْنِي الْمُجِدَّ ثَـوَاءُ].

قوله: **العُذرى**، بالضم والقصر: العذر على وجه الجمع، وقد يجمع على معاذير، وهو القياس قال الله تعالى: {**وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ**} [القيامة: 15]، يقال: سمعت عذراك ومعاذيرك وأعذارك فقبلتها، إلا أن **عذراك**[1] لغة شاذة لم تقع إلا سماعا. و**العذراء**، بالفتح والمد: البكر. و**الاكتراث** بالشيء: المبالاة به. و**الثوى**، بالمثلثة والضم والقصر: خرقة تزال بها العذرات، ويوقى بها الوطب[2] وهو وعاء اللبن، أو يفعل بها ما يناسب ذلك. والحاصل أنها خرقة ممتهنة مستقذرة. و**الثواء**، بالمد والفتح: الإقامة. و**المُجِد**: المسرع، وهو بالنصب مفعول **يثني**، أي: يرد، و**الثواء** فاعله. والبيت في المعنى كالذي قبله، أي: لا تبال بعذرك للعذراء، ولا تهتم به، فما تريد إلا إقامة على حبها.

قال رحمه الله تعالى:

117-[وَلَنْ تُذْعَرَ الْحُمَّى بِحَمَّاءِ نَهْدَةٍ وَلاَ بِكُـرَى اللاَّهِـي تُرَامُ كَرَاءُ].

قوله: (وَلَنْ تُذْعَرَ الْحُمَّى)، الواو: للاستئناف، و**لن تذعر**: ناصب ومنصوب مبني للمجهول، و**الحمى**: نائبه، وهي الحرارة العرقية التي تختص ببعض الأماكن. قال صلى الله عليه وسلم: «**الحُمّى من فيحِ جهنم فأبردُوها بالماء**».[3] و**الحَماء**، بالفتح والمد: أنثى الأحم، أي: الأسود من كل شيء. و**الكُرى** بالضم والقصر: جمع كُرة، بضم الكاف وتخفيف الراء، بوزن بُرَة. و**الكَراء** بالفتح والمد: ثنية بقرب الطائف لا تكاد تسلك لارتفاعها في الهواء وصعوبة مسلكها. فكأنه يقول: ولن تذعر الحمى فتفارق صاحبها بعدو فرس سوداء عالية الصهوة. و**الذعر**: شدة الفزع، تقول: ذعر ذعرا وإذعارا فهو مذعور، ورجل مذعار إذا كان كثير الفزع شديده.

---

[1] – قال ابن منظور في اللسان، فصل النون 202/5: "وَالْعَرَبُ تَقُولُ: عُذْراك لَا نُذراك أَي أَعْذِر وَلَا تُنْذِر".

[2]–. الوطب: الثدي العظيم وسقاء اللبن. م.

[3] – متفق على صحته، رواه الشيخان وغيرهما بهذا اللفظ، وهو عند البخاري في كتاب (بدء الخلق)، ح:3261، ومسلم، ح:2210. م. بتصرف.

قوله: **لا تَرُم**، أي: لا تحاول الثنية المسماة بكَرَاء، أي: صعودها باللعب بكُرى الشخص الملاعب، وهذا تمثيل بعدم النجاة من المخاوف والأعراض اللاحقة بما يتنافس فيه الأحياء كالمراكب الحسان مثلا، وعدم إدراك المعالي بالتقصير واللعب، وفي ضمنه الحث على الجد والتشمير وترك اللعب والفتور، وعدم الاعتداد بالحاصل من أمور الدنيا.

قال رحمه الله تعالى:

118-[وَمَا ذُو قُوىً أَمَّ الْقَوَاءَ بِقَاهِرٍ عُـدَاهُ إِذَا لَمْ يَنْأَ عَنْهُ عَـدَاءُ].

قوله: (وَمَا ذُو قُوىً)، الواو: للاستئناف. و**ما**: حجازية عاملة عمل ليس. **ذو قُوى**: اسم **ما** ومضاف إليه. **بقاهر**: خبره. **أمَّ**: فعل ماض. **القَواء**: مفعول به. والجملة نعت **لذي قوى**. و**القوى** بالضم والقصر: جمع قوة، قال الله تعالى: **{عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} [النجم: 5]**. و**القَواء**، بالفتح والمد: القفر. و**العُدى**، بالضم: لغة في العِدَى، بالكسر، والعَداء، بالفتح والمد: الظلم.

والمعنى: ليس صاحب قدر. جمع قُدَرٍ. متعددة من متانة الجسم وَوُفُور ذات اليد كمن صفته أنه قصد القهر ليس هو يغالب أعداءه إذا لم يبعد عنه الظلم والتعدي. والمقصود منه بهذا التحذير من الظلم؛ فإنه ظلمات يوم القيامة.

والبيت مقتبس من قوله تعالى: **{وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ}** [**الشعراء: 227**].

ثم قال رحمه الله تعالى:

119-[أَلَمْ تَهْلِكِ الْعُزَّى بِعَزَّاءِ حِزْبَهَا وَلِلْحَقِّ فِي هَذَا سُـمىً وَسَمَاءُ].

العُزى، بالضم والقصر: سَمُرة بالمجلل بَنَتْ غطفان عليها بيتا وجعلت له سدنة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فهدم البيت وحرق السمرة. وأصل **العزى** أنثى الأعز. و**العَزاء**، بالفتح والمد: الشدة، وهي أيضا: الأرض الصلبة. و**السُّمى**، بالضم والقصر: لغة في الاسم، تقول حمير: ما سُماك؟. و**حزب العُزَّى**: الطائفة التي عبدتها من غطفان، وهي سبب هلاكهم، وإسناد ذلك للعزى إسناد مجازي لا كسْبي؛ لأنها سبب في هلاكهم، والاستفهام هنا

للإنكار، وإنكار النفي نفي، ونفي النفي إثبات، أي: قد أهلكت العزى قومها، أي: كانت عبادتهم إياها سببا في هلاكهم بشدة أو في أرض صلبة، وهذا المعنى يراد بالاستفهام فيه التقرير بأن يحمل المخاطب بأن يقر بما يعمله من هذا الكلام، وهو الإثبات لا النفي، والمراد بذلك الاستظهار ونصب الدليل على ما عداه في البيت قبله من أن ذا القوى لا يقهر عداه إذا لم ينأ عنه الاعتداء، فإن حزب العزى مع قواهم حيث اعتدوا بعبادتهم غير الله سبحانه، وهو العزى أهلكهم أعداؤهم بعزاء ولم تنفعهم قواهم ولا العزى، والحق بهذا واضح، فله سمو وارتفاع وعلو وامتناع.

والبيت مقتبس من قوله تعالى: **{قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا} [الإسراء: 42]**.

قال رحمه الله تعالى:

120-[وَكَمْ مِنْ طُخىً زَالَ الطَّخَاءُ بِوَدْقِهَا فَفَاضَتْ هُـوىً مِنْهُ وَضَاقَ هَوَاءُ].

قوله: **الطُّخى**، بالضم: جمع طخية، وهي قطعة من السحاب، وقد تفتح الطاء ويراد به حينئذ الظلام، ويطلق ويراد به الكثافة. قال البوصيري **. (من بحر الخفيف)**:

فإذا ما ضَحَى مَحا نُورُه الظِّـ ـلَ وقدْ أثبتَ الظّلال الطَّخاء[1].

و**الطَّخاء** بوزن أسماء، كَرْب يعلو القلب. و**الودق**: المطر الشديد الوقع، تقول: ودق كوعد يعد. و**الهُوى**، بالضم والقصر: جمع هُوة، وهي كل حفرة بعيدة القعر. **الهَواء**، بالفتح والمد: ما بين السماء والأرض.

وكأنه يقول: كثيرا ما أزال الله كرب القلوب والضرر النازل بأهلها بسبب ما ينزل من قطع السحاب من المطر. وقد يقال: إن في هذا الكلام إرشادا لأن الله سبحانه هو الرزاق، وإن رزق العباد في السماء؛ فلا يتأتى أن يتوصل إليه بقوة ولا حيلة لكن بمحض فضل الله وسابق ضمانه، كما قال سبحانه: **{وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} [الذاريات: 22]**. وفيها

[1] – الشاهد إذا على الطخاء بالفتح والمد لا على الطخى بالضم والقصر قال ابن سلام في غريب الحديث 492/4: "الطخاء: الثقل والغشي وكل شيء ألبس شيئا فهو طخاء له".

الإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يقنط لتأخير الرزق وبطئه؛ فإنه سبحانه قد وعد بأنه: **{يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ} [الشورى: 28]**.

***

باب: ما يفتح فيقصر ويضم فيمد باختلاف المعنى

عكس ما قبله، فالمفتوح هنا مقصور، وفيما تقدم ممدود، والمضموم هنا ممدود، وفيما قبله مقصور.

قال رحمه الله تعالى:

121-[حَلَى بِحُلاَءِ ذِي الدُّنَا فَعَزِيزُهَا يَـصِـيرُ لَقىً أَوْ يَعْتَرِيهِ لُقَاءُ].

حَلى، بالفتح: مصدر حلِي بالشيء، بالكسر: ظفر به. و**الحُلاء**، بالضم والمد جمع: جمع حُلاءَة، وهي القشرة التي تحلأ "أي تقشر" من الجلد، وهي بضم الحاء والمد، بوزن ثُمامة، يقال: حلأ الجلد، كمنع: زال قشره وبشره. و**لَقىً**، بالفتح والقصر: الشيء الملقى غير معبوء به. و**اللُّقاء**، بالضم والمد: اللَّقوة، بفتح اللام: وهي استرخاء أحد شقي الوجه، يقال: لقِي الرجل كعِنِي، فهو ملقى وملقاء ولَقاء.

فكأنه يقول: إن هذه الدنيا وما فيها من المتاع حقير، نظير القشرة التي تخرج من الجلد عند زوال قشره وبشرته، وذلك أجلى ما يكون وأهونه في العيون.

ثم قال رحمه الله تعالى:

122-[رِوىً وَصَدىً قَضّتْ[1] صُدَاءُ وَلِلْمَدَى يَدَاءُ صَحِيحٌ أَوْ يَصِحُّ مُـدَاءُ].

الصَّدى، بالفتح والقصر: مصدر صَدِي الرجل: إذا عطش، ضد روي.

و**صُداء**، بالضم والمد: حي من حمير، منهم الصُّدائي[2] صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قد تُرجم له في الإصابة[3]. و**المَدى**، بالفتح والقصر: الغاية هنا. و**يداءُ**، بالفتح

---

[1] – في رواية للبيت:"لاقت" وهي التي أثبت المأمون في النص لكني أثبت الرواية التي اعتمدها الشيخ وشرحها. ولا قت معناها بين أي مر على القبيلة تبدل الأحوال وتغيرها من روى وصدى.

[2] – في سنن الترمذي ح:199 عن زياد بن الحارث الصدائي، قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أؤذن في صلاة الفجر، فأذنت، فأراد بلال أن يقيم، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أخا صداء قد أذن، ومن أذن فهو يقيم".

[3] – يقصد الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر وقد ترجم لزياد الصدائي، 480/2 الترجمة رقم: 2857.

والمد: مضارع دَاء الرجل، بوزن جاء: أصابه داء، أي: مرض. و**المُداء**، بالضم والمد: اسم مفعول من أدأتَه: أصبته بداء. فاعتبار **اليداء** يصح أن يكون بضم الياء مضارع أدأتَه مبنيا لما لم يسم فاعله، وباعتبار اللفظ المناسب له أن يكون فعل فاعل مفتوح الياء كما تقدم، وعلى الثاني يكون مفعولا ناب عن الفاعل، و**قضّت** بتشديد الضاد المعجمة كقضت بالتخفيف، يقال قضى وطره وقضاه، بالتخفيف والتشديد، وقضاء بكسر القاف وتشديد الضاد ككذاب: أتمه وبلغه. و**رِوىً**، بالكسر: مصدر روِي من الماء وغيره كريان وريان، بالكسر والفتح.

والمعنى: أن هذه القبيلة نالت مع طلوع المدى الذي لا يدوم على حال ارتواء من اللبن، وعطشا مما ذكر، أي نالت نعيما وبؤسا، وشدة ورخاء، وسعة وضيقا، و**للمدى** ـ أي الغاية ـ التي يعمر الإنسان من الزمان، فلا بد له أن يصبح فيه المرض بعد المرض، ويمرض فيه بعد الصحة لعدم دوامه على حال فإن ذلك من قضائه، كما قال المعتمد بن عباد: **(من بحر الطويل)**

نعيمٌ وبؤسٌ ذا لذَلكَ ناسِخٌ ... وبعدَهُما نسْخُ المنَايا الأمانِيا

فاعتبر بحال أخي **صُداء** يامن ليس أخا **الصداء**، والقوم أمثالكم لهم شعر في الرأس، وما جاز على المثل يجوز على مماثله. **فرِوى وصَدى** مفعولان **لقضّت** مقدمان عليه، يعني أن الأول مفعول والثاني معطوف عليه. ونظم هذه الأعراض الجارية بعض الأدباء فقال: **(من بحر الطويل)**

ثمانيةٌ تَجري على المرءِ دَائِما ولا بُدّ يَوما أنْ يُلاقِي الثّمانِيا [1]

سُرُورٌ وحُزْنٌ واجْتِمَاعٌ وفُرقَةٌ وعُسْرٌ ويُسْرٌ ثُم سُقْمٌ وَعَافِيا

[1] – في البيتين تعديل فقد كان بهما خطأ ولعله من النساخ هكذا (ولا بد للمرء أن يلقى الثمانيا) ولا يستقيم ذلك، ولم أقف على قائلهما مع كثرة إيرادهما في كتب العلم ولا سيما الوعظ.

ثم قال رحمه الله:

123-[وَمَا ذُو مَكىً أو ذُو مُكَاءٍ بِمُهْمَل فَكَم عِبْرَةٌ أجْدَى رَنى ورُناءُ].

المكى، بالفتح والقصر: مأوى الثعلب. و**المكاء**، بالضم والمد: الصفير، قال الله تعالى حكاية عن أحوال المشركين: {**وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**} [**الأنفال: 35**]. و**الرَّنى**، بالفتح والقصر: المنظور إليه لحسنه. **الرُّناء**، بالضم والمد: الصوت، يقال: رَنّ النبل: إذا صوت، ويقال: ارتفعت الرنة على الميت. قال الشاعر الشنفرى: (**من بحر الطويل**)

إذا زَلّ عنها السّهْـمُ رَنّتْ كأنّها مُرزَّأَةٌ ثَكْـلَى تـَرِنُّ وتُعْـوِلُ

و**أجْدَى**: أي أفاد. و**العِبرة**، بالكسر: العجَب بالتحريك: ما اعتبر منه، أي تُعُجِّبَ.

والمعنى: أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئا من خلقه عبثا مهملا من الحكم والفوائد، بل جميعه مشتمل على المصالح العظيمة، حتى **ذو المكى** كالثعلب وصاحب الصفير لما هو عليه من اللؤم، فإنه يفيد اعتبارا لمن نظر إليه أو سمع صوته، إذ يدل على أن له صانعا فاعلا مختارا عالما حيا، إلى غير ذلك، وهذا معنى قوله: (**فكم عبرة** ... إلى آخره).

ثم قال رحمه الله تعالى:

124-[وَيُبْهِي النَّقَى ذا العِلْمِ حَازَ نُقَاءَهُ وَمِثْلُ الْمَهَى قَلْبٌ لذاكَ مُهَاءُ].

(**ويبهي**)، بضم الياء: مضارع أبهى الشيء: جعله ذا بهاء. و**النقى**، بالفتح والقصر: دقة القصب، والنحافة هنا، رجل أنقى، وامرأة نقواء. و**النُّقاء**، بالضم والمد: جمع نقاوة وهي الخيار من كل شيء. ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم المُنتَقَى أي: المنتخب من كل شيء؛ لأن الله انتقاه واختاره من جميع خلقه. و**المهى**، بالفتح والقصر هنا: البلور، وهو نوع من أنواع الأحجار النفيسة. و**المُهاء** بالضم والمد: المهيأ للشيء المؤهل له.

و**النقى**: فاعل **يبهي**. وذا العلم: مفعوله. و**حاز نُقاءه**: حال من المفعول. ومثل المهى: مبتدأ، و**قلب لذاك مهاء**: خبره.

والمعنى: أن دقة القصب والنحافة يصيران صاحب العلم ذا بهاء في حال كونه حائزا خيار العلم، قلبه مهيأ لحوز نقاء الأحوال المقتضيها صفاء القلب، حتى يصير مثل البلور الذي لا شيء يدانيه في الصفاء، ففي هذا إغراء بتعليم نفيس العلم وخياره.

***

باب: ما يضم فيقصر ويمد باختلاف المعنى

يعني أن المقصور والممدود كما اتفقا في المادة اتفقا أيضا في الحركة وهي الضمة، ولا اختلاف فيهما إلا من المعنى.

قال رحمه الله:

125-[نُهَى الأمْرِ لاحِظْ والنُّهَاء اعْتَبِر بِهِ وَأَلْغِ مُنًى عَنْهَا اللَّبِيبِ مُنَاءُ].

(**النهى**)، بالقصر هنا: النهايات. (**والنهاء**)، بالمد: ارتفاع النهار. و**المنى**، بالقصر: جمع منية: وهو ما يتمنى. و**المناء**، بالمد: المبعد، اسم مفعول من أَنْأَى: أبعده فناء. وحاصل ما ذكر أنه يأمرك بالعمل على يقين، ولا تقدم حالة الشك والالتباس، واترك هوى النفس فإنه يلقي صاحبه في الهوى.

ثم قال رحمه الله تعالى:

126-[وَلَوْ كُنْتَ في قُرًّى فَقُرَّاءَ اثْبُتَنْ فَمَا الأُرْبَى رِيعَتْ بِهَا الأُرَبَاءُ][1].

قوله: (**ولو كنت في قُرّى**): **فلو** للإغياء. (**كنت**): كان واسمها، (**في قرى**) خبرها. **فقُرى**، بالضم والقصر: موضع في بادية العراق. و**القراء**، بالضم والمد: الرجل الناسك هنا، و**الأُربى** بالقصر: الداهية. و**الأرباء**، بالمد: العقلاء، أحدهم: أريب. و**ريع** بكذا: أي حصل له روع بسببه، والروع: الفزع.

والمعنى: كن عابدا ناسكا حيثما كنت، ولو كنت في البادية المسماة **بقرى**: فبذلك تدخل في حزب العقلاء الذين لا يروعهم **الأربى** ولا يبالون بالداهية النكراء.

[1] – هذا البيت كان الشيخ المأمون رحمه الله ضبط فيه قرَى وقرَاء بتحريك الراء، ولذلك قال إنه مختل الوزن. والصواب ما أثبته ولا اختلال في وزنه فقرى بالتشديد مكان خاص وليس جمع قرية. وقُرَّاء الناسك وليس فُقَرَاء جمع فقير.

ثم قال رحمه الله تعالى:

127-[وَصِدْقُ الرُّؤَى زَانَ الرُّؤَاءَ وللِّنُّهَى دَلِيلٌ إِذَا رَاقَ الْعُيُونَ نُهَاءُ].

قوله: (**وصدق الرؤى**): **الواو**: للاستئناف. **والصدق**: ضد الكذب، هو اسم مصدر، تقول: صدق يصدق صدقا. **الرؤى**: مضاف إليه ما قبله، وهو بالقصر: جمع رؤيا على غير قياس، وهو ما يراه النائم. و**الرؤاء**، بالمد: المنظر الحسن. و**النهى**، بالقصر: العقل التام. ولعل الناظم رحمه الله أشار بهذا الكلام إلى الحديث، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: " **أَصْدَقُكم رُؤْيا أَصْدَقُكم حديثاً**"[1] ولا ريب أن الصدق يزين صاحبه. و**النهاء**، بالمد: الزجاج. و**الرؤاء**، بالنصب: مفعول زان، وفاعله **صدق الرؤى**.

والمعنى: أن صدق المنامات يزين الصور الحسان المنظر، لأن ذلك دليل على صدقهم في الحديث، وبذلك يقع الزين الحقيقي، وما يدل على ما به الزين يزين، وصدق الحديث من كمال العقل. ويحتمل ـ وهو الأولى إن شاء الله ـ أن تكون اللام في (**وللنهى**) دليلا على بابها لا بمعنى (على) وجعل الدليل للعقل، بمعنى أنه يدرك بمعونته حسن الأشياء بأن يدرك حسن **الرؤاء** بحسن رؤاها، فيستدل بذلك على صدق الحديث، وهو صفة كمال، وهذا هو الحسن العقلي: يمدح فاعله عاجلا، ويثاب عليه آجلا، فهو من أجل هذا حسن شرعي أيضا، ويدل على أن المراد بقوله: (**كما راق العيون نُهاء**) هذا المعنى، فهذا تقرير معنى البيت.

ثم قال رحمه الله تعالى:

128-[وَكَرُّ المُلَى يُفْني المُلَاءَ مَعَ اللُّقَى كَنَارِ ذُكَىً لم تَعْدُهُنّ ذُكَاءُ].

قوله: (**كر الملى**): **الكر**: بمعنى التكرار كما يقال: كر الجديدين، **الملى**، بالقصر والضم: جمع مُلوة، وهي الملوة بالضم، أو جمع مَلَو: أحد الملوين، وهما الملوان. قال الشاعر[2]: (**من بحر الرجز**)

---

[1] – جزء من حديث أخره مسلم في صحيحه ح:2663.

[2] – هو ابن دريد كما ذكر المستعصمي في الدر الفريد 408/4.

إنَّ الجَدِيدَيْنِ إِذا مَا اسْتَوْلَيا ... عَلى جَدِيدٍ أَدْنَياهُ لِلْبِلَى

و**الملاء**، بالضم والمد: جمع مُلاءَة: وهي الريطة، والريطة: الرقيق المنتخب من الكتان. و**اللقى**، بزنة فتى: ما طرح من ثياب وغيرها استهانة له ورغبة عنه. و**الذُّكى**، بالضم والقصر: جمع ذُكية، بالضم: وهو ما تلتهب به النار من حطب وغيره. **وذُكاء**، بالضم والمد: اسم للشمس. فتركيب البيت هو: أن كر **الملى** أي: مضي المُدد ومرورها، يفني الثياب الحسان الجدد، في حال كونها مصاحبة لما ألقي غير معبوء به بعدما كان يزهو به لابسه كما صار يزهو اليوم بهذه الجدد، فإنها سيُبلِيها مرور **المُلى** كما أبلى الخُلْقَان الدّارِسَة التي صارت بين يديه لقى، فالثياب ولابسُوها يفنيهم مرور الملوين كما يفني الحطب الجزل ضرام النار عليه بسبب إلقائه فيها.

ثم قال رحمه الله تعالى:

129-[وجَذْبُ البُرَى يُبْرِي البُرَاءَ وفي الرُّغَى لِذَاتِ رُغَاءٍ لَا تَشِحُّ بَقَاءُ].

قوله: (**وجذبُ البُرَى**) الجذب: هو الأخذ بقوة. و**البرى**، بالضم والقصر: جمع بُرَة، بالتخفيف وهي: الخِزامة، وإنما تجعل في أنف البعير القوي الصعب الشكس. و**البراء**، بالضم والمد هنا جمع: بُراية، بالضم: وهو قوة البعير على السير، تقول: لي فرس أو جمل يباري الريح، أي يجاريها فيغلبها، أو يماثلها، مع أن المباراة المغالبة في كل شيء، وإنما يقال: البراء لمن عرف بذلك ونسب إليه. و**الرغى**: جمع رغْوَة، وهو ما يعلو اللبن عند الحلاب. **والرُّغاء**، بالضم والمد: صوت البعير إذا عولج، وإلا فحنين، وإن صوت في صدره فرزام.

فكأنه يقول: إن جذب الحِلَق التي في أنوف الإبل الصعاب تذللها وتظهر ما عندها من القوة على السير، وهذا تمثيل لإظهار ما عند النفس من الجلد والتجلد عند أخذ صاحبها لها بالمجاهدة وحملها على ما ليس من مألوف طبعها، فإن كانت كريمة منورة هانت ولانت ثم انقادت وكادت [1] كما قال الشاعر[2]: "**هِيَ النَّفس مَا حمّلتها تتحمّل...**"

---

[1] – في النسختين: "وكادت" ولعلها أو كادت. م.

[2] – هو علي بن الجهم وتمام البيت: "هي النّفس ما حمّلتها تتحمّل ... وللدّهر أيام تجور وتعدل" انظر أنس المسجون لصفي الدين البحتري الحلبي ص52. والعقد الفريد 272/1.

فهي بمنزلة الجمل الصعب الذي يراض بالخزامة التي ربما تجمل بها بعد ذلك، فمن رآه ورأى الخِزامة في أنفه علم أنه راحلة. فمن راض نفسه على الاجتزاء باليسير والاكتفاء بالكفاف قبلت ذلك وتحملته.

قوله: (**وفي الرُّغى**): معناه أن الاجتزاء بشرب اللبن رُغاء الإبل التي لا تَشِحُّ باللبن بقاء لنفس الإنسان وكفاية لها، يقال: ارتغى: إذا شرب رغوة اللبن، ومنه المثل وهو قولهم: "يسرا حسوا في ارتغاء". [1]

فبقاء: مبتدأ مؤخر، **وفي الرغى**: خبر مقدم. **ولذات رغاء**: حال من الرغى. **ولا تشح**: صفة **لذات رغاء**، والتقدير: بقاء الإنسان كائن في الرغى حال كونه لإبل صاحبة رغاء غير شحيحة باللبن. والمقصود من هذا الخبر الحث على رياضة النفس حتى تكتفي بما فيه الكفاف.

قال رحمه الله تعالى:

130-[وَلَوْ ذُو الرُّشَى اعْتَاضَ الرُّشَاءَ اتَّقَى لَظىً فَمَا لِلُّهَى تُجْرِي العَذَابَ لُهَاءُ].

قوله: (**ولو**): حرف إغياء. (**ذو**): بمعنى صاحب، اسم كان المحذوفة بعد (**لو**). (**الرُّشى**): مضاف إليه ما قبله: جمع رِشوة[2]، وهي ما يأخذه الحكام على الأحكام، والقضاة على الميل والاستكتام، وهو حرام بالكتاب والسنة والاجماع. وفي الرشوة يقول الشاعر[3]: (**من بحر الطويل**)

وكُنْتُ إذا خاصَمْتُ خَصماً كَبَبْتُهُ ... على الوَجهِ حتّى خاصَمَتْني الدَّراهِمُ

فَلَمّا تَنازَعْنا الْخُصومةَ غُلِّبـــــتْ ... عَلَيّ وَقَالُوا قُمْ فإِنَّكَ ظـــــــالِمُ

---

[1] – هذا مثل يضرب لمن يتظاهر بأمر ويخفي سواه، والاحتساء الشراب شيئا فشيئا والارتغاء: ترك الرغوة.

[2] – يقول عبد العزيز المغربي في نظم مثلث قطرب "أَمَّا الغَزَالُ فَالرَّشَا***والحَبْلُ لِلدّلْوِ الرِّشَا
وَبذْلُ مَالٍ الرُّشَا***لحَاكِمٍ مُسْتَكْلِبِ"

[3] – هو: أبو محلمٍ من ولد طلبة بن قيس بن عاصم كما في الكامل في اللغة والأدب للمبرد 121/1.

والرشاء، بالمد: جمع رشاءة، وهو نبت تدبغ به الجلود تسميه العامة الجداري يشبه القرنفل، وهي التي تسميها العامة الزوايا. و**اللُّهَى**، بالقصر، جمع لَهوة: وهي العطية. **واللُّهاء** بالمد: المقدار، تقول: منحته مقدار لُهية أي قدرها.

وتركيب البيت هو: أنه لو اجتزأ، أي اكتفى، بالنبت المسمى بالرُّشاء الشخص الذي يرشى على الحيف، واقتصر على ذلك عوضا عما يأخذه من الرُّشى لكان متقيا بذلك حر لظى التي هي لا خير بعده بخير.

فالبيت مقتبس من قوله تعالى: {**كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ**} [**المعارج**:**15**،**16**].

***

لما انتهى كلامه على ما يضم أوله في حالتي المد والقصر مع اختلاف المعنى شرع يتكلم على:

باب: ما يكسر فيقصر ويضم فيمد باختلاف المعنى

فقال رحمه الله:

131-[وَكُلٌّ بِغىً تُرْدِي اصْطَبِرْ عَنْ بُغَائِهَا فَكَمْ في مِنَى بِالصَّبْرِ فَازَ مُنَاءُ].

(**وكل**): **الواو**: للاستئناف، **وكل**: كلمة شمول تلازم الإضافة غالبا إما إلى مفرد وإما جملة كقوله تعالى: {**كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ**} [الأنبياء: 93]. (**بِغى**) بالكسر والقصر: جمع بِغية بالكسر وهي: ما يبتغى. و**البُغاء**، بالضم والمد مصدر بغيت الشيء: إذا طلبته. و**مِنى**، بالكسر: قرية بإزاء عرفة يقيم فيها الحجاج ثلاثة أيام لرمي الجمار. و**المُناء** بالضم والمد: المنهض، يقال: ناء بمعنى نهض. وأناءه بمعنى أنهضه، وأناءه بمعنى أبعده وأقصاه، وأناءه أيضا بمعنى أثقله، وأناء أضيافه إذا سامرهم لآخر الليل. **وتردي** بضم التاء: مضارع أرديته: أي أوقعته في الردى وهو الهلاك.

فكأنه يقول: كل بغية، أي طلبة، مهلكة باغيها اصطبر عن طلبها، وجاهد نفسك في صرفها عن هواها، فإنما يفوز من فاز بالصبر على الطاعة، وعن الهوى والمعصية، فكثير فاز بظفره بمِنى بعد ما ارتكب الكلف ومشاق السفر وتكاليف الإحرام: من التجريد من المخيط، وترك الطيب والنساء، والكف عن قتل الهوام، إلى غير ذلك. فالمراد الأمر بالصبر عن كل ما يردي، والترغيب في كل ما يؤدي إلى الفوز بالمطلوب.

ثم قال رحمه الله تعالى:

132-[وَفي ذِي مِعىً مِثلُ المُعَاءِ احْتَسِبْ ثِنىً فَضِعْفُ جَزَاءِ المحسِنينَ ثُنَاءُ].

قوله: (**وفي**): **الواو** للاستئناف، وإن شئت جعلتها حرف عطف، وفي البيت تقديم وتأخير حتى صيره من نوع التعقيد، **والفاء**: ظرفية بمعنى عند. فكأنه يقول احتسب ثنى عند **ذي مِعى**

بالكسر والقصر، وهو واحد الأمعاء، فكأنه يلمح بذلك إلى قوله صلى الله عليه وسلم: " **في كل ذي كبد أجر**". وفي رواية: "**رطبة**".[1]

و**المعاء** بالضم وبالعين المهملة والغين المعجمة أيضا: صوت الهر، يقال: مغا يمغو: إذا صاح وهو: اسم صوت حيث لم يصنع منه فعل. و**الثِّنى**، بالكسر والقصر: المعاودة مرة بعد مرة. و**الثُّناء** بالضم والمد: معدول عن اثنين كمثنى، **وضعف** الشيء: مثله خاصة، بخلاف أضعافه أو ضعفيه، يقال: لك ضعفه أي: مثله، وثلاثة أمثاله. والمعنى الثاني هو المراد هنا فكأنه يقول: احتسب في صاحب **مِعى** ضعيف له صوت نحيل مثل صوت الهر في الضعف إعادة إلى الإحسان إليه كسقيه وإطعامه المرة بعد المرة.

ثم قال رحمه الله تعالى:

133-[وَخُذْ مِنْ بِرَى العِلْمِ البُرَاءَ تَيَمُّناً وسُوءَ المِشَى اهْجُرْ ولْيَجِدْكَ مُشَـاءُ].

قوله: (**وخذ**): الواو حرف عطف، وهو من باب عطف الجمل. **خذ**: فعل أمر من أخذ. (**من برى**): من حرف جر، إن شئت جعلته للجنس، وإن شئت جعلته للتبعيض، و**البرى**: عبارة عما يكتب به سواء كان مما يُبرى أي يرقق لتتهيأ به الكتابة فيقال له: مَبْرِي على غير القياس فتقول: بريت القلم أُبريه، بالضم: تسبّبْت في بريه وأبراني الوجد: أدق جسمي، وبريت الخبر: أتيت به أولا، وأبريته لغة فيه، فتقول: أخذت قلما مُبرىً، وقلما برية. وقد يتهيأ الشيء للكتابة من غير بري كالمتخذ من نحاس أو حديد أو صفر. وإنما أضيف العلم إلى البري؛ لأنه سبب لتحصيله وحفظه وصيانته، وهو القلم، قال الله تعالى: {**عَلَّمَ بِالْقَلَمِ**} [**العلق: 4**] واختلف في باء (بالقلم) فقيل: سببية، وقيل: استعانية، ولذا قال الناظم رحمه الله: (**وخذ من برا العلم البراء تيمنا**) أي خذ نخالة القلم المبري حالة كونك متيمنا أي متبركا بها لا على سبيل الرياء والسمعة وطلب الجاه والحظوة. وفيه نوع استعارة، وهي استعارته بحُتَات القلم عما يتحصل من متشابه العلم ودقائقه ورقائقه، ومشكله واستنباطه بآلاته.

[1] -حديث: "في كل كبد رطبة أجر" أخرجه البخاري في (المساقاة والمظالم والأدب)، ح: 2363، ومسلم في (السلام)، ح:2244.

قوله: **(وسوءَ المِشى اهجر)**؛ لأنها المطِّيطا، ولأنها الهيأة التي تدل على جهل صاحبها وسوء طويته، قال رسول الله صلى الله عيه وسلم: "**إذا مشت أمتي المطيطا واستخدمت أبناء الملوك كانت الدولة للعدو**"[1]. وقال لأبي دجانة – وكان يختال عند الحرب سجية لا يستطيع غيرها– : "**تلك مشية يبغضها الله ورسوله إلا في مثل هذا الموضع**"[2]. و**المُشاء** بالضم والمد: الالتجاء إلى الله في السراء والضراء، وهي من نوادر اللغات.

[1] – ضعيف: رواه الترمذي وقال: غريب وعنه السيوطي في جامعه ورمز له بالحسن وقال الهيثمي إسناده حسن قال المناوي: وفيه زيد بن الحباب قال في الكشاف: قد وهم وموسى بن عبيد ضعفوه وعبد الله بن دينار غير قوي 445/1.قلت: رواية الترمذي: " سلط شرارها على خيارها " بدل "كانت الدولة للعدو " والله أعلم.م.

[2] – المعجم الكبير للطبراني ح: 6508.

باب: ما يضم فيقصر ويكسر فيمد باختلاف المعنى

عكس الباب الذي قبله.

قال رحمه الله تعالى:

134-[بِمُؤتَاكَ لِلمِأتاءِ فُق مُؤثِقاً عُرىً مَحَامِدَ عَنهَا البَاخِلُون عِرَاءُ]

قوله: (**بمؤتاك**): الباء سببية. **مُؤتاك** بالضم والقصر: المعطى من الأشياء. و**المِئتاء** من الأشياء بالمد والكسر: المعطاء، مبالغة في كثرة العطاء، وهو اسم فاعل دال ببنيته على كثرة العطاء مصروف لزيادة الوصف وقصد المبالغة عن مُعطٍ، تقول: مِعطاء بكسر الميم في كونه اسم فاعل، وتضم حيث كان اسم مفعول واليد المِعطاة خير من اليد المُعطاة، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: " **اليد العليا خير من اليد السفلى**"[1]. يقال: رجل معطاء، وامرأة معطاءة. و**العُرى** بالضم والقصر: جمع عُروة بالضم، وهي عبارة عما يتوصل به إلى أخذ الأشياء التي لولاها هي لم يقدر عليها، كعروة الدلو والسقاء. ومنهن المعنويات، وأتى بما ذكر عبارة عن عرى الإسلام الخمسة وأصوله الثلاثة، قال الله تعالى: {**فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**} [**البقرة: 256**]. و**العِراء** بالكسر: جمع عِروَى على وزن عِكلَى بمعنى خِلو. فبَاءُ **بمؤتاك** تتعلق **بفُق** و**المئتاء** مفعول **فُق** واللام فيه لتقوية العامل. و**موثقا** وهو مضاف إلى محامد[2]، وجملة: (**عنها الباخلون عراء**) في موضع خفض صفة لمحامد، و**المحامد** جمع محمدة، والمحمدة بمعنى الحمد، وهو الشكر. حمده كسمعه.

فكأنه يقول لك: فق الشخص الكثير العطاء بما تعطيه، أي غالبه بذاك حتى تفوقه في حال كونك محكما على محامد خلى عنها الذين يبخلون، أي لم يظفروا منها بشيء لفقدهم أسباب الظفر بها من المكارم والجود.

---

[1] – متفق على صحته رواه البخاري بهذا اللفظ وزيادة: " وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ومن يستعف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله "كتاب الزكاة، كما رواه مسلم بإيجاز. والله أعلم. م.

[2] – في الكلام سقط فموثقا حال وعرى مفعول لموثقا وهو مضاف إلى محامد. والله أعلم.

ثم قال رحمه الله تعالى:

135-[وَدَعْ ذا القُلَى يُجري القِلاءَ ومِنْ لُهَىً تَعَوَّضْ ثَنَاءً تَشْتَهِيه لِهاءُ]

قوله: (**ودع**): فعل أمر بمعنى اترك، أي: صاحب القُلى بالضم والقصر: جمع قلة، وهي لعبة للصبيان، بل جمع كل لهو. و**القِلاء** بالمد والكسر: الحمر الخفاف، واحدها قلو. و**اللُّهى** بالضم والقصر: ما يضعه الطاحن في فم الرحى. و**اللِّهاء** بالمد والكسر: جمع لَهاة وهي اللحمة الرقيقة الممتدة من منتهى اللثة إلى منتهى الحلق، ويجمع أيضا على لَهوات. كما روي أنه صلى الله عليه وسلم: "**كان يدخل السواك إلى لهواته عند الاستياك حتى يقول: هق**" [1] قال الشاعر[2] (**من بحر الرجز**):

يَا لَكَ من تَمْرٍ ومِنْ شِيشاءِ ... يَنْشَبُ في المَسْعَلِ واللِّهَاءِ

فكأنه يقول: اترك صاحب اللعب **بالقُلى** يجري الحمر الخفاف، واتخذ عوضا مما يجعل في فم الرحى من القوت ثناء عليك جميلا تستلذه **اللُّها** لاشتهاء **اللِّهاء** له. والمراد منه لازمه لكونه جميلا باقيا محمود العواقب. قال الشاعر[3]. (**من بحر البسيط**):

وما على مُشترٍ حمْداً بمَوْهِبَةٍ ... غبنٌ ولوْ كان ما أعْطاهُ ياقُوتا

وفي هذا البيت من بديع الكناية. وهي كناية عن اللهاء باشتهائها باستماع الثناء الجميل

فالبيت مشتمل على قول الشاعر[4]. (**من بحر الطويل**):

لشتّان مَا بَين اليزيدين فِي الندى ... يزِيد سليم والأغر ابْن حَاتِم

---

[1]- لم أقف عليه.

[2] - لأبي مقدام الراجز كما في سمط اللآلي ص874.

[3] - هو: الحريري كما في مقاماته، المقامة المروية. من أبيات مطلعها:

"لاتحقِرَنّ أبيْتَ اللّعنَ ذا أدبٍ * لأنْ بَدا خلَقَ السّرْبالِ سُبروتا".

[4] - هو ربيعَة الرقى مولى بنى سليم ويكنى أَبَا أُسَامَة كما في الحماسة البصرية لأبي الحسن البصري. 266/2. ورواية البيت الأخير "فلا يحسب التمتام أني هجوته...".

يزيد سُلَيم سَالم المالِ والفـــــتى ... فتى الأزْد لِلأموال غُير مُسَالم

فهمّ الْفَتى الأزدى إِتْلَافُ مَاله ... وهمُّ الْفَتى الْقَيْسِي جمعُ الدَّرَاهِم

أيحسَبني القيسِيُ أني هَجوتُه ... ولكنني فضَّلْت أهلَ المكَارم

ثم قال رحمه الله تعالى:

136-[فَكَمْ فِي العُدَى تَحْتَ العِدَاءِ فَتىً لَهُ ذُرًى كَانَ فِيهَا لِلْعُفَاةِ ذِرَاءُ]

قوله: (**فكم في العدى**): **الفاء**: ترتيبية. و**كم** تكثيرية. **في العُدى**: جار ومجرور، وهي بالضم والقصر: جمع عُدوة أي: ما علا وارتفع من جانبي الوادي وغيره، قال الله تعالى: {**إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ**}[الأنفال:42]، وربما سمي بالعدوة الإقليم؛ فإن الأندلس والمغرب يسميان بالعدوتين، كما في (النفح)[1]. و**العِداء** بالمد والكسر: كلما يوضع على الميت من حجارة وخشب. و**الذُّرى** بالضم والقصر: جمع ذروة، والذروة بالضم والكسر: ما علا كل شيء. و**الذراء** بالمد والكسر جمع ذرى، وهي الحصون التي يلجأ إليها ويتمنع بها. والمنعة حيث كانت يقال لها **ذراء**، وإذا فتح فإنما هو ذرى الشجرة مما يترفق به للدفء ونحوه.

فكأنه يقول: كانوا ذوي حصون تأوي إليها العفاة، أي طلاب المعروف، وتجد بها ما تنتفع به من أمن الخائف وإشباع الجائع. ومع ذلك فإنه ذِكْر لا يغني من دهماء الموت شيئا، إذ الموت لا يبقي على ذي فضيلة لفضله، ولا يمهل صاحب معروف لمعروفه، وإنما قصارى صنائع المعروف أن تقي مصارع السوء دنيا وأخرى، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: "**عليكم بصنائع المعروف فإنها تقي مصارع السوء**"[2]

---

[1]- يقصد نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني كقوله فيه: " فالآن مهّد الله البرين، وأفاض العدل على العدوتين" وذكر فيه رسالة من أبي الحسن المريني إلى الملك الصالح وفيها:" إمام العدوتين، ممهد البلاد، مبدد شمل الأعاد" وهكذا.

[2]- أخرجه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك وغيرهما وله روايات كثيرة لا تخلوا من مقال لكن في صحيح الجامع للألباني،3760 - 1453 - «صدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر وفعل المعروف يقي مصارع السوء». (صحيح) هكذا.م.

ثم قال رحمه الله تعالى:

137-[ثَوَى في رُبَىً يَنْفِي الرِّباءَ انْتِيَابُهَا بِهَا لِمُوافِيها كُفىً وكِفاء].

قوله: (**ثوى**)، أي: أقام. (**في رُبى**): جار ومجرور، و**الرُّبى**، بالضم والقصر: جمع رَبوة وهو ما ارتفع من الأرض. قال الله تعلى: {**وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ**} [**المؤمنون:50**]. قوله: (**ينفي الرِّباء**)، بالكسر والمد: مفعوله وهو: الحذر والخوف، وهو مصدر ربأت. و**انتيابها**: النزول به المرة بعد المرة، وهو بالرفع فاعل ينفي. و**الرِّباء**، بالكسر والمد مفعوله. و**الكُفى** بالضم والقصر: جمع كُفية وهو الكافي من الأقوات. و**الكِفاء** بالكسر والمد: الطاقة، يقال: لا كفاء له بذلك، أي لا طاقة له، و**مُوافيها**: الذي يأتيها.

فكأنه يقول: أقام ذلك الفتى الذي تحت العداء في أمكنة مرتفعة من الأرض حصينة لا خوف على من ثوى بها؛ لأنه بمجرد نزوله فيها المرة بعد المرة يزول حذرها وكذلك كل من يوافيها وعنده من القوت ما يكفيه، وما يطيقه ومع ذلك فقد انتقل عنه إلى القبور، فصار مقيما تحت الخشب والصخور، فاعتبر أيها الموفق بمثله ومثاله، ولا تغترْ بمآله ولا حاله، فإنه إلى الزوال يؤول، ولو لابسه الطول.

ثم قال رحمه الله تعالى:

138-[وذَاتَ العُجَى يَحمِي العِجَاءَ بِهَا الأُلَى وفُتْ عَزَمَاتٍ منهُم وَإِلَاءُ].

قوله: (**العُجى**)، بالضم والقصر: جمع عُجَايَة، وهو عصب سوق الخيل وأذرعتها مما يلي السنابك. و**العِجاء**، بالكسر والمد: جمع عَجوة، بالفتح: وهو ضرب من ثمار المدينة رطب أحمر، وفيه ورد الأثر الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**منْ أكَلَ في يَومٍ سَبْعَ تَمرات منَ العَجْوةِ أمِنَ مِنَ القَولَنْج**"[1]. ويليه في الجودة البرني.

---

[1] – حديث: "من أكل في يوم سبع تمرات..إلخ" متفق على صحته بدون "من القولنج" ولفظ البخاري: " من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر" اهـ وهو عنده في كتاب الأطعمة.م.، وفي الطب النبوي لأبي نعيم ح: 828 ، "عَن أَبِي هُرَيرة، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلَّم: أكل التمر أمان من القولنج." والقولنج ألم يعرض للأمعاء يتعسر معه خروج الثقل والريح قاله القاموس، قيل: سمي به لعروضه في الأمعاء الذي يقال له قولون ولما كان يتولد من البرودة والتمر حار يابس كان أكله أمانًا منه. انظر التنوير شرح الجامع الصغير:79/3.

(**الأُلى**) بالضم والقصر: اسم موصول بمعنى الذين. و**إلاء** بالمد والكسر: جمع إلوة، والإلوة مثلث الهمزة: اليمين، وهي لغة رديئة جيء بها على غير القياس، والقياس فيها أَلِيّة، بإبدال الواو ياء كما قال علي رضي الله عنه: (**من بحر الكامل**)

آلى ابْنُ عَبْدٍ حِينَ شَـــدّ أَلِيّةً ... وَحَلَفْتُ فَاسْتَمِعُوا مِنْ الْكَذّابِ

أَلّا يَفِرّ وَلَا يُهَـــــلّلَ فَالْتَقَى ... أسدان يَلْتَقِيَانِ كُلّ ضِـــرَابِ

نصرَ الحِجَارةَ من سَــفَاهَة رأْيه ... ونصَرْتُ دينَ مُحمّدٍ بِصَـــوابِ

و**العزمات**: جمع عَزمة، بالفتح وسكون الزاي: وهو مصدر عزم على الأمر: أراد فعله وصمم عليه، أو جدّ فيه.

يعني: أن الذين وفت عزائمهم على الأمور، وبرت أيمانهم أن لا يفرطوا في أموالهم، بل دأبهم أن يعالجوا في تنميتها، ويسعوا في إصلاحها، ويباشروا ذلك بأنفسهم. لا ينافي ذلك توكلهم ولا يحط من رواتبهم العلية قدر نواة، بل هو عين التوكل على الله تعالى؛ فإن الله قد شرع الأسباب، وجعل لكل شيء سببا يكون عنده لا به.

وأتى بهذا البيت تنبيها على أن العزلة وترك التسبب والكد في تحصيل المال الحلال لا يفضل فاعله على من فعل ذلك تعففا وتعطفا على العيال، كما يوهمه ما تقدم. قوله: (**ومردى بمرداء لدى متوكل**...إلخ)، فإنهما طريقتان توصلان إلى الله جعل لكل منهما رجالا، فهذا مجتهد صابر، وهذا محسن شاكر، وكل منهما مجاهد صابر.

ثم قال رحمه الله تعالى:

139-[وَيَحْمِي المُهَى ضَربَ المِهَاءِ طُلَى العِدا إذَا لَمْ تُواصِـــــلْ قَينَةٌ وطِلَاءُ].

قوله: (**ويحمي المُهى**): مضارع حمى. و**المهى**، بالضم والقصر مفعوله، وضرب: فاعله، وهو ماء الفحل في حياء الناقة. و**المِهاء**، بالكسر والمد: السيوف الرقائق، واحدها مهوى؛ وسمي بذلك لكثرة هويه إلى الضرب، وهوي صاحبه حينئذ. و**الطُّلى**، بالضم والقصر: الأعناق،

وإحداها طُلية، مبالغة في الطول؛ لأن العرب تمدح بطول العنق، فيقولون: فلان طويل النجاد عبارة عن طول العنق والصدر. والنجاد، علاقة السيف، ويقولون: كأن عنقه جيد دمية وإبريق فضة. و**الطِّلاء** بالمد والكسر: من أسماء الخمر، بالفتح: الخلوق، والقطران أيضا. و**القينة**: الأمة المغنية. و**مواصلة** الشيء: المواظبة عليه.

وكأنه يقول: لا يحمي الماء الذي في أرحام الإبل، وهو أتفه تافه فضلا عن كرائم الأموال، إلا أن تضرب دونها أعناق العدو بالسيوف الجياد المعدات للمهوى إلى ضرب الأجياد الرقاق المتون، بشرط العدل والتقى المعبر عنهما بقوله: **(إذا لم تواصل قينة وطلاء)**، أي: إذا لم يواظب على الخمر والغناء، فإن فعل لم ينفعه سيف ولا سنان، كما رفع النصر عن أهل الأندلس لما اشتغلوا بالشرب وانهمكوا في سماع الشعر والضرب.

ثم قال رحمه الله تعالى:

140-[وَصَوْنَ الْخُطَى عَنْ ذِي الْخِطَاءِ الْتَزِمْ وَهَبْ صُفَاكَ لِمُهْدَى مَنْ لَدَيْهِ صِفَاءُ].

قوله: **(الخُطى)**، بالضم والقصر: جمع خطوة، وهو ما بين القدمين في التخطي، و**الخِطاء**، بالكسر والمد: الأثر وصوته، أو خشخشة الماشي. و**الصُّفى**، بالضم والقصر: صَفْوة، وهي خيار كل شيء. قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} [آل عمران: 33]**.

قوله: و**الصِّفاء**، بالكسر والمد: المصافاة. و**مُهدى**، بضم الميم: السيد، اسم مفعول من أهدى إليك هدية. و**الصِّفاء**: نائب عن فاعل.

فكأنه يقول: احفظ خطاك من السعي بها إلى الإثم والمأثم، بل وعن صاحب الإثم والتزم ذلك، وأهلك خيار ما عندك بلا عوض.

قوله: **(وهب)**، أي: التزم ذلك، وملِّك خيار ما عندك بلا عوض شخصا أهدى إليك على وجه المصافاة لا جراء البذل والمكافأة.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «**من أسْدَى إليكم معْروفا فكافِئُوه ولو بالدُّعاء**».[1]

ثم قال رحمه الله:

141-[وَسَامِ السُّهَى وَاحْمِل سِهَاءً عَلَى سُرىً تُـخالُ بِطِيئَاتٍ لَدَيْهِ سِرَاءُ].

قوله: (**وَسَامِ السُّهَى**)، المساماة: المباراة والمفاخرة، تقول: ساميت الرجل: إذا طاولته في المجد والعلا. والسُّهى، بالضم والقصر: نجم خفي يختَبِر الناس به أبصارهم، وكثيرا ما تضرب العرب به الأمثال. و**السِّهاء**، بالكسر والمد: جمع سَهوة، بالفتح، وهي الناقة الرقيقة للسير والحمل فلا يكلفها السير وحمله عليها. والسهواء: بيِّن السَّهاوة[2]، وتقول: ناقة سهواء: إذا كانت وطية لينة السير غير قطوف. والسهاوة: مصدر سهت الناقة سهوة وإسهاء أو سهاوة، فهي سهواء وسهوانة على وزن سلوانة. و**السُّرى**، بالضم والقصر: سير الليل، و**السِّراء**، بالمد والكسر: جمع سروة، مثلثة السين، كما في القاموس: السهم القصير، أو عريض النصل طويله. و**تُخال**، بضم التاء: مضارع خال، أي: ظن، مبني لما لم يسم فاعله، مسند للمفعول الثاني وهو **سراء**: فلأجل ذلك رفع.

فكأنه يقول: اربأ بنفسك عن سفاسف الأمور، واجنح إلى معاليها حتى تكون في السمو نظير السُّهى الذي هو أشد الكواكب خفاء من أجل ارتفاعه في الأفلاك، فالأمر بمساماة السهى، أي: مغالبتها في السمو، تمثيل لما ذكرناه، واستعمِلْ أيضا السير في الليل بالنوق السهلة السير، واحملها على ذلك حتى تضمر وتظن بطاناتها مع ضخامة أجسامها شبها لشدة نحافتها وفرط ضمورها بالسرى سهاما حنايا؛ فإن في الحركة ـ كما قيل ـ بركة، أي: بركة في الجسم بما يعيد السيرُ من صحته. وفيه أيضا البركة في العلم بما يستفيده المسافر برؤية ما لم يره في الإقامة، وفيه أيضا البركة بالتخلق بما يقتبسه المسافر ممن يلقاه من أهل الفضل.

---

[1] –حديث: " من أسدى إليكم معروفا ... " صحيح رواه أبو داود والنسائي، بلفظ " من صنع"، وأورده صاحب الكشف تحت رقم: 2368، بلفظ الشيخ إلا أنه قال في آخره: " فإن تستطيعوا فادعوا له "، بدل "ولو بادعاء". م.

[2] – قال ابن سيده في المحكم .406/4"جمل سَهْوٌ بَين السَّهاوَةَ: وطيء، وَقيل: كل لين سَهْوٌ، وَالْأُنْثَى سَهْوَةٌ. والسَّهْوُ: السهل من النَّاس والأمور والحوائج". م.

ثم قال رحمه الله تعالى:

142-[وَحَاذِرْ ظُبِيَ عِنْدَ الظِّبَاءِ فَلَنْ تَرَى دُمِيَ فَتَكَتْ إِلاَّ تُـطَـلُّ دِمَـاءُ].

قوله: (**وحاذر**): فعل أمر من حذِرَ، بالكسر، والمحاذرة مفاعلة من الحذر، بالكسر، والحذَر، بالتحريك، والاحتذار، والمحذرة، جميع ذلك من الاحتذار، فهو حاذر وحذران وحذر، يجمع على حذارى، أي: متيقظ شديد الحذر، بكسر الحاء وسكون الذال المعجمة. قال الله تعالى: **{خُذُوا حِذْرَكُمْ} [النساء: 71]**.

و**الظُّبى**، بالقصر والضم: جمع ظُبَة بالظاء المشالة وفتح الباء مخففة بوزن ثُبة: وهو حدُّ السيف أو السيف نفسه. و**الظِّباء**، بالكسر والمد: جمع ظبي. و**الدُّمى**، بالقصر والضم: جمع دمية، وهي صورة من الرخام أو المرمر. ويعبر بها عن النساء وهو المراد هنا. يقال: **طُلَّ دَمٌ**، بالبناء لما لم يسم فاعله، أي: لم يقتل قاتله ولا أخذت فيه دية، ومثله هُدر، وسُفح، وبطل، وناح عليه الذئب، ولم ينتطح فيه عنزان. والفرق بين الإهدار والطل أن الإهدار يكون القاتل فيه آمنا من المطالبة بالثأر، كإباحة دم المقتول من جهة سلطان أو غيره. و**الفتك**، مثلث الفاء، كالفتوك: ركوب ما هم به من أمر دعت إليه النفس مع القدرة عليه والإتيان به على وجه يُعْجَز عنه حتى يكون ذلك الأمر كأنه طوع يده. يقال: فتك، بالفتح، يفتك، بالضم والكسر، كبتك يبتك ويبتك.

وكأنه يقول: خذ حذرك من ظبيً، أي: عيون تشبه ظُبى السيوف بالفعل؛ وهي استعارة تحقيقية[1]. وقوله: (**عند الظِّباء**) صفة للظبى، كنى بتلك الظُّبى عن النساء الحسان الشبيهات بالغزلان في الحسن، فلست ترى حسناء فتكت بشخص، أي: قتلته بحبها، إلا ومقتولها لم

[1]- سميت اسْتِعَارَة تحقيقية لتحَقّق مَعْنَاهَا الْمجَازِي حسا أَو عقلا. وضابطه أَن يكون الْمَعْنى أمرا مَعْلُوما يُمكن أَن ينص عَلَيْهِ ويشار إِلَيْهِ إِشَارَة حسية أَو عقلية. كما تسمى بالِاسْتِعَارَة المصرحة: وتعرف بلاغيا بأَن يذكر الْمُشبه ويحذف الْمُشبه بِهِ مَعَ ذكر الْقَرِينَة مثل قولك رَأَيْت أسدا يَرْمِي وَأَنت تُرِيدُ الرجل الشجاع وَلَقِيت أسدا فِي الْحمام وهكذا. انظر دستور العلماء للقاضي الأحمد نكري.74/1.

يطلب له بثأر، ولم تؤخذ فيه دية، وهذا علة الأمر، وبيان لعاقبة ظُبى الظِّباء؛ فإن مقتولها مطلول الدماء. وهو في الحقيقة أمر بغض البصر، والتحذير من غوائل النظر[1].

وجملة قوله: (**إلا تُطل دِماء**): في موضع نصب على الحال من فاعل فتكت، وهو ضمير دُمى. و**تُطل** بضم التاء: مبني لما لم يسم فاعله، مرفوعه: **دماء**، ولا يبنى للفاعل أبدا، كماضيه، وهو طُلٌ كما تقدم.

ثم قال رحمه الله تعالى:

143 -[وَوَالِ الْهُدَى تُرْزَقْ هِدَاءَ كَوَاعِبٍ وُلَى نِسْوَةٍ يُصْفَى لَهُنَّ وِلاَءُ].

قوله: (**ووال**)، فعل أمر والى الأمر: إذا باشره بنفسه. **الهدى**: مفعوله، وهو عكس الضلال، والهدى هو الحق، ويعبر به أيضا عن الاستقامة. و**الهِداء**، بالكسر والمد: مصدر هديت العروس إلى زوجها، أي: زففتها. و**وُلى**، بالضم والقصر: جمع وُلى، بالضم والقصر: أنثى الأوْلى، يقال: هو أولى بهذا، وهو الأوْلى والأولون. وفي المؤنث: الولْيا والْوُلْيَان والْوُلَى والْوُلْيَيَات كما في القاموس[2]. و**وِلاء**، بالكسر والمد: مصدر واليته، كالموالاة، أي: اتخذته وليا، أي: صديقا هنا. و**الإصفاء**: الإخلاص. و**الكواعب**: الجواري اللتي نهدن، الواحدة، كاعب، ويقال: كعَب ثدي الجارية، بالفتح، يكعُب ويكعِب، بالكسر والضم كعوبا، وكعب ثديها أيضا تكعيبا، فهي كاعب، ومُكعب كمحدث، وكَعاب كسحاب. وقوله:

(**وُلى نسوة**): مخفوض على أنه نعت كواعب، وجملة (**يصفى لهن وِلاء**): صفة للنسوة، وهي في محل خفض.

---

[1]- هناك أبيات جميلة تحذر من شرور وغوائل النظر ذكرها الذهبي في الكبائر ص59 وهي:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنْ النَّظَرِ ... وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا ... فِي أَعْيُنِ الْعِيْنِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطَرِ

كَمْ نَظْرَةٍ فَعَلَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا ... فِعْلَ السِّهَامِ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتَرِ

يَسُرُّ نَاظِرَهُ مَا ضَرَّ خَـــــــاطِرَهُ ... لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرَرِ.

[2] - القاموس المحيط، فصل الواو، ص: 1344.

والمعنى: تابع الهدى يرزقك الله نكاح نساء كواعب أبكار، فتزف إلى منزلك تلك الكواعب أحق نسوة موصوفة بإخلاص الصداقة والحب لهن بذلك؛ لكونهن عُربا أترابا لا يبغين ببعولتهن بدلا، ولا يلتفتن إلى غيرهم.

***

باب: مـا يفتح فيقصر ويكسر فيمد والمعنى واحد

وهذا شروع من الناظم رحمه الله في الكلام على ما اتفق في المعنى من المقصور والممدود كما **في قوله رحمه الله تعالى:**

144-[سَيَفْنَى الْغَمَى وَالْجَدْرُ بَعْدَ غِمَائِهِ وَيَبْقَى الْفَدَى لَوْ يُسْتَطَاعُ فِدَاءُ].

قوله: (سَيَفْنَى الْغَمَى)، يعني: أن البنيان سيفنى ولو بعد حين، فيسقط سقفه وحجراته، وتتهدم وتفنى جدرانه. **فالغَمَى**، بفتح الغين المعجمة والقصر: كالْغِماء بالكسر والمد. **ويبقى**، أي: يدوم. **الفَدى**، بالفتح والقصر: **كالفِداء**، بالكسر والمد: وهو ما يُفْتدى به فيهما معا. وحقيقته ما يُفتدى به من عذاب الله من الأعمال الصالحات، لو كان ما يفتدى به من ذلك مستطاعا للشخص. ولا شك أن استطاعة الأعمال الخالصة مما يستبعد حصوله لعدم الثقة بالقبول: إما من جهة العامل، وإما من جهة الآفات المبطلة لها كالرياء والسمعة والعجب وما في معنى ذلك؛ لكون النفس لها فيه حظ، أو من جهة العامل لما يتعرض له دونها من الكسل والموانع والمبطلات الشرعية.

والبيت مقتبس من قوله: **{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا } [الكهف: 46]**، وفيه تلميح إلى قوله صلى الله عليه وسلم: « **كُلُّ الناسِ يغْدُوا فبائِعٌ نفسَه فمُعتِقُها أو مُوبقُها**».[1] أعتقنا الله بواسع فضله، آمين.

ثم قال رحمه الله:

145-[وَيُنْبَذُ سَهْمٌ ذُو غَرىً بِغِرَائِهِ وَيَذْهَبُ وُرَّادُ الأَضَـا وَإِضَـاءُ].

قوله: (**وَيُنْبَذُ**)، أي: يطرح، و**الغَرَى**، بالفتح والقصر، و**الغِراء**، بالكسر والمد: الذي يلصق به الريش على السهم. و**الأضا**، بالفتح والقصر، كالإضاء، بالمد والكسر: جمع أضاءة، وهي:

---

[1] – حديث: "كل الناس ..." جزء من حديث صحيح، أورده مسلم بلفظ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ... وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا». مسلم / صحيح مسلم / (باب فضل الوضوء)، الحديث رقم: (223). وأخرجه الترمذي في سننه / الحديث رقم: (3517)، [وقال] : هذا حديث صحيح .

الغدير. فقوله: **ينبذ** معطوف على قوله: **سيفنى**، أي: سيفنى ما ذكر من البنيان ويؤول أمره إلى الخراب، وسيطرح سهم عليه ريش ملصق **بغرى** مع **غرائه** أيضا، أي: يفنى الذين يَرِدُون الغدر من أهل البادية أهل العمود والمسافرين.

فالبيت في قوة قوله تعالى: **{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص: 88]**، فلا يبقى أهل بنيان، ولا أهل عمود، ولا تعول على شيء من ذلك.

ثم قال رحمه الله:

146-[وَمأْوَى السَّحَى فُقْدَ السِّحَاءِ خَرَابُهُ وَكَـمْ ذِي دَلاً لَمْ تُغْنِ عَنْهُ دِلاَءُ].

قوله: (وَمأْوَى السَّحَى)، يعني أن مسكن السَّحى الذي هو الخفاش، والحصون المشيدة في الخراب وانعدام ساكنها، وهوانهما على الله تعالى سواء. وإنما مثل بالسَّحى دون سائر الطير لأنه أوهنها عشا، وأخفها منعة، وأقلها مؤونة، وهو أتم الطير خلقا مع صغر حجمه وقبح منظره. و**السِّحاء**، بالكسر والمد: الخفاش أيضا. و**الدَّلَى**، بالفتح والقصر: **كالدِّلاء**، بالكسر والمد: وهو في الحالتين جمع دَلو، وإن شئت قلت: الدَّلَى، بالفتح والقصر: جمع دَلوة، وهي الأعناب إذا نضجت، فتقول: عندي دلا ودوالي ودلاء بالمد ودوالي، كما في الصحاح: العنبة. فكأنه يقول: إن عشَّ الخفاش يخرب، وخرابه بفقد الطائر الذي كان يعمره، وكثير من صاحب دلو كان يستقي به الماء من الآبار، لم تغن عنه شيئا في نفي الفناء، ففنى وبقي دلوه وراءه زمانا، ثم فنيت، وفي ذلك يقول المتنبي. **(من بحر الكامل)**:

تَتَخَلّفُ الآثَـارُ عنْ أصْحَـابِهَا حِـينا ويُدْرِكُـهَـا الفنَاءُ فتَتْبَـعُ.

ثم قال رحمه الله تعالى:

147-[وَذاتَ الْجَرَى لاتَفْتَتِنْ بِجِرَائِهَا حِذَارَ الصَّلَى لاَيُسْتَطاعُ صِـلاَء].

قوله: (وذات الجرى)، أي: صاحبة **الجرى**، بالفتح والقصر: **كالجراء**، بالمد والكسر: سمة الجارية، يقال: جارية بينة **الجراء**، فيقصر مع الفتح ويكسر مع المد في معنى الجارية. و**الصَّلى**، بالفتح والقصر: **كالصلاء**، بالكسر والمد: وقود النار، أو عود معوج يعرض عليها ليَلِينَ حتى

يقومه الثِّقافُ[1]، والمراد هنا نفس النار. **والافتتان:** إصابة الفتنة، وهي هنا الإعجاب بالشيء. يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم: «**أُتي بخميصة، –وهي الكساء الجديد ذات الأعلام– فلما انفتل من صلاته ألقاها، وقال: ائتوني[2]بأنبجانية[3] فإن هذه فتنتني في صَلاتي بحسْنها؛ فجيء بأنباجِية، فلبِسها، فقال: البذاذَة[4] من الإيمان**».[5] وتطلق الفتنة ويراد بها الضلال، قال الله تعالى: **{وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} [المائدة: 41]**، أي: لضلاله.

فكأنه يقول: احذر الجارية ذات الفتاء، فلا تعجب لفتائها، أي: لا تكن معجبا به، ولا تضل به عن سبيل الله، وهذا الثاني أولى، ويؤيد ذلك قول الناظم (**حذار الصلى**)، أي: مخافة النار.

ثم قال رحمه الله:

148–[وَكُنْ قَائِلاً خيرا أَوِ اصْمُتْ وَذَرْ حَجاً فَمَا لاَقَ إِلاَّ بالْمَجُوسِ حِجَاءُ].

قوله: (وَكُنْ قَائِلاً خيرا أَوِ اصْمُتْ)، أيها الطالب النجاة لنفسه قائلا خيرا: من تعليم علم، أو تعليم قرآن، أو ذكر، أو نصح لأخ في الله، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، وهو واحد من الأحاديث الأربعة لأزِمّة الخير[6]، قال صلى الله عليه وسلم: «**من كان يؤمن بالله واليوم**

---

[1] –الثِّقَافُ: خَشَبَةٌ تسوى بها الرماح. كما في الصحاح 125/1.

[2]–حديث " أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بخميصة ...إلخ"، متفق على صحته رواه الشيخان، وهو عند مسلم بلفظ: " قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في خميصة ذات أعلام، فنظر إلى علمها، فلما قضى صلاته قال: " اذهبوا بهذه الخميصة إلى أبي جهم، وائتوني بأنبجانية ، فإنها ألهتني آنفا عن صلاتي". وهو عند البخاري في كتاب الصلاة، وكتاب المساجد، وكتاب اللباس. والله أعلم.م.

[3] – الانبجانية: كساء بلا أعلام.م.

[4] – البذاذة: رداءة الهيئة.م.

[5] – حديث: " البذاذة من الإيمان" صحيح رواه أحمد وابن ماجه وأبو داود، وأورده السيوطي تحت الرقم : (3196)، وقال المناوي. قال العراقي : حديث حسن، وقال الديلمي : هو صحيح، وقال ابن حجر صحيح؛ والله أعلم .م.

[6] – هنا فائدة حول الأحاديث التي عليها المدار قال عياض في إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم 284/5: " قال القاضي: ما أشار إليه – رحمه الله – هو ما روي عن أبي داود السجستاني، قال: كتبت عن رسول الله خمسمائة ألف حديث، الثابت منها أربعة آلاف حديث، وهى ترجع إلى أربعة أحاديث، قوله – عليه السلام –: " إنما الأعمال بالنيات"

الآخر فليقل خيرا أو ليصمت».[1] والثاني: « **من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**.[2] **الثالث** ـ قوله صلى الله عليه وسلم: « **لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه»**.[3]، الرابع: « **لا يخطبن أحدكم على خطبة أخيه، ولا يَسُمْ على سومه»**.[4] قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: "من أراد الكلام فعليه أن يفكر قبل كلامه، فإن ظهرت المصلحة فليتكلم، وإن شك فلا حتى تظهر المصلحة". ومن ذلك قول الشاعر[5]**. (من بحر الكامل)**:

احفظْ لسانكَ أيُّها الإنسانُ... لَا يَلْدغَنّـــــــــــكَ إنهُ ثعبانُ

كم في المقابرِ من قتيلِ لسانهِ...قدْ كانَ تهابَ لقاءَه الشّجعَانُ.

وقوله: **(وكن قائلا خيرا أو اصمت)**: **كن**: فعل أمر ناقص. **قائلا**: خبرها، واسمها مستتر وجوبا، مفعول اسم الفاعل. **أو اصمت**: عاطف ومعطوف. و**ذر**: فعل أمر. **حَجا**: مفعول به وهو بالفتح والقصر: **كالحِجاء** بالكسر والمد: زمزمة المجوس على الطعام وهو صوت يخرجونه

وقوله: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" وقوله: "لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه" الحديث، وقوله: "الحلال بين والحرام بين" الحديث. وقد روى فيها مكان حديث: "لا يكون المؤمن مؤمنا" حديث: "ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس" وقد نظمها أبو الحسن طاهر بن مفوز فى بيتين بقوله:

عمدة الدين عندنا كلمات ... أربع من كلام خير البرية

اتق الشبهات وازهد ودع ... ما ليس يعنيك واعملن بنية"

[1] –جزء من حديث متفق على صحته رواه الشيخان وابن ماجه. م.

[2]– رواه الترمذي وابن ماجه، وأو رده السيوطي تحت رقم: (8243)، ورمز له بالصحة ، قال المناوي : حسنه النووي في الأذكار، بل وصححه ابن عبد البر، وقال الهيثمي: رجال أحمد والطبراني ثقاة، وقال مرة : فيه محمد بن كثير بن مروان، وهو ضعيف. وقال آخرون: لا يصح إلا مرسلا. فيض القدير / 6 / 13. م.

[3] – متفق عليه، وهو عند البخاري في كتاب الإيمان. م.

[4]– متفق عليه، رواه مسلم بهذا اللفظ، 4 / 138. كما رواه البخاري في كتاب النكاح بلفظ: " نهى صلى الله عليه وسلم أن يبيع بعضكم على بيع بعض، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبل، أو يأذن له الخاطب ".م.

[5] – هو الشافعي كما في الموسوعة الإلكترونية العالمية للشعر العربي القصيدة رقم: 14305.

من خياشيمهم يتفاهمون به لحرمة الكلام عليهم إذ ذاك بزعمهم. ولذلك رغب الشارع في الكلام على الطعام مخالفة لهم. دون المبالغة فيه والإكثار منه.

وقد خرج الناظم عن عادته في هذا البيت، فاقتصر فيه على ذكر كلمتين وهما **الحَجا والحِجاء**؛ لعدم وجود كلمتين يكمل بهما العدد الذي التزمه في غيره من الأبيات.

وزمزمة المجوس وما في معناها مما لا يفهمه جميع الناس كالعجمية، من التناجي المنهي عنه لقوله صلى الله عليه وسلم: «**لا يَتَناجَى اثنانِ دونَ ثالث**».[1] وقوله تعالى: **{إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا} [المجادلة: 10]**. وإلى ذلك يشير الناظم في قوله: (**فما لاق إلا بالمجوس حجاء**).

***

[1] – متفق عليه، رواه الشيخان بلفظ: " إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه"، البخاري / (كتاب الاستئذان)، ومسلم / (كتاب السلام). والله أعلم. م.

لما انتهى كلامه على ما يفتح فيقصر ويكسر فيمد والمعنى واحد شرع في الكلام على

باب: ما يكسر فيقصر ويفتح فيمد والمعنى واحد

وهذا الباب على العكس من الذي قبله.

قال رحمه الله:

149-[سِوَى الْحَقِّ فَارْفُضْ وَالضَّلاَلُ سَوَاؤُهُ وَدَعْ ذَا قِلَى يُنْمَى لَدَيْهِ قَـلاَءٌ].

سِوى الشيء، بالكسر والقصر، و**سَوَاؤُه**، بالفتح والمد: غيره. و**الْقِلَى**، بالكسر والقصر، و**القَلاء**، بالفتح والمد: البغض. و**الرفض**: الترك، رفضه يرفضُه ويرفضه، بالكسر والضم في المضارع. و**يُنمى**، بضم الياء وفتح الميم: مضارع نمى، مبني لما لم يسم فاعله، أي: يرفع وينقل ويذاع على وجه الفساد، كإنماء الحديث. وقد أخرج الناظم (**سوى**) عن الحرفية فجعلها مفعولا به في قوله: (**سِوَى الْحَقِّ فَارْفُضْ**)، وخبرا في قوله: (**وَالضَّلاَلُ سَوَاؤُهُ**)، جريا على مذهب الكوفيين، خلافا للبصريين فإنها لا تخرج عندهم عن الحرفية إلا في ضرورة الشعر. وقد صحح الناظم مذهب الكوفيين بكثرة ورودها متصرفة في الأشعار من غير اضطرار: فمن ورودها فاعلا قول الشاعر[1]. (**من مجزوء الرجز**):

ولم يبقَ سِـوَى الـعُـدْوَا ن دِنّـاهُـم كما دَانـوا.

ومن شواهد صرفها عن الحرفية للمفعولية قول الشاعر[2]. (**من بحر الطويل**):

تُجانِفُ عن جَـوِّ اليمامِة ناقَتي فما قصَدتْ من أهـلِهـا لسِـوائِكا.

فاللام زائدة وسوائك مفعول به. ومن شواهد كونها مبتدأ قول الشاعر[3]. (**من بحر الكامل**)

---

[1] – هو: الفند الزماني شهل بن شيبان، والبيت من مقطوعة قالها في حَرْب البسوس مطلعها:
"صفحنا عَن بني ذهل ... وَقُلْنَا الْقَوْم إخْوَان" انظر شرح ديوان الحماسة للتبريزي. ص6.

[2]– هو: الأعشى مَيْمُون من قصيدة مدح بهَا هَوْذَة بن عَليّ بن ثُمَامَة الْحَنَفِيّ ومطلعها:
"أحيّتك تيّاً أم تركت بدائكا ... وَكَانَت قتولاً للرِّجَال كذلكا". خزانة الأدب للبغدادي: 439/3.

[3]– هو: ابْن الْمولى يمدح يزِيد بن حَاتِم بن قبيصَة بن الْمُهلب. كما في شرح ديوان الحماسة للتبريزي: 357/2.

وَإِذا تُبَاع كَرِيمَة أَو تُشترى ... فسواك بَائِعهَا وَأَنت الْمُشْتَرِي.

فكأن الناظم يقول: اترك غير الحق، فالضلال غيره، والضلال يجب رفضه؛ فارفضه، واترك أيضا شخصا صاحب بغض لإخوانه المؤمنين، أي: اهجره في الله، ودعه وابغضه في حال كونه يضاعف عنده البغض، أو يذاع ويفشى على وجه الفساد؛ مخافة أن يعديك بذلك، فتصير ذا بغض، فإن من المعلوم أن الطباع تسرق من الطباع.

ثم قال رحمه الله:

150-[وَلَيْسَ مَعِيباً ذُو الصِّبَا لِصَبَائِهِ إِذَا حُـمَّ لِلْـبَاغِي قِـرَاهُ قَرَاءُ].

قوله: (**وَلَيْسَ مَعِيباً ذُو الصِّبَا**)، **ليس**[1]: حرف نفي ونسخ. معيبا: خبره. **ذو الصبا**: اسمه ومضاف إليه ما قبله. **لصبائه**: جار ومجرور متعلق بمعيب، وضمير المضاف إليه عائد على **ذو الصبا**. إذا: ظرف لما يستقبل. **حُمَّ**: مبني للمجهول، **قِراه**: نائبه. **للباغي**: جار ومجرور متعلق **بحم**. و**قِرَاهُ قَرَاءُ**: عاطف ومعطوف، والضمير عائد على **الباغي**. **فالمعيب**: اسم مفعول من عابه يعيبه: إذا نسب إليه عيبا. و**الصبا**، بالكسر والقصر: **كالصباء**، بالفتح والمد: أصغر الأسنان، بل يقال: أول أسنان الإنسان وليد، ثم صبي، ثم رضيع، ثم فطيم، ثم جفر، ثم غلام، ثم مراهق، ثم بالغ، ثم فتى، ثم شاب، ثم رجل إذا بلغ أشده، ثم كهل، ثم نَصَف، ثم أشمط، ثم شيخ، ثم معمر، ثم هرم، ثم فان.

و**القِرى**، بالكسر والقصر: **كالقَراء**، بالفتح والمد: الضيافة. و**حُم** الشيء، بالبناء للمفعول به قدر، ويطلق ويراد به قَرُب. قال الشاعر[2] **. (من بحر الطويل)**:

لقَدْ حُمَّتِ الحاجاتُ واللَّيلُ مُقْمِرٌ ... وزُمَّت لِطيَّاتٍ مطايا وأرحُلُ.

---

[1]-ذهب ابن السراج إلى أن "ليس" حرف؛ لأنها لا تتصرف، أي: لا يأتي منها المضارع والأمر، ومثلها: "عسى" بينما كان جمهور البصريين يذهب إلى أن "ليس" فعل ناقص لاتصالها بالضمائر مثل: لست، ولستما وليسوا، ولسن، وإلى أن "عسى" فعل لاتصالها بالضمائر مثل: عساك، وعساه. أبو بكر محمد بن السري بن سهل المعروف بابن السراج (المتوفى: 316هـ) / الأصول في النحو: 1 / 27.

[2] – هو: الشنفرى من قصيدته المشهورة بلامية العرب. انظر خزانة الأدب للبغدادي: 340/3.

فكأنه يقول: إذا قدمت الضيافة لطالبها، لم يُعب ذو صغر لصغره عيبا يمنعه من استحقاقها، بل الصغير في استحقاقها كالكبير، بل إنما يمنع من استحقاقها مخالفة المضيف، وهو الله تعالى، فالقرى المراد به هنا ما يكرم الله به عباده من الحبور والنضرة والسرور، والشرب من الماء الطهور والتمتع بالحور والقصور، مع أنهم متفاوتون في ذلك على حسب مسارعتهم لامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

ثم قال رحمه الله تعالى:

151-[وَمَا ذُو إِناً إِلاَّ بِإِثْرِ أَنَائِه بِلىً وَلِكُلٍّ جِـدَّةٌ وَبَـلاَءُ].

قوله **. (وَمَا ذُو إِناً)**، أي: ليس صاحب غاية يراد لها إلا كائن بلاه على إثر **أنائه**، أي: بلوغه غايته، فبلاؤه يعقُب جدّتَه وضعفُه يعقب شدته، وفُله[1] يعقب جِدّته. فهو بالكسر والقصر، **كالأناء**، بالفتح والمد: عبارة عن بلوغ الحد والتناهي بعد الكد والجد. قال ابن دريد **. (من بحر الرجز)**:

وإن أمُتْ فـقـَدْ تَنـاهَـتْ لذَتي ... وكُـلُّ شَيءٍ بلَـغَ الـحـدّ انتـهَى.

و**البِلى** بالكسر والقصر: و**البَلاء**، بالفتح والمد: ضد الجديد، بالكسر، وهو قرب العهد بزمان الشباب. قال الشاعر[2] **. (من بحر الوافر)**:

أتـرجـو أن تـكـونَ وأنتَ شيخٌ... كـما قد كنتَ أيـامَ الـشـباب

لقد كـذبتْكَ نفسُـك لـيـسَ ثوبٌ... جـديـدٌ كالقـديـمِ من الثياب.

فكأنه يقول: إن الجديد إذا اكتنفه الجديدان أكسباه بعد جدته بلاء، وبعد جودته فناء من غير تراخ؛ إذ لا مرتبة ثالثة تتوسط بين الجدة والجودة، والبلى والبلاء.

قوله: **(ولكل جدة وبلاء)**: أي، لكل من الحوادث التي لها غاية وأناء وجدة وبلاء ورخاء غاية تنتهي إليها.

---

[1] – الفل: ذهاب العقل، أو المال، والمعنى: أن الإنسان بعد حدة عقله يذهب عقله مع الكبر. م.

[2] – هو الجاحظ كما في ربيع الأبرار للزمخشري: 60/3.

فاسكن عند اشتدادها، وارض بقضاء الله عند امتدادها، ولا تتعب نفسك بدفعها وعنادها، حتى تنقضي مدتها، ففي الجزع عند تراكمها زيادة تعاظمها.

ثم قال رحمه الله:

152-[وَقَبْلَ إياً بَادٍ أَيَاءٌ مُغَيَّبٌ وَبَيْنَا رِوىً يَحْلُو أَمَرَّ رَوَاءُ].

الإياء، بالكسر والقصر، **كالأياء**، بالفتح والمد: ضوء الشمس. و**الرِّوَى**، بالكسر والقصر، و**الرَّواء**، بالفتح والمد: الماء الروي. و**بينا**، بالألف: لغة في بين، فيقال: **بينا**، بالألف، من غير ميم، وبينما بالميم. و**حلا** الشيء يحلو في الفم، وحلي كرضي يحلى في العين، يقال: امرأة حلوة: إذا كانت العين ترومُها وتميل إلى حسنها وملاحتها. و**أمَرّ** الشيء، بالألف: صار مرا، وهو الصحيح المرتضى، وقد يقال: مرّ بدون ألف، وهو على غير قياس.

فكأن الناظم يقول: إن قابل[1] ضوء الشمس الذي يظهر ضوءاً آخر متقدم عليه مغيب، وكما انقضى ذلك المغيب ينقضي هذا الظاهر، إذ لولا انقضاء المغيب لم يكن للظاهر ظهور، ولكل شيء تدعو إليه ضرورة الحياة ويوجب العيش فإن جلاءه كالماء المروي ينتقل من حالة حلاوته إلى حالة مرارته؛ إما لكونه مرا زعاقا، أو ملحا أجاجا لطبعه، أو لما يعرض للإنسان من العوارض التي تقتضي مرارة العذب الزلال في فيه كالحمى الصفراوية والسم الشديد. قال الشاعر[2]. **(من بحر الوافر)**:

ومَنْ يكُ ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ ... يَجِدْ مُرّاً به الماءَ الزُّلالاَ.

وهذا منه مبالغة في تقلب الزمان ومحاينة الأحيان وتغير الأعيان، والمقصود التزهيد في الدنيا بالتنفير من متاعها؛ لانتهاء غايتها إلى التنغيض.

---

[1] – الجملة هكذا في الأصل وقد استشكلها المأمون وقال هكذا في النسختين وفيها تفكك وغير واضحة. ولما تأملتها وتأملت معنى البيت قلت لعل الخطأ في عبارة إن قابل وصوابها: إنّ قبل ضوء الشمس ... إلخ يعني هناك تناوب بين الضوءين ولا يأتي أحدهما مع وجود الآخر.

[2] – هو: المتنبي كما في خزانة الأدب لابن حجة الحموي 189/1.

باب: ما يكسر فيقصر ويضم فيمد وعكس ذلك والمعنى واحد

هذان نوعان من المقصور والممدود: الأول ما يقصر إذا كسر، وإنما جعلهما في ترجمة واحدة لأنه لم يجد لكل منهما على حدته العدد الذي يتضمنه البيت من الكلمات حسبما التزم ذلك؛ إذ ليس للأول إلا كسر الفاء مع القصر وضمها مع المد، ولا للثاني إلا اللُّقَى بالضم والقصر، واللقاء، بالكسر والمد، حسبما تضمن ذلك **قول الناظم رحمه الله:**

153-[وَذُو الْقِرْفَصَى عَنْ قُرْفُصَاءَ مُحَاسَبٌ غَداً فِي اللُّقَى فَلْيُخْشَيَنَّ لِقَاءُ].

قوله: (**وَذُو الْقِرْفَصَى**): يعني أن صاحب جلسة **القِرفصى**، بالقصر والكسر، وكذلك بالضم والمد: هيئة المحتبي بيده لا بثوبه، تقول: قرفصت فلانا: إذا شددته جامعا يديه تحت ركبتيه. و**اللُّقى**، بالضم والقصر، و**اللِّقاء**، بالكسر والمد: مصدر لقيت. وفي شرح التسهيل قال: "لا أعلم مصدرا على فُعْل إلا اللُّقى والهدى والبكا والسرى".

فكأنه يقول: إن الشخص صاحب الجلسة المخصوصة المسماة بالقرفصى محاسب لأجلها، فيسأله الله عما قصد بها يوم القيامة، وهو يوم لقائه تعالى، فلا تخفى عليه خافية من أفعال العبيد، فيسأله عما قل وجل منها حتى جلسة القرفصاء مثلا، ومن نوقش الحساب فقد عذب وذلك أن العبد لا محالة محاسب عند اللقاء، فينبغي أن يكون أخوف شيء عنده اللقاء، فيقتضي فحوى الكلام: تخويف العبد من اللقاء؛ لأجل ما يكابده من معاناة الحساب؛ وذلك المقصود من قول الناظم: (**فَلْيُخْشَيَنَّ لِقَاءُ**)، مركب للمجهول موصول بنون التوكيد ليكون ذلك أبلغ في التهويل، أي: فليرهبن من اللقاء؛ لأجل ما فيه من المحاسبة التي من حقها أن يشيب من هولها العذارى النواهد لشدة بأسه وأليم تعسه. فمن أدخل الجنة فقد فاز جعلنا الله من أولئك، ومتعنا بقرة العين فيما هنالك، آمين.

***

باب: ما يضم فيقصر ويفتح فيمد والمعنى واحد

يعني: أن المقصور مضموم لا مفتوح، والممدود مفتوح لا مضموم.

قال رحمه الله:

154-[وَإِنْ كَنْتَ ذَا رُغْبَى فَرَغْبَاءَكَ اصْرِفَنْ لِدَارِ الْبُقَى مَا فِي دُنَاكَ بَقَاءُ].

قوله **.** (**وَإِنْ كُنْتَ ذَا رُغْبَى**)، أي: وإن كنت أيها المؤمن صاحب رغبة، فاصرف رغبتك إلى ما هو أهل للرغبة، ورد محبتك إلى دار **البقاء** إن لم تكن لك همة عالية تسمو بك إلى استفراغ رغبتك وقصور محبتك على محبة الواحد القهار دون دار القرار؛ لأنه لا يرضى بمحبة ما لا يبقى إلا الحمقى.

فالرُّغبى، بالضم والقصر، **كالرَّغباء**، بالمد والفتح: الرغبة في الشيء. والبُقى، بالضم والقصر: لغة في البقاء، بالفتح والمد.

ثم قال رحمه الله:

155-[وَنُعْمَى تَلِي نَعْمَاءَ فَاشْكُرْ مُشَمِّراً لِجُلَّى فَذَا الْجَلاَّءِ زَانَ عَـزَاءُ].

قوله: (**ونُعمى**)، بالضم والقصر، **كنَعْمَاء**، بالفتح والمد: النعمة في الحالتين. و**الجُلّى**، بالضم والقصر، و**الجلاء**، بالفتح: الحادثة العظيمة. قال صاحب لامية العجم **.** (**من بحر البسيط**):

فقلتُ أدْعُوك للجُلَّى لتَنصُرَني وأنتَ تخْذلُني في الحادِثِ الجَلَل.

وقال الحجاج بن يوسف **.** (**من بحر الوافر**):

أنا ابنُ جَلا وطلاعُ الثنايا متى أضعِ العمـــامةَ تعرفُوني.

و**العَزاء**: الصبر. و**نُعمى**: مفعول فاشكر. وجملة (**تلي**): صفة لنعمى. و**مشمرا**: حال من فاعل (**اشكر**)، والتشمير للأمر: التهيؤ له، والذي في القاموس بهذا المعنى: التشَمُّر، بفتح الشين المعجمة وضم الميم مشددا، فالتشمير، بمعنى التشمر. ولام **لِجُلى** للتعليل. و**ذا الجلاء**، بالنصب: مفعول زان، و**عزاء**: فاعله.

فكأنه يقول: اشكُر النعمى بعد النعماء، وتهيأ له لأجل حلول البلوى؛ فإن ذلك مما يعينك على الصبر عليها. والعزاء زين لصاحب الجلاء. والعزاء الصبر؛ فقد اشتمل البيت على مقصدين عظيمين لا محيص لأحد عنهما: وهما الصبر على البلوى، والشكر على النعماء، فلا بد من الجمع بينهما لعدم قيام أحدهما مقام الآخر.

ثم قال رحمه الله:

156-[وَبُؤْسَى اخْشَ فَالْبَأْسَاءُ حَقُّ مُخَالِفٍ حُـلاَوَى قَفَاهُ لِلْهَوَانِ مُـبَـاءُ].

والبُؤسى، بالضم والقصر، **كالبأساء**، بالفتح والمد: ضد **النعمى** و**النعماء**، و**حق مخالف**: ما يقضى به له من سوء الجزاء. و**حُلاوى القفا**[1]، بضم الحاء والقصر، ولامه مفتوحة بعدها ألف، ومثله **حلاواء**، بفتح الحاء والمد، وهذه هي اللغة المتروكة من النظم. و**مُباء**، بضم الميم: اسم مفعول من أباء بالمكان: انقطع إليه، وحله وأقام به، بمعنى تبوأه، أي: اتخذه مبوأ. والهوان: الذل مصدر هان، أي: ذل، كالمهانة والهون بضم الهاء.

فكأنه يقول: خف المكر والنقمة المؤديين إلى سلب النعمة بسبب ارتكاب المعاصي وحطها بطاعة ربك تدم لك نعمته، ولا تخالفه فتحيق بك نقمته وهي البأساء، فإنها جزاء المخالف لأمر ربه، فإنه يكون ذليلا لأجل ذلك عاجلا، وجعل نقرة قفاه، أي: وسطه محلا للذل لأنه أول ما يظهر فيه، وخص القفا لكونه محلا لما كان يظهر من آثار الذل والهوان من الطأطأة والانكسار. اللهم أعزنا بطاعتك، ولا تذلنا بمعصيتك، يا من لا تنفعه طاعة مطيع ولا تضره معصية عاص، يا ذا الطول والحول، يا من بيده نواصينا، وبتوفيقه طاعتنا، وبعدله معاصينا.

---

[1]- قال ابن جابر الأندلسي في منظومة المقصور والمدود:

"كذلك بُؤسى مدّ واقصر بلا نكر**حُلاوى القفا أيضاً..."

وقال أبو علي القالي في المقصور والممدود ص249: "ويقال وقع: على حلاوى القفا وحلاوة القفا وحلاواء القفا وعلى حلاوة القفا". وإن كان الجوهري قال في الصحاح 2219/6:"ووقع فلان على حلاوة القفا بالضم، أي على وسط القفا، وكذلك على حُلاوى القفا وحَلاواءِ القفا، إذا فتحْتَ مددْتَ، وإذا ضممت قصرت". فجعله حال المد بالفتح لا بالضم.

ثم قال رحمه الله:

157-[وَغُمَّى اجْلُ فَالْغَمَّاءَ مَنْ يَجْلِهَا يَفُزْ بِعُلْيَا وَذُو الْعَلْيَاءِ ذَاكَ يَشَاءُ].

قوله: (**الغُمَّى**)، بالضم والقصر: **كالغَماء**، بالفتح والمد: الشدة التي يعسر الاهتداء إلى كشفها، وقيل: هي التي تغم العقل حتى لا يهتدي صاحبها إلى حيلة يكشفها بها. و**الغماء**: أنثى الأغم. و**العُليا**، بالضم والقصر، و**العَلياء**، بالفتح والمد: المنزلة الرفيعة. والفوز: الظفر، ويطلق ويراد به النجاة.

فكأنه يقول: اكشف الشدة التي يعسر كشفها، وفرج الضيق الذي يصعب تفريجه؛ فإن من يفعل ذلك يظفر بمنزلة رفيعة، وصاحب المنزلة الرفيعة، أي: مالكها، من عادته تفريج الكروب على المكروبين رغبة فيما عند الله تعالى من الثواب الجزيل، والثناء الجميل، والدعاء الصادق، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «**من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرَّج الله عنه كربة من كرب الآخرة**».[1]

ويصح أن يفسر: (**ذو العلياء**)، بالشخص صاحب المنزلة الرفيعة بسبب ما اتصف به من الأخلاق الجميلة: كعلو الهمة، ونزاهة النفس، ولين الجانب وسهولة الخلق وهو أجل ما يكون عليه الإنسان صاحب المنزلة الرفيعة؛ فينشئ ذلك أي: يوجب الفوز بالعلياء، ومن أحب شيئا فعل ما يوصله إليه. وكشف الغمى عمن لا يستطيع كشفها عن نفسه، فيكون مبالغة في الترغيب في كشف الشدائد وتفريج الغم على كلا التقديرين، فاعتبر ذلك.

وهذا هو المسمى بالإرقال[2]: وهو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها، فالمعنى هنا الحث على كشف الغمى وقد تم بقوله: (**فالغماء من يجلها يفز بعليا**). فقوله: (**وذو العليا ذاك يَشاء**)، فيه زيادة مبالغة في ذلك لا تكميل له، ويصح أن يكون تذييلا[3]: وبيان ذلك أن قوله: (**يفز بعليا**)، أي: يحصل له الفوز بها عند مالكها، فيفهم ذلك أن تفريج الغمى محبوب

---

[1] – حديث صحيح، سبق تخريجه ص: 55.

[2] – أصله ضرب من السير السريع.

[3] – التذييل: عبارة عن المعنى بألفاظ تزيد عليه قال العسكري في الصناعتين ص 373: "التذييل: إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه، حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكد عند من فهمه، وهو ضدّ الإشارة والتعريض".

له وإلا لم يفز المفرج بالعليا المملوكة؛ لأن الفوز بها تمليك منه – والتمليك منه، فعله باختيار من غير تكلف ولا تكليف – فلا يملك لعلياء الأمور الشاقة التي لا يحبها كل أحد ولا يجيب إليها إذا دعي لقلتها ومخالفتها لهوى النفس، كما في قول الشاعر[1] . (**من بحر الطويل**):

ولن يكْشف الغَماء إِلَّا ابْن حرَّة ... يرى غَمَرَات الْمَوْت ثمَّ يزورها.

ويكون قوله: (**وذو العلياء ذاك يشاء**)، مؤكدا لذلك المفهوم، وهذا هو التذييل.

***

[1] – هو: جَعْفَر بن علبة الْحَارِثِيّ. شرح ديوان الحماسة للتبريزي، ص: 10.

باب: ما يفتح فيقصر ويمد والمعنى واحد

قال رحمه الله:

158-[قَوىً وَحَزىً فَحْوَى وَحَلْوَى بَهَا وَنَى وَهَيْجَا مَـعَ الدَّهْنَا قَصاً وَبَدَاءُ].

قد ترك الناظم الأسلوب الذي كان عليه: من الازدواج، والجناس الناقص، والتلويح والاقتباس والتضمين، والاستطراد، فنفض هنا من جميع ذلك يديه، وعمد إلى جمع النظائر مجردا عن تضمين المعاني بتلك المباني فقال: **قَوىً**، بالفتح والقصر ويمد: مصدر قوِيتْ الأرض، بكسر الواو: إذا أقفرت. و**الحزى**، بالحاء المهملة والزاي كما في القاموس، خلافا لما في الجوهري، فإنه ذكره بالخاء المعجمة، وهو بالقصر والمد: نبتٌ تزعم العرب أن الجن لا تدخل بيتا يكون فيه. و**فحوى**، مقصورة: ما يفهم من معنى الكلام. **وفحواء**، ممدودة: جزالة الكلام وحسن تركيبه، ومواطأة لفظه لمعناه، يقال له: فحوى الكلام، بالقصر، وفحواؤه، بالمد: ما يظهر من معناه مما لا يعلمه إلا أربابه من أذكياء العرب، ومن تفحل في أنواع البلاغة، وله أبواب، فحوى الخطاب، ولحن القول، والتلويح، والتلميح، والمنابذة والتورية.

و**الحلوى** و**الحلواء**، بالقصر والمد: كل طعام عولج بحلو. و**البَهَى كالبهاء**: مصدر بهِي البيت، بكسر الهاء: تخرق وتعطل، وقصره أقيس من مده؛ إذ قياس مصدر (**فَعِلَ**)، بالتحريك كالجوى والفرح. و**الونى**، بالقصر: الفتور، حُكي مده عن الفراء. و**الهيجا** و**الهيجاء**: الحرب. و**الدهنا** و**الدهناء**: بادية بني تميم، ويطلق ويراد بالدهناء كل مفازة واسعة كأن حصباءها مدهونة لتغيرها عن البياض. قال الشاعر[1] **. (من بحر الخفيف)**:

كُلُّ دَهْناءَ يَقْصُرُ الطَّرْفُ عَنْهَا... أَرْقَلَتْهَا قِلَاصُنَا إِرْقَالَا.

و**القصى**، بالقصر ويمد: فناء الدار. و**البذاء**، بالذال المعجمة والمد وقد يقصر: السفه وقلة الحياء.

[1]- هو: الْجَارُود بْن بِشْرِ بْنِ الْمُعَلَّى، كما في عيون الأثر لابن سيد الناس: 291/2. وفي رواية للبيت الدهماء. وروي بهماء أيضا.

قوى: خبر مبتدأ محذوف، أي: قوى وحزى وفحوى ... إلى آخره كذلك.

ثم قال رحمه الله:

159-[وَبِزْرُ قَطُونَ وَالْكَثِيرَى الْجَفَا الرَّحَى وَهِنَباءُ أَيْـضاً وَالضَّحَى وَسَفَاءُ].

قوله: (**وَبِزْرُ قَطُونَ**): مضاف ومضاف إليه، و**البزر**، بالزاي والراء، وهو ما يكون من الحب في جوف البقول ونحوها. و**قَطونَ** بفتح القاف وضم الطاء المهملة: نبات له بذر، ذكره ابن القوطية في الأسماء العجمية المعربة كالنانجي والقسطاس والبرسيم والدَّرنوكِ وغير ذلك. وذكر الناظم جواز الوجهين فيه. و**الكَثيراء**: رطبة تخرج من أصول شجر يكون بشرورَى، وجبل لبنان. و**الجفاء**، بالمد والقصر: ضد الصلة. و**الرحى**، بالقصر: آلة الطحن، حكى الجوهري مدها. و**الهِنبَا**، بتقديم النون على الباء مقصور وممدود: المرأة الشديدة البله، ولفظه في بيت الناظم ساكن النون، وصوابه التحريك[1]، ولعل الناظم إنما حمله على ذلك ضرورة الشعر.

ونظير المقصور: أجَلَى: موضع، وبرَدَى: نهر بدمشق، وهو كثير. ونظير الممدود: حفناء وقُدَماء، بالتحريك: موضعان، قال ابن القوطية: لم يأت غيرهما إلا ما تقدم مما اشترك مع فعلاء الساكن العين كثأداء وأأباء، بتحريك الهمزة وتسكينها فيهما. ومن هذا الباب نفساء لغة في النُّفساء، بضم النون وفتح الفاء، وهي قريبة العهد بالولادة. ومنه السحناء، والسحناء الهيئة، وقيل: بياض ولين البشرة. و**الضحى** في بيت الناظم بالقصر ويمد، وقصره أقيس: وهي مصدر ضَحِيَ، أي: برز للشمس. و**السفاء**، بالمد وقد يقصر: خفة الناصية.

ثم قال رحمه الله:

[1]- قال الزبيدي في تاج العروس.405/4: "وَقَالَ (ابْنُ دُرَيْدٍ: امْرَأَةٌ هَنَبَاءُ وهَنَبَى، بالتَّحْرِيكِ فيهمَا). هذا النَّقْلُ عنهُ، غيرُ صَوابٍ، فإنّ الّذي نَقله عَنهُ ابنُ مَنْظُور وغيرُه: امْرَأَةٌ هُنَّبَاءُ وهُنَّبَى، يُمَدّ ويُقْصَرُ وأَيضاً على الْفَرْض، فإن التَّحْرِيك فِي كَلَام ابنِ دُرَيْدٍ، راجعٌ للثّاني، لَا لَهما، كَمَا توهَّمه، وأَشار لذا شيخُنا، فكلامُ المصنّف يحْتَاج إِلى التَّحْرير، بعدَ تَصْحِيح النَّقْل". وكلام ابن منظور في اللسان.788/1:" والهَنَبُ، بِالتَّحْرِيكِ: مصدرُ قَوْلِكَ امرأَةٌ هَنْباءُ أَي بَلْهاءُ بَيِّنَةُ الهَنَب. الأَزهري".

160-[وَعَوَّى وَعَاشُورَى مَنَاةَ مَعَ الْغَرَى كذَا زَكَرِيَّا وَالْجَرَى وَوَحَـاءُ].

فَعَوَّى، بوزن قضَّى بتشديد العين: نجم في برج السنبلة، وهي العذراء، وقصرها أكثر من مدها، وقد تمد كما قال الشاعر[1] **. (من بحر الخفيف):**

خَزْرَجِي لو يستطيعُ منَ الغَيـ ـظِ رمَـانـا بالنَّسر والعَـوّاء.

وعاشورى، بالقصر وقد تمد، ومعناه، بالقصر: اسم صنم. و**الغرى،** بالقصر: مصدر غرِي بالشيء، بالكسر: أولع به، وحكي عن يونس وسيبويه مده. **وزكريا،** بالقصر والمد: معلوم، وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل. و**الجرى،** بالجيم والقصر وقد تمد: اسم الجارية. و**الوحاء،** بالواو والحاء المهملة والمد وقد يقصر: السرعة.

***

[1]- هو: ضرار بن الخطّاب الفهريّ والبيت من قصيدة مطلعها:

"يا نبي الهدى إليك لجا * حيّ قريش ولات حين لجاء"

انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري: 304/17.

باب: ما يكسر فيقصر ويمد والمعنى واحد

وهو المتفق في الكسر والمعنى، من المقصور والممدود متفقين في المادة، فالاختلاف هنا كالذي قبله، إنما هو بمجرد الكسر والمد.

قال رحمه الله:

161-[زِمكًّى صِناً مِشْفَى زِمجًّى وَهِنْدَبَا وَمِينَى وَخِصِّيصاً زِنىً وَشِرَاءُ].

قوله: (زِمكًّى)، بالزاي بوزن (فِعِلَّى)، بكسر الفاء والعين، وفتح اللام المشددة: **كالزمجى**، بالجيم: أصل ذنب الطائر، وهو اليعصوص. **والصِّنى**، بالكسر والقصر: الرماد، وقد يمد. **والمِشْفَى**، بالكسر والقصر، بدون همزة، ومهموز مقصور، ومهموز ممدود: المشط. **والهندبا**، بكسر الهاء وفتح الدال والقصر: بقلة من أحرار البقول، وقد قيل فيه بكسر الدال ويمد، وسميت هندبا لتهَدب ورقها، فظاهره أن المقصور ليس فيه إلا فتح العين، وأن الممدود ليس فيه إلا كسر العين، واحدة الهندبا هندباة. **وَمِينَى**، بالكسر والقصر وقد يمد: حجر الرخام وموضع إرساء السفن. **والخصيصى**، بالكسر والقصر وقد يمد: خواص القوم، ويطلق ويراد به الاختصاص بالشيء. و**الزنى كالشرا**، وقد يمدان: وهما معلومان.

***

باب: ما يضم فيقصر ويمد والمعنى واحد

فالحركة التي اتفقا فيها ضمة هنا.

قال رحمه الله:

162-[صُلَيْمَى وَغُزَّى وَالْجُلَنْدَى وَمَعْ أُولَى كُشُوثَى الرُّتَيْلَى اللُّوبِيَا وَبُكَاءُ].

قوله: (**صُلَيْمَى**)، مضموم مقصور وقد يمد: بطن من الأزد، وهم بنو كهلان، وهم قبيلة أبي هريرة رضي الله عنه والطفيل بن عمرو. **وَغُزَّى**، كذلك، جمع غاز، و(**فُعَّل**) و(**فُعال**)، قد يردان في جمع (فاعل)، معتل اللام، فتقول: **غُزى**، كما قال الله تعالى: **{أَوْ كَانُوا غُزًّى} [آل عمران: 156]**. وغزاة، وقد يشدد، وقد يؤتى فيه بهمزة المد، فيقال: غزاء على وجه المبالغة في جمع فاعل معتل اللام. و**الجُلندى** أبو جيفر الذي أدركه الإسلام وهو جيفر بن الجلندى ملك عمان.

قوله: (**ومع أولى**)، بالضم والقصر لا غير على وزن طُولَى، قال تعالى: **{فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ} [الإسراء: 5]**.

وأما عد الناظم إياها من ذوات الوجهين فلعله قصد به (**أولى**)، التي بمعنى (**الذي**)، فتمد حينئذ وتقصر، فتقول (**ألى**) (**وألاء**)، على لغة حمير، وكذلك تمد وتقصر إذا كانت بمعنى جمع **وال**، وكذلك إذا كانت بمعنى الاستحقاق، فتقول: رجال أولى، أي: هم خليقون بكل خير، فصاغت لهم العرب وصفا **أولى** لك **فأولى**. وكذلك إذا كانت اسم إشارة. **والكشوثى**، بالمثلثة مضموم الأول مقصور ويمد: نبت يتعلق بالأغصان، ولا عرق له في الأرض. **والرُّتَيْلى**، بالضم والقصر: نوع من العناكب. **واللوبيا** بالقصر والمد معلوم، نوع من القطاني ومن لغاتها اللبياج بالجيم بعد الألف، و**البكا** بالمد والقصر معلوم، ومن الناس من يقول البكى بالقصر مجرد رفع الصوت. **والبكاء**، بالمد: هو البكاء مع ذكر مناقب الميت، والنياحة: الاجتماع للبكاء على الميت على وجه النوح على عادة العرب في الجاهلية.

والبكاء خُلق الأنبياء وأدب الأصفياء، وعليه تفانت جماهير الأتقياء، فجمود العين علامة الشقاء، وديوان الحمقاء، والبكاء لا يستغنى عنه بحال. وهو سبعة أقسام: بكاء خوف، وبكاء

خشية، وبكاء رهبة، وبكاء حياء، وبكاء ذنب، وبكاء محبة، وبكاء شوق. قال بعض الحكماء: "إذا أخصب القلب بالمعارف والأعمال الصالحة جرت أنهار الخشوع بمعين الدموع، وإذا أجدب القلب وتمحّل، جمد الدمع وتقلل".

ثم قال رحمه الله تعالى:

163-[وَذِي تُحْفَةُ الْمَوْدُودِ تَمَّتْ مُحِيطَةً بِمَا اهْتَمَّ بِاسْتِقْصَائِهِ الأُدَبَاءُ].

قوله: (وَذِي تُحْفَةُ الْمَوْدُودِ)، ذي: اسم إشارة للمفرد المؤنث مبني على السكون، ويقال: ذي وذا بالاختلاس، وذهْ بسكون الهاء. وتا بفتح التاء، وتِي بالإشباع، وتِهْ بالسكون، وته بالإشباع، وته بالاختلاس. وروى المبرد فيها أوجها أُخر، فتقول: تَهْ بفتح التاء وسكون الهاء، وتَهي، وتُهْ بضم التاء. وقيل: إنها لا تضم إلا للجمع. ويقال في لغة مذحج: تَذْ وتِذِهْ وتذوك. ويضاف إلى الجميع، فيقال: تيك وتيكم، وذيك وذيكم، وذاكم وذلكم.

والتحفة: الكرامة على المعسر القريب على وجه التعظيم والإجلال بأنفس ما يكون وأرفعه، وإن كان بدون ذلك، يقال لها كرامة، وإن كانت بدون ذلك يقال لها مأدبة، وإن كانت بدون ذلك قيل لها دعوة.

ثم قال رحمه الله:

164-[ولَا بُدّ منْ حَمدِ الإلهِ فإنّه لدَى البَدْءِ والإنْهاء سَنىً وسَناءُ].

قوله: **(ولا بد)**: أي لا محيد ولا محيص عن حمد الله. والحمد حقيقة تبليغ الثناء للمتفضل إجمالا بلا علة وإلا فشكر. و**الإنهاء** بالمد إبلاغ الشيء نهايته وهذا النوع في علم البديع يقال له براعة المختم، وهو: أن يأتي المصنف بكلمة تدل على الختم من غير تكلف. **والسنى:** الضوء و**السناء** الرفعة.

فكأنه يقول: لا محالة ولا انفكاك من الثناء على الله بالجميل في بدء كل ذي بال وانتهائه تلميحا إلى قوله صلى الله عليه وسلم "**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم**"[1].

[1] – حديث "كل أمر ذي بال ..." حديث حسن رواه أبو داوود ح:4840، وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعا. م.

أي ناقص البركة، وكما لا بد من البدء بالحمد على وجه الاقتداء كذلك لا بد منه عند الختم على وجه الشكر والثناء؛ فإنه ضوء ورفعة لما بدئ وختم به.

ثم قال رحمه الله:

165-[وخَيرَ صَلَاةٍ أسْتَدِيمُ عَلَى الذِي هُداهُ لأدْوَاء القُلُوبِ دَواءُ].

(**وخير صلاة**) بالفتح: مفعول (**أستديم**)، (**صلاة**): مضاف إليه ما قبله (**على الذي**) جار ومجرور متعلق **بأستديم** والموصول محذوف صدر صلته أي: على الذي هو دواء. وقال:(**هداه لأدواء القلوب**)؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم سبب الهداية. وقوله: **أستديم** أي: أطلب دوام صلاتي عليه، أو مطلق الصلاة لدوامها بدوام بقاء أمته، وأسأل الله أن يديم صلاته عليه.

قوله: (**لأدواء القلوب دواء**)، **فالأدواء**: جمع داء، وهي الأمراض التي تخالط القلوب من الشكوك والشبه، و**الدواء**: ما يستشفى به، ولا شفاء إلا ما جاء من بينات كتابه الذي هدى به، قال الله تعالى: **{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء: 82]**. وقال: **{وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ} [يونس: 57]**.

ثم قال رحمه الله:

166-[وَأَزْكى سَلاَمٍ أَجْتَنِيهِ لآلِهِ وَأَصْحَابِهِ إِذْ هُمْ بِذَاكَ حِجَاءُ].

قوله **.** (**أزكى**): الواو، حرف عطف، وهو من باب عطف العام على الخاص، وهو الإلحاق والاستحقاق، بعكس عطف الخاص على العام؛ فإنه لتأكيد الشرف وعلو المنزلة وزيادة التخصيص. **أزكى**: من أوزان المبالغة[1]، وهو منصوب بالاشتغال. وللزكاء معان، منها: الطهارة، ولعله المقصود هنا، ومنها الكثرة، ومنها الحلّية، قال الله تعالى: **{فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا} [الكهف: 19]**، ومنها نفي العيب والخلل، تقول: رجل زكي: إذا كان سالم العرض والخيم، ومنه تزكية الشاهد، ومنها زكى الشيء إذا بورك فيه، ومنها زكا الرجل إذا صلح ما بينه وبين الله تعالى: **{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا } [النور: 21]**، فهو

[1]- أزكى أفعل تفضيل من الزكاء.

أفعل تفضيل من زَكِي[1]، بالكسر وروي بالفتح، وهي لغة القرآن، وأهل الحجاز تقول: زَكا يزكو زَكاء وتزكية: إذا طهر وصفا، ومنه الزاكيات لله: وهي الأعمال الطاهرة، أو التي تضاعف الأجور عليها، أو تتظاهر البركات من أجلها.

فإن قلت: ما معنى قوله: **(وأزكى ثناء)**، فهل في الثناء ما ليس بزكي؟ قلت: نعم ما بلغ حد الإطراء كثناء النصارى على عيسى ابن مريم حتى نسبوه إلى الربوبية والبنوة، وكثناء الشيعة على علي رضي الله عنه حتى أشركوه مع النبي صلى الله عليه وسلم في نبوته. ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «**لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارى المسِيحُ بن مريمَ، ولكن قولوا: عبدَ اللهِ ورسوله**».[2]

قوله: **(اجتنيه)**، أي: اقتطفه، وهو من اجتناء الثمر، وهو اقتطافه رطبا، فكنى بذلك عن اجتنائه.

ثم قال رحمه الله على وجه الدعاء لنفسه:

167-[وَسَلْ لِيَ عَفْواً ثُمَّ نَيْلَ جِوَارِهِمْ غَـداً فَإِلَى ذَا سَـارَعَ السُّعَدَاءُ].

وقد ترك رحمه الله الأولى: وهو الإتيان بالدعاء على وجه العموم لنفع الإجابة، لخبر: «**الدعاء إذا عم نفع وإذا خص ارتفع**».[3] فلو أنه قال: ونسأله عفوا ونيل جوارهم؛ لكان أولى. وحقيقة العفو المجاوزة عن الذنوب بعد التنبيه عليها. والغفران المجاوزة عن الذنوب من غير تنبيه عليها. والصفح المؤاخذة ببعضها دون بعض أو التنبيه على بعضها دون بعض. قوله: ونيل جوارهم، أي: الظفر بجوارهم، أي: الموت في أحد الحرمين، كما كان عمر رضي الله عنه يقول: " اللهم إني أسألك الموت في سبيلك، وفي بلد رسولك".

---

[1] – الظاهر أن هذه الفقرات فيها تقديم وتأخير، ولعل سبب ذلك ما يسقط عند النسخ فيوضع في الهامش فإذا ما نقل ربما جلب إلى غير محله في الكلام. فهذه الجملة لعل محلها عقب قوله أزكى.

[2] .–حديث: لا تطروني ..." صحيح رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء. (باب واذكر في الكتاب مريم). م.

[3] .–لم أقف عليه. لكن يشهد لمعناه ما أخرجه مسلم في صحيحه ح: 2732."عن أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ ".

ويحتمل أن يريد بذلك جواره إياهم في الدار الباقية دار المقامة إن لم يحصل له جوارهم بالحرمين. فإلى هذا الذي هو سؤال العفو من الله، وسؤال نيل جوار النبي صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه **سارع السعداء**، ومسارعتهم هي مسابقتهم إلى امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، والتشبث بأذيالهم، والسير على منوالهم، أو التطبع بأحوالهم، والاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم. والسعداء جمع سعيد (**فعيل**)، بمعنى (**مفعول**). وحقيقة السعيد من ساعدته الأقدار، وصاحبته الأنوار، وكلأه العزيز الجبار، جعلنا الله ممن تولاه الله بكلاءته، ورعاه بعين عنايته، وقواه بكنف كفالته، وجعلنا ممن يباهي به النبي الكريم الأنبياء من أهل ولايته، وممن يكاثر به الأمم ممن استنار بنور هدايته، وصلى الله على محمد وآله وأزواجه وذريته وصحابته.

والحمد لله على ما ألهم، وعلى ما من فضله علم، وللمقصود تمم، وأسأل الله أن يجعله لوجهه خالصا، وعن الرياء والسمعة قالصا، **وأن ينفع به قارئَه وسامعَه وكاتبَه** ومن سعى في تحصيله كما رأيت مخايل ذلك جعل الله ذلك كذلك، وتمم ما هنالك، آمين. انتهى.

وقد ذكر الشيخ رحمه الله تعالى أنه فرغ من شرح المنظومة غرة المحرم لستة أيام مضين من ضحوة الإثنين من عام: 1201 هـ.

أما اختصاري لهذا الشرح فقد تم يوم السبت في:(الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة: 1437 هـ / الموافق / 25 / 02 / 2017 م). والله ولي التوفيق. د.أباي محمد محمود.

المؤلف في سطور

1- ولد:1976 بموريتانيا.

2- دكتوراه في الفقه وأصوله.

3- أستاذ مادة القضايا الفقهية المعاصرة بجامعة المدينة العالمية.

4- عضو قسم الفتوى بالشبكة الإسلامية.

5- كتب في القواعد الأصولية المتعلقة بالمعاملات المالية ... مطبوع.

6- الدرر السنية في شرح البيقونية. مطبوع.

7- العذب المورود..... هذا الكتاب.

8- العملات الإلكترونية دراسة فقهية –البتكوين نموذجا– غير مطبوع.

9- آداب المسجد. غير مطبوع

10- أسباب النزول الصحيح والحسن. غير مطبوع.

11- شرح الورقات نظما ونثرا. غير مطبوع.

12- القراض بالعروض دراسة فقهية مقارنة. غير مطبوع.

البريد الإلكتروني: abaye223@gmail.com

الفهرس

الفهرس

تراجم مختصرة 4
المقدمة 5
باب: ما يفتح أوله فيقصر ويمد باختلاف المعنى 8
11-[أطعْتَ الهوَى فَالقَلْبُ منكَ هَوَاءُ قَسَا كَصَفاً مُذْ بَانَ عنه صَفَاء]. 11
12-[وَرُمْتَ جَدىً مَا إنْ يَدُومُ جَدَاؤُهُ وَسِيَّانِ فَقْرٌ في الثَّرى وثَراءُ]. 16
13-[ولو في المَلاَ رُمتَ المَلاء حَلَلْتَ في رجاهُ إذا ما صَحّ منك رَجَاء] 18
14-[كَفَى بالفَنَا قُوتاً لِنفْسٍ فَناؤُها قَرِيبٌ ويَكْفِيها صَراً وصَرَاءُ] 20
15-[رُزِقتَ الحيَا كنْ لِلحَياءِ مُلازما فبعدَ الجَلاَ يُخْشَى عليكَ جَلاءُ] 23
16-[أيا بنَ البرَى اسْتَحْضِرْ بَرَاءً من الدُّنا فشِبْهُ العَفَى المُلْقَى عليهِ عَفَاءُ] 28
17-[وبعْدَ العَرى سُكْنى العَراءِ فكُلُّ ذِي نَسَى هَالكٌ لا يَغرُرْنك نَسَاءُ] 30
18-[فجُدْ بالفَضَى واغْشَ الفَضَاءَ ولا تَكُنْ دَوىً فاتّقَـاءُ المُـوبقَـاتِ دَواءُ] 31
19-[كَأنّ الوَرَى والموتُ نِسْيٌ وَرَاءَهُم ذَوَاتُ الأَبَـا قَدْ حَـازهُن أَبَـاءُ] 33
20-[شَهِيٌّ خَلاَ الأَرْضِ الخَلاءِ لو أنّه أُتيحَ لمسْلُوبٍ نَجَـاهُ نَجَـاءُ] 36
21-[ومَصُّ الظَّمَا لولا الظَّماءُ غَدا مُنًى ** فشَمِّرْ ولا يُوهِنْ بِـذَاكَ بَدَاءُ] 38
22-[وَهَلْ لِفَتىً مِنْ قَبْلُ دَامَ فَتَاؤُهُ فَيُلْهِيكَ صِيرَانُ النَّقَى وَنَقَاءُ]. 40
23-[حساً وَزَكىً تُغْنِي المُنونُ زكَاءَ ذِي زَكَاءٍ وَيَحْدُوهَا عَساً وَعَسَاءُ]. 43
24-[أَصَابَ الضَّنى ذَاتَ الضَّنَاءِ وَبَعلَهَا فَـمَـاتَـا وَلَمْ يَنْفَعْ حَمىً وَحَمَاءُ]. 44
25-[وَلَمْ يُنْجِ جَلْوَى رَبَّ جَلْوَاءَ جُودُهُ يُبَارِي الْجَدَى فَالنَّيْلُ مِنْهُ جَدَاءُ] 46
26-[وَكَمْ ذِي دَوىً عَافَ الدَّوَاءَ وَذِي سَرىً بِقَوْسِ سَرَاءٍ حُبُّ فَهُوَ مَبَاءُ]. 49
27-[وَذِي بَيْتٍ اعْتَاضَ الْبَهَى مِنْ بَهَائِـهِ وَرُبَّ عَـفـاً مُثْرٍ عَـلاَهُ عَـفَـاءُ]. 52
28-[ومَا رَبُّ هَطْلَى أَمَّ هَطْلاَءَ فَارْتَوَى كَهَلْكَى اقْتَضَى هَلْكَاءَ هُنَّ ظَمَاءُ]. 53
29-[وَقَاكَ الْعَمَى مُزْجِي الْعَمَاء فَعُدْ بِهِ فَرُبَّ عَشًى أَفْضَى إِلَيْه عَشَاء]. 56
30-[سَيَعْلُوكَ مَرْمُوساً سَفىً فَالسَّفَاءَ دَعْ وَجِدْ عَنْ ذَكىً بِالْحَزْمِ فَهُوَ ذَكَاءُ]. 57
31-[وَهَوِّنْ حَفىً أَفْضَى إِلَيْهِ حَفَاؤُهُ بِبِـرٍ فَعُقْبَاهُ سَـنىً وَسَـنَـاءُ]. 58
32-[وَصِلْ بِوَحَى الدَّاعِي الْوِحَاءَ إِغَاثَةً وَبَارِ الْوَلَى نَـفْـلاً يُحِطْكَ وَلاَءُ]. 59
33-[وهَبْ ذا القَصَى سُكْنَى القَصَاءِ ودعْ نَهًى وبـالعسْجَـدِ اجْبُرْ مـا أَفَاتَ نَهَاء] 60
34-[وكمْ ذِي سَخًى أغْرَى السَّخاءُ بِبَذْلِه لأنْقَـى بـرتْ أنقـاءَهُ بُرَحَـاءُ] 62
35-[وعَجْلَى لـدَى العَجْـلاءِ حنّتْ لبَارِقٍ بغَـمَّـى وللْـغَـمَّـاءِ ثَمَّ ثُنَاءُ] 63
36-[وأظْمَـى لَـدَى الأظْمَـاءِ يَنْفَـعُ مَـوردا وإن بـعُـدَتْ عنْـه رحـًى ورحَـاءُ] 63
37-[وأهْلُ الغَبَـى مثْلُ الغَبَـاءِ فـدَعْهُم وحِـدْ عن ذَمـًى تُنْعَشْ ويَحيَى ذَمَـاءُ] 64
38-[وصَيْـدُ المهـَى عُـدْمُ المهـَاءِ يَزِينُـهُ كـَمَا زانَ مشْـدُوداً نجـاهُ نَجـاءُ] 67

39-[وكَمْ في قَسـَى مِن ذِي قَسَـاءٍ وذِي رجـًا بِدُنْيـاهُ دَامَتْ رَغْبَــةٌ ورجَــاءُ] 67
40-[وَمَرْدىً بِمَرْداءٍ لَدىَ مُتَوَكِّلٍ وَأَرْضٌ سَــــوىً لِلْـوَارِدِينَ سَــــوَاءُ]. 68
41 -[وَإِنَّ سَـدىً فَوْقَ السَّدَاءِ لآيَــةٌ فَحَصِّلْ جَلِيً إِنْ غَابَ عَنْكَ جَــــلاَءُ]. 69
42-[وَرُبَّ خَوىً عِنْدَ الْخَوَاءِ اسْتَطَابَهُ مُـوالِي ضَحىً لَمْ يُزْوَ عَنْهُ ضَحَــاءُ]. 70
43-[حَــوَى جَـلَـداً فَاقَ الْعُلَى لِعَـلاَئِــهِ فَـلَـوْ بِوَرىً يُبْلَى وَقَــاهُ وَرَاءُ]. 71
44-[فَمَا بِالصَّبَا يُهْدىَ الصَّبَاءُ لِقَلْبِهِ وَكَيْفَ الْــكَـرَى وَالْمُسْتَقَرُّ كَـرَاءُ]. 71
45-[يَرَى وَهُوَ أَحْنَى مِلْءُ أَحْنَائِهِ ضَحىً وَلاَ يَشْتَكِي إِنْ عِيقَ عَنـهُ ضَحَاءُ]. 73
46-[كَفَاهُ الْمَشَا هَّم الْمَشَاءِ فَلاَ شَرىً لَـدَيْـهِ لِأَقْوَاءٍ حَــوَاهُ شَــرَاءُ]. 74
47-[وَتَأْلَفُهُ الْخَيْطَا وَخَيْطَاءُ إِلْفُهُ وَلَـوْلاَ الْمَنَى لَمْ يَرْضَ مِـنْهُ مَنَاءُ]. 75
48-[وَلَيْسَ كَذِي جَرْبَا بِجَرْبَاءَ مَاكِثٌ قَرِيبِ الْكَدَا فَالْوَصْلُ مِنْهُ كَــدَاءُ]. 76
49-[يَقِي ذُو الْعَظَا دَاءَ الْعَظَاءِ بِكَرِّ ذِي وَقًى مَـا لَهُ دُونَ الْقَضَاءِ وَقَـاءُ]. 77
50-[يَظَلُّ بِمَثْنَى جِيدِ مَثْنَاءَ مُغْرَماً وَيَـهْــوَى وَرىً مَــا يَنْتَقِيهِ وَرَاءُ]. 78
51-[كأَنَّ بِغَطْشَى مِنْهُ غَطْشَاءَ أُعْشِيَتْ بِــعَوًّى فَــلاَ عَــوَّاءَ ثَـمّ تُثَاءُ]. 78
52-[يُضَاهِي الْغَرَى مَنْ لاَ غَرَاءَ وَلاَ ضَرَى لَـهُ بالـتُّقَى لاَ أُمَّ مِنْهُ ضَـرَاءُ]. 79
53-[وَآلَى بِـآلاَءٍ كَآبَى إِذَا طَــــــــغَى فَـآبَــاؤُهُ مِـنْـهُ إِذاً بُــــــــــــرَآءُ]. 80
54-[كَأَعْيَا إِذَا الأَعْيَاءُ يَوْماً لَهُ اعْتَزَوْا بِأَهْـوَى وَفِي أَهْوَائِـهِــمْ غُلَوَاءُ]. 81
55-[فَأَقْنَى وَأَقْنَاءً وَشَرْوَاهُمَا اطَّرِحْ وَهَـوِّنْ كَدىً حَتَّى يَلُوحَ كَــدَاءُ]. 83
56-[كَالاعْمَى الَّذِي الأَعْمَاءَ يَقْرُوا فَلاَ تَدَعْ سَبِيلَ الْهُدَى مَا عَنْ عَدَاهُ عَدَاءُ]. 84
57-[وَرُمْ رَاحَةَ الأَنْسَى وَالانْسَاءَ رَاعِهَا لنَسْيَا وَنَسْيَـاءً فَـذَاكَ وَفَــــاءُ]. 86
باب: ما يفتح فيقصر، ويكسر فيمد مع اختلاف المعنى 88
58-[طَلاَ وَطِلاَءَ دَعْ وَلاَ تَصْحَبَنْ لَعىً فَإِنَّ نُـفُـوسَ الأَشْـرَهِـيـنَ لِـعَـاءُ]. 88
61-[وَإِنَّ صَدَى مَنْ لاَ صِدَاءَ لَهُ أَذىً وَإِنَّ الْـغَـرَا بِاللَّـهْـوِ فِيهِ غِــرَاءُ]. 89
62-[أَخَا الدِّينِ أَوْلَى بِالإِخَاءِ فَذَا نَدىً أَجِـبْـهُ إِذَ مَــا كَـانَ مِـنْـهُ نِـدَاءُ]. 91
63-[وَأَهْلَ اللَّخَا اهْجُرْ وَاللِّخَاءَ اتَّبِع بِهِ وَخَا السَّلَفِ الْمَرْضِي مِنْهُ وِخَــاءُ] 92
64-[وَكُنْ ذَا رَدىً لاَ فِي رِدَاء وَلا أذىً وَجِدْ عَنْ دَنـاً لاَ يَدْنُ مِنْكَ دِنَاءُ]. 93
65-[وكُنْ كَأَباً فِي الله نَاءٍ إِبَاؤُهُ ذَرَاهُ نَـجاً جَادَتْ عَلَيْهِ نِـجَاءُ]. 94
66-[وشُدَّ الْـمَطَا وارْعَ الْـمِطَاءَ ولاَ يَـخِبْ لِـمُعْلِي وَعىً يَرجُو نَدَاكَ وِعَاءُ] 96
67-[وَغَيْرَ الشَّوَى هَيِّءْ شِوَاءً لِطَارِقٍ يَرُومُ ذَرىً فِيهِ سَلاً وسِلاءُ]. 97
68-[فَكَمْ ذِي غَشىً أَضْحَى غِشَاءَ مُهَنَّدٍ صَلاَهُ لِكَيْ يَخْتَارَ مِنْه صِلاَءُ]. 99
69-[وَذَاتَ الْـحَذَا اصْنَعْ مِنْ نَجَاهَا حِذَاءَ ذِي وَجىً واغْتَنِمْ صَوْماً فَفِيه وِجَاءُ] 101
70-[وكُنْ لِوَزىً هَابَ الوزَاءَ مُؤَمِّناً فَشَرُّ البَرَى مِنْهُ الكِرَامُ بِرَاءُ] 102
71-[وَحَاذِرْ كَهىً مِنْ ذِي كِهَاءَ عَلَى قَرىً وَمَا هَمُّهُ إِلّا لَـهىً وقِرَاءُ] 103
72-[وكُلَّ مَلاً بُذَّ الْمِلاَءَ رِضًى وَذَا خَلًا دُمْ فَطَوْعٌ لَا يَدُومُ خِلَاءُ] 104
73-[وَعِظْ نَفْسَكَ السّهْوَى لِسِهْوَاءٍ انْقَضَتْ وَعدّ لَقىً مَا حُدّ مِنْه لِقَاء] 105

74-[وَكُنْ لِـخَفَا النَّجْوى خِفَاءَ يَقِي جَوىً فَبِالصَّوْنِ لِلنَّجْوَى تُصَانُ جِوَاءُ] 107
75-[تَوَقَّ الرَّدى وَالْبَسْ رِدَاءَ مِنَ التُّقَى لَـعَـلَّ الشَّفَا يُلْفَى لَدَيْـهِ شِـفَـاءُ]. 108
76-[وَشِبْهُ الْهَجَا أَهْلُ الْهِجَاءِ فَلاَ تَطِرْ حَـجَـا مَعْشَرٍ هُمْ بِالْهِجَـاءِ حِجَـاءُ]. 109
77-[عَلَى الْغِرِّ يَخْفَى ذُو الْفَرَى لِفِرَائِـهِ وَذِي الدَّارِ وَالنَّوْكَى فَلاَّ وَفِلاَءُ]. 110
78-[يَرَى ذُو الْحَنا ذَات الْحِنَاءِ فَيَرْتَجِي حَظىً بَـاطِـلاً وَالْحَـادِثَات حِظَـاءُ]. 111
79-[وَمَا مِنْ تَوىً يُنْجِي التِّواءَ وذُو النَّوَى فَلَيْسَ بِمُـدْنٍ مـا نـوَاهُ نِوَاءُ] 112
80-[وَمَا كُلُّ مَأْتىً ظَلَّ مِنْتَاءَ رِفْقَةٍ وَلَا لِأَلِىً كُلُّ الإِلَاءِ تُـهَـــــاءُ] 113
81-[وهَذَا الْجَأَى فَانِي الْجِنَاءِ يَسُوسُه وَلِيقُ الـدَّوَى لِلْكَـاتِبِينَ دِوَاءُ] 114
82-[وَيَشْفِي الصَّهَا رَوْمُ الصِّهَاءِ وَبِالنَّهَا عَنِ الرَّيْثِ تُرْضِي الوَارِدِينَ نِهَاءُ] 116
83-[وَمَا بِالْفَضَا يُحْصَى الْفِضَاءُ وَقَلَّمَا يَهُونُ الْأَسَى إِنْ لَـمْ تَرُمْهُ إِسَاءُ] 116
84-[وَلَيْسَ جَوىً عِنْدَ الْـجِوَاءِ أَثَارَهُ يُدَاوَى بِـمُغْنىً فِي سَحَاهُ سِحَاءُ] 118
85-[وَمَا ذُو نَسىً بَيْنَ النِّسَاءِ بِمُبْرِئٍ ذَوَاتِ طَنىً أَشْفَتْ بِـهِـنَّ طِنَاءُ]. 119
86 - [وَلاَ ذُو الْحَقَى يَكْفِي بِكُثْرِ حِقَائِهِ وَغَـايَـةُ ذِي الدُّنْيَا صَنىً وَصِنَاءُ] 120
87 - [وَرُبَّ قَوىً أَضَ الْقِوَاءُ بِهِ غَمىً وَقَدْ كَـــانَ مِنْهُمْ فِي الْقُحُوطِ غِمَاءُ] 121
باب: مـا يكسر فيقصر ويفتح فيمد مع اختلاف المعنى 126
88-[سِوَى مَسْلَكِ الأَبْرَارِ يَمِّمْ سَوَاءَهُ فِـدَاكَ نَـفُـوسٌ عَـافَـهُنَّ فَدَاءُ]. 126
89-[وَحِدْ عَنْ عِنَى الأَهْوَاءِ تُكْفَ عَنَاءَهَا فَعِزُّ الْعِـزَى أَنْ يُسْتَدَامَ عَـــزَاءُ] 129
90-[وَذُدْ عَنْ زِنىً وَأْمُرْ زَنَاءً بِطُهْرِهِ وَلَشَّ الْقِضَى اخْتَرْ إِنْ دَعَاكَ قَضَاءُ]. 130
91-[وَأَكْلَ الرِّبَا احْذَرْ ذَا رِبَاءٍ وَإِنْ جِزىً وُلِيتَ فَـوَالِ الْعَدْلَ يُسْنَ جَـــزَاءُ]. 131
92-[وَحِجْلى وَحَجْلاَءَ اجْتَنِبْ لَعِباً بِهَا فَـــمُـعْـطِـي الإِلَى إِنْ أَبْطَرَتْهُ أَلاَءُ]. 132
باب: ما يقصر فيكسر ويمد باختلاف المعنى"" 134
94-[وَرُبَّ حِمىً ضَاقَ الْحِمَاءُ بِهِ عِفاً فَـأَقْفَـرَ حَـتَّـى لَيْسَ فِيهِ عِفَـاءُ]. 134
95-[وَكَمْ بِاللَّوَى مِنْ ذِي لِوَاءٍ وَذِي بِنىً عَلَيْهِ لأَيْدِي الْـحَـــادِثَاتِ بِنَـاءُ]. 135
96-[وَكَانَ ثِناً يَثْنِي الثَّنَاءُ بِسَيْبِـهِ قِناً وَلَدَيْـــهِ فِي الْحُرُوبِ قِنَـاءُ]. 136
97-[بَهِيجُ الرِّدَى عَضْبُ الرِّدَاءِ مُؤَمَّلاً مِـلاَهُ مِنَ الْـفِـعْل الْجَمِيلِ مِـلاَءُ]. 137
98-[وَكَمْ مِنْ حِذىً نَالَ الْعُفَاةُ حِذَاءَهُ وَبَيْنَ الْعِدَى مِنْهُ اسْتَمَرَّ عِـــدَاءُ] 138
100-[وَأَهْلَ الْحِبَى زَانَ الْحِبَاءُ وَلَمْ تَزِنْ لِحىً يَزْدَهِي أَحْلاَمَهُنَّ لِحَاءُ]. 140
101-[فَأَحْسِنْ بِمِهْدىً زَانَ مِهْدَاءَ فِتْيَةً وَمِقْرىً عَلاَ الْمِقْرَاءَ مِنْهُ بَهَاءُ]. 141
102-[وَمِقْلَى لِذِي الْمِقْلاَءِ يُبْدِي حَسِيسَهُ رِضىً وَيَسُرُّ الْمُحْسِنِينَ رِضَـاءُ]. 142
103-[وَحَاسِي الْقِرَى مِثْلُ الْقِرَاءِ حِيَاضُهُ فَيَأْبَى الرِّوَى مِنْهَا ظَمىً وَرِوَاءٌ]. 143
104-[هِدَاهُ أَصَارَتْهُ هِدَاءً فَرَأْيُهُ جِـرىً فِي مَسَاعٍ قُبِّحَتْ وَجِرَاءُ]. 144
105-[وَصَارِي الْكِرَى بَعْدَ الْكِرَاءِ كَذِي لِوىً وَيُجْنَى لِمَشْهُورِ الْوَفَاءِ لِوَاءُ]. 145
106-[وَنُجْحُ الْمِنَى يُنْسِي الْمِنَاءَ وَكَمْ مِعىً بِـــهِ أَيْنَعَتْ بَعْدَ الْجُدُوبِ مِعَاءُ]. 146
107-[وَكَمْ إِشْفىً الإِشْفَاءَ مَلَّكَ رَبَّهُ فَـدَامَ لَهُ مِـنْـهُ فِحىً وَفِـحَاءُ]. 147

108-[وَهَذَا الْكِبَى عُقْبَى الْكِبَاءِ وَلِلْحِجَى غَـوَائِلُ مِنْهَا أَنْ يُـطَـالَ حِجَـاءُ]. 149
109-[وَأَهْلُ الْفِرَى انْسُبْ لِلْفِرَاءِ وَمِنْ مِرىً تَبَرَّأْ وِلاَ يَخْدَعْ حِجَاكَ مِـرَاءُ]. 149
110-[وَإِجْلِى الْعُلَى إِجْلاَءَ ذِي الْبَغْيِ فَاعْتَمِدْ وَغَـوْلَ الْعِشَا احْذَرْ مَـا أَجَنَّ عِشَاءُ] 150
باب: ما يضم فيقصر ويفتح فيمد باختلاف المعنى 152
111-[غُدَاكَ ارْعَ وَاعْتَضْ مِنْ غَدَاءٍ تَسَحُّراً وَلاَيُنْسِكَ الذِّكْرَى حُسىً وَحَسَاءُ]. 152
112-[فَمَن خَشِيَ السُّوءَى لِسَوْءَاءَ هَاجِراً يَفُزْ وَهُنَا أَيْضاً لَدَيْـــهِ هَنَاءُ]. 153
113-[وَمَا ضَرَّ ذَا طُرْفَى بِطَرْفَاءَ لاَئِذاً ضُحىً إِنْ رَمَاهُ بالأُوَّارِ ضَحَـــاءُ]. 154
114-[وَسَارِعْ إِلَى الْحُسْنَى وَحَسْنَاءَ لا تُطِعْ هَـوَاهَـا فَفِي التُّقَى غُنىً وَغَنَاءُ]. 155
115-[وَلِلْغَايَةِ الْقُصْوَى بِقَصْوَاءَ شَمِّرَنْ فَـمَـا بِكُسَى زَهْـوٍ يُنَالُ كَسَاءُ]. 155
116-[وَعُذْرَاكَ لِلْعَذْرَاءِ لاَ تَكْتَرِثْ بِهَا فَـمَـا لِثُـوىً يُثْنِي الْمُجِدَّ ثَـوَاءُ]. 156
117-[وَلَنْ تُذْعَرَ الْحُمَّى بِحَمَّاءِ نَهْدَةٍ وَلاَ بِكُـرَى اللاَّهِـي تُرَامُ كَرَاءُ]. 156
118-[وَمَا ذُو قُوىً أَمَّ الْقَوَاءَ بِقَاهِرٍ عُـدَاهُ إِذَا لَمْ يَنْأَ عَنْهُ عَـدَاءُ]. 157
119-[أَلَمْ تَهْلِكِ الْعُزَّى بِعَزَّاءِ حِزْبِهَا وَلِلْحَقِّ فِي هَذَا سُـمـىً وَسَـمَـاءُ]. 157
120-[وَكَمْ مِنْ طُخىً زَالَ الطَّخَاءُ بِوَدْقِهَا فَفَاضَتْ هُـوىً مِنْهُ وَضَاقَ هَوَاءُ]. 158
باب: ما يفتح فيقصر ويضم فيمد باختلاف المعنى 160
121-[حَلَى بِحُلاَءِ ذِي الدُّنَا فَعَزِيزُهَا يَـصِـيرُ لَقىً أَوْ يَعْتَرِيهِ لُقَاءُ]. 160
122-[رِوىً وَصَدىً قَضَّتْ صُدَاءُ وَلِلْمَدَى يَدَاءُ صَحِيحٌ أَوْ يَصِحُّ مُـدَاءُ]. 160
123-[وَمَا ذُو مَكىً أو ذُو مُكَاءٍ بِمُهْمَل فَكَم عِبْرةٌ أَجْدَى رَنى ورُناءُ]. 162
124-[وَيُبْهِي النَّقَى ذا العِلْمِ حَازَ نُقَاءَهُ وَمِثْلُ الْمَهَى قَلْبٌ لذاكَ مُهَاءُ]. 162
باب: ما يضم فيقصر ويمد باختلاف المعنى 164
125-[نُهَى الأمْرِ لاحِظْ والنُّهَاء اعْتَبِر بِهِ وَأَلْغِ مُنَى عَنْهَا اللَّبِيبُ مُنَاءُ]. 164
126-[وَلَوْ كُنْتَ في قُرَّى فَقُرَّاءَ اثْبُتَنْ فَمَا الأُرْبَى رِيعَتْ بِهَا الأُرَبَاءُ]. 164
127-[وَصِدْقُ الرُّوَى زَانَ الرُّوَاءَ ولِلنُّهَى دَلِيلٌ إِذَا رَاقَ الْعُيُونَ نُهاءُ]. 165
128-[وَكَرُّ الـمُلَى يُفْنِي الـمُلاَءَ مَعَ اللُّقَى كَنَـارِ ذُكىً لم تَعْـدُهُنّ ذُكَـاءُ]. 165
129-[وجَذْبُ البُرَى يُبْرِي البُرَاءَ وفي الرُّغَى لِذَاتِ رُغاءٍ لَا تَشِحُّ بَقَاءُ]. 166
130-[وَلَوْ ذُو الرُّشَى اعْتَاضَ الرُّشَاءَ اتَّقَى لَظىً فَمَـا لِلُّهَى تُجْرِي العَذَابَ لُهَـاءُ]. 167
باب: ما يكسر فيقصر ويضم فيمد باختلاف المعنى 169
131-[وَكُلُّ بِغىً تُرْدِي اصْطَبِرْ عَنْ بُغَائِهَا فَكَـمْ في مِنَى بِالصَّبْرِ فَازَ مُنَـاءُ]. 169
132-[وَفي ذِي مِعىً مِثْلُ الـمُعَاءِ احْتَسِبْ ثِنىً فَضِعْفُ جَزَاءِ المحسِنينَ ثُنَاءُ]. 169
133-[وَخُذْ مِنْ بِرَى العِلْمِ البُرَاءَ تَيَمُّناً وسُوءَ الـمِشَى اهْجُرْ ولْيَجِدْكَ مُشَـــاءُ]. 170
باب: ما يضم فيقصر ويكسر فيمد باختلاف المعنى 172
134-[بِمُؤتَاكَ لِلمِأتاءِ فُق مُؤتِقاً عُرىً مَحَامِدَ عَنهَا البَاخِلُون عِرَاءُ] 172
135-[وَدَعْ ذا القُلَى يُجري القِلاءَ ومِنْ لُهىً تَعَوَّضْ ثَنَاءً تَشْتَهِيه لِهاءُ] 173
136-[فَكَمْ في العُدَى تَحْتَ العِدَاءِ فَتىً لَهُ ذُرًى كَانَ فِيهَا لِلْعُفَاةِ ذِرَاءُ] 174

137-[ثَوَى في رُبىً يَنْفِي الرّباءُ انْتِيَابُهَا بِهَا لِـمُوافِيها كُفىً وكِفاء]. 175
138-[وذَاتَ العُجَى يَحمِي العِجَاءَ بهَا الأُلَى وفُتْ عَزَمَاتٍ منهُم وَإِلَاءُ]. 175
139-[وَيَحْمِي الـمُهَى ضَربَ الـمِهَاءِ طُلَى العِدا إذَا لمْ تُواصِـــــــــــــلْ قَينَةٌ وطِلَاءُ]. 176
140-[وَصَوْنَ الْخُطَى عَنْ ذِي الْخِطَاءِ الْتَزِمْ وَهَبْ صُـــفَـاكَ لِمُـهْـدَى مَنْ لَدَيْهِ صِـفَـــاءُ]. 177
141-[وَسَامِ السُّهَى وَاحْمِل سِهَاءَ عَلَى سُرىً تُـــخـالُ بِطِيَّـــاتٍ لَدَيْهِ سِـرَاءُ]. 178
142-[وَحَاذِرْ ظُبىً عِنْدَ الظِّبَاءِ فَلَنْ تَرَى دُمىً فَتَكَتْ إلاَّ تُـطَـلُّ دِمَـاءُ]. 179
143 -[وَوَالِ الْهُدَى تُرْزَقْ هِدَاءَ كَوَاعِبٍ وُلَى نِسْوَةٍ يُصْفَى لَهُنَّ وِلاَءُ]. 180
باب: مـا يفتح فيقصر ويكسر فيمد والمعنى واحد 182
144-[سَيَفْنَى الْغَمَى وَالْجَدْرُ بَعْدَ غِمَائِهِ وَيَبْقَى الْفَدَى لَوْ يُسْتَطَاعُ فِدَاءُ]. 182
145-[وَيُنْبَذُ سَهْمٌ ذُو غَرىً بِغِرَائِهِ وَيَذْهَبُ وُرَّادُ الأَضَـــا وَإِضَـــاءُ]. 182
146-[وَمأْوَى السَّحَى فُقْدَ السِّحَاءِ خَرَابُهُ وَكَـــمْ ذِي دَلاً لَمْ تُغْنِ عَنْهُ دِلاَءُ]. 183
147-[وَذاتَ الْجَرَى لاَتَفْتَتِنْ بِجِرَائِهَا حِذَارَ الصَّلَى لاَيُسْتَطَاعُ صِـــلاَء]. 183
148-[وَكُنْ قَائِلاً خيرا أَوِ اصْمُتْ وَذَرْ حَجاً فَمَـــا لاَقَ إلاَّ بالْمَجُوسِ حِجَاءُ]. 184
باب: ما يكسر فيقصر ويفتح فيمد والمعنى واحد 187
149-[سِوَى الْحَقِّ فَارْفُضْ وَالضَّلاَلُ سَوَاؤُهُ وَدَعْ ذَا قِلَى يُنْمَى لَدَيْهِ قَـــلاَءُ]. 187
150-[وَلَيْسَ مَعِيباً ذُو الصِّبَا لِصَبَائِهِ إذَا حُـــمَّ لِلْـــبَـاغِي قِـرَاهُ قَـرَاءُ]. 188
151-[وَمَـا ذُو إناً إلاَّ بِإِثْرِ أَنَائِه بلى وَلِـكُلِّ جِـــدَّةٌ وَبَـــلاَءُ]. 189
152-[وَقَبْلَ إِياًّ بَادٍ أَيَاءٌ مُغَيَّبٌ وَبَيْنَا رِوىً يَحْلُو أَمَـــرَّ رَوَاءُ]. 190
باب: ما يكسر فيقصر ويضم فيمد وعكس ذلك والمعنى واحد 191
153-[وَذُو الْقِرْفَصَى عَنْ قُرْفُصَاءَ مُحَاسَبٌ غَداً فِي اللُّقَى فَلْيُخْشَيَنَّ لِـقَـاءُ]. 191
باب: ما يضم فيقصر ويفتح فيمد والمعنى واحد 192
154-[وَإِنْ كُنْتَ ذَا رُغْبَى فَرَغْبَاءَكَ اصْرِفَنْ لِدَارِ الْبُقَى مَا فِي دُنَاكَ بَقَاءُ]. 192
155-[وَنُعْمَى تَلِي نَعْمَاءَ فَاشْكُرْ مُشَمِّراً لِجُلَّى فَذَا الْجَلاَّءِ زَانَ عَـزَاءُ]. 192
156-[وَبُؤْسَى اخْشَ فَالْبَأْسَاءُ حَقُّ مُخَالِفٍ حُـلاَوَى قَفَاهُ لِلْهَوَانِ مُـبَـاءُ]. 193
157-[وَغُمَّى اجْلُ فَالْغَمَّاءَ مَنْ يَجْلِهَا يَفُزْ بِعُلْيَا وَذُو الْعُلْيَاءِ ذَاكَ يَشَاءُ]. 194
باب: ما يفتح فيقصر ويمد والمعنى واحد 196
158-[قَوىً وَحَزىً فَحْوَى وَحَلْوَى بَهَا وَنَى وَهَيْجَا مَـــعَ الدَّهْنَا قَصاً وَبَدَاءُ]. 196
159-[وَبِزُرُ قَطُونَى وَالْكَثِيرَى الْجَفَا الرَّحَى وَهِنَباءُ أَيْـــضـاً وَالـضَّحَى وَسَفَاءُ]. 197
160-[وَعَوَّى وَعَاشُورَى مَنَاةَ مَعَ الْغَرَى كذَا زَكَرِيَّا وَالْجَرَى وَوَحَـــاءُ]. 198
باب: ما يكسر فيقصر ويمد والمعنى واحد 199
161-[زِمِكَّى صِناً مِشْفَى زِمِجَّى وَهِنْدَبَا وَمِـيـنَى وَخِـصِّـيـصاً زنىً وَشِرَاءُ]. 199
باب: ما يضم فيقصر ويمد والمعنى واحد 200
162-[صُلَيْمَى وَغُزَّى وَالْـجُلَنْدَى وَمَعْ أُولَى كُشُوثَى الرُّتَيْلَى اللُّوبِيَا وَبُكَاءُ]. 200
163-[وَذِي تُحْفَةُ الْمَوْدُودِ تَمَّتْ مُحِيطَةً بِمَا اهْـتَـمَّ بِاسْتِقْصَائِـهِ الأُدَبَـاءُ]. 201

164-[ولَا بُدّ منْ حَمدِ الإلهِ فإنّه لدَى البَدْءِ والإنْهاء سَنىً وسَناءُ]. 201
165-[وخَيرَ صَلَاةٍ أسْتَدِيمُ عَلَى الذِي هُداهُ لأدْوَاء القُلُوبِ دَواءُ]. 202
166-[وَأَزْكى سَلاَمٍ أَجْتَبِيهِ لآلِهِ وَأَصْحَابِهِ إِذْ هُمْ بِذَاكَ حِجَاءُ]. 202
167-[وَسَلْ لِيَ عَفْواً ثَمَّ نَيْلَ جِوَارِهِمْ غَـــداً فَإِلَى ذَا سَـــارَعَ السُّعَدَاءُ]. 203
الفهرس 206